

المربي
قصص
في
فقه النفس
جمع
د. يحيى بن إبراهيم اليحيى


قصص
في
فقه النفس



رقم الطبعة	الأولى
سنة الطبع	١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م
عدد الصفحات	٣٢٠ صفحة
المقاس	١٧ × ٢٤
رقم الإيداع	٢٠١٩/٢٥٠٤٩م
الترقيم الدولي	I.S.B.N 978-977-6761-18-6





markaz.almurabbi@gmail.com



قصص في فقه النفس

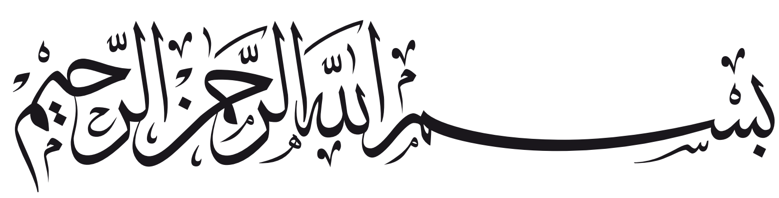
جمع

د. يحيى بن إبراهيم اليحيى








بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعدُ فإنّ في قصص العلماء والصالحين عبرةً لمن تأمّل، قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحكايات عن العلماء ومجالستِهم أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقُهم»، ونقل غيرُ واحدٍ عن أبي القاسم الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سئل عن حكايات الصالحين فقال: «هي جند من جنود الله تعالى»، وتَرى أهل العلم والحكمة يُعنَون بها ويَعُدُّونها هُدًى وتجاربَ حقٍّ لا يزال يتكرَّر مِثلُها في النّاس، وعلى قدر قيمة الشيء تكون حكايتهم له واستماعهم؛ إذ المقصود عندهم تلمس الحكمة والعبرة، ولذا توسعوا في بابها ولم يشترطوا في نقلها ما اشترطوه في نقل الأحاديث.

وإن في هذا المجموع طائفةً منتقاة من القصص مما حُكي عن بعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ فمَن بعدهم من العلماء والفضلاء والرؤساء، وهي لا تخلو من أن يصيب منها قارئُها نفعًا في تربية نفسه على حقائق الأمور ومعاليها، ولا ريب أنّ مَن عرَف مثالًا تقدَّم حذِر مما ابتُلي به قومٌ وتمسّك بما سعد به آخَرون.

هذا وقد بوِّبت الحكايات والقصص في أبواب شبيهة بما كان في كتاب فقه النفس، وروعي في ترتيبها كذلك تقديم ما حكي عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ إذ إنهم خير الناس وأفقهُهم بعد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولم يراع ترتيب زمانيّ بعدهم.

والله تعالى نسأل أن ينفعنا بما نقرأ ونكتب وأن يطهر قلوبنا وألسنتنا عما لا يرضيه سبحانه، إنه خير موفِّق ومعين.

د. يحيى بن إبراهيم اليحيى

المدينة المنورة

ربيع الأول ١٤٤١هـ



العقــل

مر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على صبيان يلعبون فتفرقوا من هيبته ولم يبرح عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال له: ما لك لم تبرح؟ فقال: ما الطريق ضيقة فأوسِّعَها لك ولا لي ذنب فأخاف. [تذكرة الآباء وتسلية الأبناء ص٦١]

❁ ❁ ❁

قال هشام بن عقبة أخو ذي الرمة: شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم في دم فتكلم فيه وقال: احتكموا، قالوا: نحتكم ديتين، قال: ذاك لكم، فلما سكتوا قال: أنا أعطيكم ما سألتم فاسمعوا: إن الله قضى بدية واحدة وإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قضى بدية واحدة، وإن العرب تعاطى بينها دية واحدة، وأنتم اليوم تطالبون، وأخشى أن تكونوا غدًا مطلوبين فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم، قالوا: رُدَّها إلى دية. [سير أعلام النبلاء ٩٣/٤]

❁ ❁ ❁

قال عطاء بن مسلم: لما استخلف المهدى بعث إلى سفيان الثوري، فلما دخل خلع خاتمه ورمى به إليه فقال: يا أبا عبد الله، هذا خاتمي فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، فأخذ الخاتم بيده وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟ وقال عبيد: قلت لعطاء: يا أبا مخلد، قال له «يا أمير المؤمنين»؟ قال: نعم، قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم قال: لا تبعث إليَّ حتى آتيك ولا تعطني شيئًا حتى أسألك، قال: فغضب من ذلك وهم به، فقال له كاتبه:

أليس قد أمنته يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، فلما خرج حف به أصحابه فقالوا: ما منعك يا أبا عبد الله وقد أمرك أن تعمل بالكتاب والسنة؟ فاستصغر عقولهم. ثم خرج هاربًا إلى البصرة. [سير أعلام النبلاء ٧/٢٦٢]

❁ ❁ ❁

قال أبو سعيد الواسطي: دخلت على أحمد الحبس قبل الضرب، فقلت له في بعض كلامي: يا أبا عبد الله، عليك عيال، ولك صبيان، وأنت معذور، كأني أسهل عليه الإجابة، فقال لي أحمد بن حنبل: إن كان هذا عقلَك يا أبا سعيد فقد استرحت. [طبقات الحنابلة ١/٤٣]

❁ ❁ ❁

قال منارة وزير هارون الرشيد: رفع إلى هارون الرشيد أنّ بدمشق رجلًا من بقايا بني أمية عظيم الجاه، واسع الحال، كثير المال والأملاك، مطاعًا في البلد، له جماعة أولاد ومماليك وموال يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم، وأنه سمحٌ جواد كثير البذل والضيافة، وأنه لا يؤمن منه فتق يتعذّر رتقُه، فعظم ذلك على هارون. قال منارة: وكان وقوف الرشيد على هذا إذ هو بالكوفة في بعض خرجاته إلى الحج، وقد عاد من الموسم وبايع لأولاده، فدعاني وهو خالٍ فقال لي: قد دعوتك لأمر يهمني، وقد منعني النوم، فانظر كيف تعمل وكيف تكون. ثم قص عليّ خبر الأموي، وقال: اخرج الساعة فقد أعددت لك الجمّازات وأزحت علّتك في الزاد والنفقة والآلات وضمّ إليك مائة غلام واسلك البرِّيّة، وهذا كتابي إلى أمير دمشق، وهذه القيود إذا

دخلت البلد فابدأ بالرجل، فإن سمع وأطاع فقيده بها وجئني به، وإلا فتوكل أنت ومن معك به لئلا يهرب، وأنفذ الكتاب إلى أمير البلد ليركب في جيشه ويقبض عليه، وقد أجّلتك لذهابك ستًّا ولعودك ستًّا ويومًا لمقامك، وهذا محمل يجعل في شقّه إذا قيدته وتقعد أنت في الشق الآخر، ولا تكل حفظه إلى غيرك حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك، فإذا دخلت داره فتفقّدْها وجميع ما فيها وولده وأهله وحاشيته وغلمانه وما يقولون، وقدر النعمة والحال والمحلّ، واحفظ ما يقوله الرجل حرفًا بحرف من ألفاظه منذ وقوع طرفك عليه إلى أن تأتيني به، وإياك أن يشذ عليك شيء من أمره. قال منارة: فخرجت أنا والمائة مملوكٍ فركبت الإبل وسرنا نطوي المنازل ونصل البكور بالأصائل حتى انتهيت إلى دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة، فكرهت طرقها فنمت بظاهر البلد إلى أن فتحت الأبواب، فدخلت على هيئتي حتى أتيت باب دار الرجل وعليه صفف عظيمة وحاشية كثيرة، فلم أستأذن ودخلت بغير اكتراث، فلما أن رأى ذلك القوم سألوا بعض من معي عني، فقالوا: هذا منارة رسول أمير المؤمنين الرشيد إلى صاحبكم، فسكتوا. فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلسًا رأيت فيه قومًا جلوسًا، فظننت الرجل فيهم. فقاموا ورحبوا بي وأكرموني، فقلت: أفيكم فلان؟ قالوا: لا، نحن أولاده وهو في الحمام. قلت: فاستعجِلوه، فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والحال والحاشية، فوجدتها قد ماجت بأهلها موجًا شديدًا. فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن أطال، فاشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى، إلى أن رأيت شيخًا قد أقبل من الحمام يتمشى

في الصحن وحوله جماعة كهول وأحداث حسان هم أولاده وغلمان كثير، فعلمت أنه الرجل. فجاء حتى جلس وسلّم عليّ سلامًا خفيفًا وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته، فأخبرته بما وجب، وما قضى كلامه حتى جاؤوه بأطباق فاكهة، فقال لي: تقدم يا منارة، فقلت: ما بي إلى ذلك حاجة، فلم يعاودني وأكل هو والحاضرون عنده، ثم غسل يده، ودعا بالطعام فجاؤوه بمائدة حسنة عظيمة لم أر مثلها إلا في دار الخليفة، فقال: تقدّم يا منارة، ساعدنا على الأكل -وهو لا يزيدني على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة- فامتنعت فما عاودني. وأكل هو وأولاده -وكانوا تسعة عددتهم- وجماعة كثيرة من أصحابه وحاشيته وجماعة من أولاد أولاده، وتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك، ووجدت جأشه رابطًا وذلك الاضطراب الذي كان في داره قد سكن، ووجدته لا يُرفع من بين يديه شيء قد جعل على المائدة إلا نُهب. وقد كان غلمانه لما نزلت الدار أخذوا جمالي وغلماني فغدوا بهم إلى دار له فما أطاقوا ممانعتهم، وبقيت وحدي ليس بين يدي إلا خمسة أو ستة منهم كانوا وقوفًا على رأسي، فقلت في نفسي: هذا جبّار عنيد، فإن امتنع عليّ من الشخوص فأنا ومن معي هالكون، فجزعت، ولا سبيل إلى إعلام أمير البلد، وإلى أن يلحقني أمير البلد لا أملك لنفسي دفع ضرر يريده بي، وذاك أني استربت باستخفافه بي وتهاونه ودعائه لي باسمي، ولا يفكر في امتناعي من الأكل، ولا يسأل عما جئت له، بل أكل مطمئنًّا، وأنا أفكر في ذلك إذ فرغ من طعامه وغسل يده، ودعا ببخور فتبخّر، وقام إلى الصلاة فصلّى وطوّل، وأكثر من الدعاء والابتهال، ورأيت صلاته حسنة، فلما انفتل

من المحراب أقبل عليّ وقال: ما أقدمك يا منارة؟ قلت: أمر لك من أمير المؤمنين، فأخرجت الكتاب ودفعته إليه ففضّه وقرأه، فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته، فاجتمع منهم خلق كثير، فلم أشكّ إلا أنه يريد أن يوقع بي، فلما تكاملوا قال لهم: هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالمصير إلى بابه، ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة لأنظر في أمري مسارعة إلى أمره؛ فاستوصوا بمن ورائي من الحرم، ثم حلف أيمانًا مغلظة فيها الطلاق والعتاق والحج والصدقة والوقف إن اجتمع منهم اثنان في موضع وأن ينصرفوا ويدخلوا بيوتهم ولا يصحبه منهم أحد، والتفت إليّ وقال: هات يا منارة قيودك، فدعوت بها، وأحضرت حدادًا ومدّ ساقيه فقيدته، وأمرت غلماني حتى حصل في المحمل، وركبت في الشقّ الآخر، وسرت من وقتي، ولم ألق أمير البلد ولا غيره، وسرت بالرجل ليس معه أحد، إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحادثني بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن بالغوطة، فقال لي: أترى هذا؟ قلت: نعم، قال: إنه لي، وفيه من غرائب الأشجار كيت وكيت، ثم انتهى إلى آخر فيه مثل ذلك، ثم انتهينا إلى قرى حسان سرية، فأقبل يقول: هذا لي، ويصف كل شيء من ذلك، فاشتدّ غيظي منه فقلت له: علمت أني شديد التعجب؟ قال: ولم تعجب؟ قلت: ألست تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمّه أمرك حتى أرسل إليك من انتزعك من بين أهلك وولدك ومالك وأخرجك عن جميع مالك وحيدًا فريدًا مقيّدًا لا تدري إلى ما تصير إليه ولا كيف تكون وأنت فارغ البال من هذا تصف بساتينك وقراك وضياعك؟! هذا بعد أن رأيتني قد جئت وأنت تعلم فيم جئت! بل أنت ساكن الجأش

مطمئن القلب، ولقد كنت عندي شيخًا فاضلًا! فقال لي مجيبًا: إنا لله وإنا إليه راجعون! أخطأت فراستي فيك، قدّرتك رجلًا كامل العقل وأنك ما حللت من الخلفاء هذا المحلّ إلا بعد أن عرفوك بذلك، فإذا عقلك وكلامك يشبه عقول العوام وكلامهم، والله المستعان! أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه لي وإخراجه إياي إلى بابه على صورتي هذه فإني على ثقة بالله عَزَّوَجَلَّ الذي بيده ناصية أمير المؤمنين، ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا إلا بإذن الله ومشيئته، على أني لا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه، وإني أعتقد فيه أنه إذا تحقق أمري وعلم صلاحي وبراءة ساحتي وأنّ الحسدة والأعداء رموني عنده بما لست في طريقته وتقوّلوا عليّ الأكاذيب الباطلة لم يستحلّ دمي وتحرّج من أذيّتي وإزعاجي، فردّني مكرّمًا أو أقامني ببابه معظمًا. وإن كان قد سبق في علم الله تعالى أن تبدر إليّ منه بادرة من سوء وقد حضر أجلي وحان سفك دمي على يده فلو اجتهدت الإنس والجن وأهل الأرض والسماء على صرف ذلك وزحزحته عني ما استطاعوا؛ فلِم حينئذ أتعجّل المكروه وأتسلف الغمّ فيما قد فرغ منه؟ وإني أحسن الظنّ بالله عَزَّوَجَلَّ الذي خلق ورزق وأمات وفطر وجبل وأحسن وأجمل، وقد كنت أظنّ أنّ مثلك يحسن ويعرف هذا، والآن قد عرفتك حق معرفتك وعلمت حد فهمك فإني آليت ألا أكلمك بعد هذا بكلمة حتى تفرّق حضرة أمير المؤمنين بيني وبينك إن شاء الله تعالى. ثم أعرض عني فما سمعت له لفظة بغير التسبيح والقرآن إلا بطلب ماء للوضوء أو الشرب أو حاجة تجري مجراهما، إلى أن شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر وإذا النّجب قد استقبلتني على فراسخ

من الكوفة يتحسّسون خبري؛ فحين رأوني رجعوا عني متقدمين بالخبر إلى أمير المؤمنين.

ودخلت على الرشيد، فقال: هات ما عندك، وإياك أن تغفل منه لفظة واحدة. فسقت الحديث من أوله إلى آخره حتى انتهيت إلى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والطهور والبخور والصلاة وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجهه ويتزايد، حتى انتهيت إلى فراغ الأموي من الصلاة والتفاته إليّ ومسألته إياي عن سبب قدومي ودفعي الكتاب إليه ومبادرته إلى أمر ولده وأسبابه وأهله وأصحابه وخدمه ألا يتبعه أحد منهم وصرفه إياهم ومدّ رجليه حتى قيدته، فما زال وجه الرشيد يسفر، فلما انتهيت إلى ما خاطبني به عند توبيخي إياه لما ركبنا في المحمل قال: صدق والله! ما هذا إلا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه، ولعمري لقد بالغنا في أذيته وإرعاب أهله وعشيرته، فبادِر إلى نزع قيوده وأتني به. فخرجت فنزعت قيوده عنه وأدخلته إلى الرشيد، فلما وقع بصره عليه رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد، فدنا الأموي وسلّم بالخلافة ووقف، فردّ عليه السلام ردًّا جميلًا وأمره بالجلوس فجلس، فأقبل عليه الرشيد يلاطفه ويسائله عن حاله، ثم قال له: إنه بلغنا عنك هيئة جميلة وآثار جليلة أحببنا أن نراك بجميل صفاتك ونسمع محاسن كلماتك فنعطف بسبب ذلك عليك ونؤدي شكر نعمة الله علينا بالإحسان إليك، فاذكر حاجتك، فأجاب الأموي جوابًا رائقًا وشكر ودعا وقال: أما حاجتي فلا حاجة لي إلا واحدة، قال: مقضية، فما هي؟ قال:

يا أمير المؤمنين، تردّني إلى بلدي وأهلي وولدي، قال: نحن نفعل ذلك، ولكن سل ما تحتاج إليه من صلاح جاهك ومعاشك؛ فمثلك لا يخلو أن يحتاج إلى شيء من هذا، فقال: عمال أمير المؤمنين منصفون، وقد استغنيت بعدله عن مسألة شيء من أمواله، وأموري منتظمة وأحوالي مستقيمة، وكذلك أمور أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل دولة أمير المؤمنين، فلا أستغنم ماله. فقال له الرشيد: انصرف محفوظًا إلى بلدك، فلا يكون أمر بالشام إلا برأيك، فاكتب إلينا بأمر إن عرض لك. فودّعه الأمويّ خارجًا ثم أتبعه الرشيد بجائزة سنية وخلعة بهية. فلما ولّى خارجًا قال لي الرشيد: يا منارة احمله من وقته فسِرْ به راجعًا كما سيّرته إلينا، حتى إذا أوصلته إلى المجلس الذي أخذته منه فدعه فيه مكرَّمًا وانصرِف.

[التذكرة الحمدونية ٨/٥٥، حل العقال ص٧٥-٧٧]



بعث عضد الدولة القاضي أبا بكر الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله في العلم، فأفكر الملك في أمره وعلم أنه لا يكفِّر له إذا دخل عليه كما جرى رسم الرعية أن تُقبِّل الأرض بين يدي الملوك، ثم نتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء بابٍ لطيفٍ لا يُمَكِّن أحدًا أن يدخل منه إلا راكعًا ليدخل القاضي منه على تلك الحال عوضًا من تكفيره بين يديه، فلما وضع سريره في ذلك الموضع أمر بإدخال القاضي من الباب، فسار حتى وصل إلى المكان، فلما رآه تفكّر فيه ثم فطن بالقصة، فأدار ظهره وحنى رأسه ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه

وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب ظهره وأدار وجهه حينئذ إلى الملك، فعجب من فطنته ووقعت له الهيبة في نفسه.

[المنتظم ١٥/٩٦]



قال أبو بكر محمد بن عبد الله الأسدي: حججتُ في بعض السنين وحجّ في تلك السنة أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي وأبو بكر الأَدَمي القارئ، فلما صرنا بمدينة الرسول ﷺ جاءني أبو القاسم البغوي فقال لي: يا أبا بكر، ههنا رجل ضرير قد جمع حلقة في مسجد رسول الله ﷺ وقعد يقصّ ويروي الكذب من الأحاديث الموضوعة والأخبار المفتعلة، فإن رأيت أن تمضي بنا إليه لننكر عليه ذلك ونمنعه منه؟ فقلت له: يا أبا القاسم، إن كلامنا لا يؤثر مع هذا الجمع الكثير والخلق العظيم، ولسنا ببغداد فيعرف لنا موضعنا وننزل منازلنا، ولكن ههنا أمر آخر هو الصواب، وأقبلتُ على أبي بكر الأدمي فقلت له: استعذ واقرأ، فما هو إلا أن ابتدأ بالقراءة حتى انفلَّتِ الحلقة وانفصل الناس جميعًا وأحاطوا بنا يسمعون قراءة أبي بكر، وتركوا الضرير وحده، فسمعته يقول لقائده: خذ بيدي فهكذا تزول النعم.

[تاريخ بغداد ٢/٥٢٦]





القلب

أتى أمَّ الدرداء رجلٌ فقال: إن بي داءً من أعظم الداء، فهل عندكِ له دواء؟ قالت: وما ذاك؟ قال: إني أجد قسوة في القلب. فقالت: أعظم الداء داؤك: عُدِ المرضى واتبع الجنائز واطَّلِع في القبور لعل الله أن يلين قلبك، ففعل الرجل فكأنه أحس من نفسه رقة، فجاء إلى أم الدرداء يشكر لها.

[الزهد لأبي داود ص١٩٦-١٩٧]



قال عمرو بن ميمون بن مهران: خرجتُ بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررت بجدول فلم يستطع الشيخ يتخطاه فاضطجعت له فمرَّ على ظهري، ثم قمت فأخذتُ بيده ثم دفعنا إلى منزل الحسن، فطرقتُ الباب فخرجتْ إلينا جاريةٌ سداسيةٌ، فقالت: من هذا؟ قلت: هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن، فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم، قالت: يا شقيّ، ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء؟ قال: فبكى الشيخ، فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد، قد أنستُ من قلبي غلظةً فاستلن لي منه، فقرأ الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾، فسقط الشيخ، فرأيته يفحص برجله كما تفحص الشاة المذبوحة، فأقام طويلًا ثم أفاق، فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ، قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبي فخرجت به، ثم قلت: يا أبتاه، هذا الحسن قد

كنت أحسب أنه أكبر من هذا، قال: فوكزني في صدري وكزة ثم قال: يا بني، لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لبقي لها فيك كلوم.

[حلية الأولياء ٤/٨٢-٨٣]



جاء رجل إلى محمد بن سيرين فذكر له شيئًا من القدر، فقال محمد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ ووضع إصبعَي يديه في أذنيه وقال: إما أن تخرج عني وإما أن أخرج عنك، فخرج الرجل، فقال محمد: إن قلبي ليس بيدي، وإني خفت أن ينفث في قلبي شيئًا فلا أقدر على أن أخرجه منه، فكان أحب إلي أن لا أسمع كلامه.

[طبقات ابن سعد ٩/١٩٦]

كان طاوس بن كيسان جالسًا وعنده ابنه، فجاء رجل من المعتزلة فتكلم في شيء فأدخل طاوس إصبعيه في أذنيه وقال: يا بني أدخل إصبعك في أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئًا؛ فإن هذا القلب ضعيف، ثم قال: أي بني، اسدد، فما زال يقول اسدد حتى قام الآخر.

[تلبيس إبليس ص١٤]



قال عمر بن صالح الطرسوسي: سألت الإمام أحمد بم تلين القلوب؟ فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه فقال: يا بُنيّ بأكل الحلال، فمررتُ كما أنا إلى أبي نصر بشر بن الحارث، فقلت له: يا أبا نصر بم تلين القلوب؟ قال:

﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾، قلت: فإني جئتُ من عند أبي عبد الله، فقال: هيه، أيش قال لك أبو عبد الله؟ قلت: بأكل الحلال، فقال: جاء بالأصل، فمررتُ إلى عبد الوهاب بن أبي الحسن فقلت: يا أبا الحسن بم تلين القلوب؟ قال: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾، قلت: فإني جئتُ من عند أبي عبد الله، فاحمرّت وجنتاه من الفرح وقال لي: أيش قال أبو عبد الله؟ فقلت: قال: بأكل الحلال، فقال: جاءك بالجوهر، جاءك بالجوهر، الأصل كما قال، الأصل كما قال. [حلية الأولياء ٩/١٨٢]



مضى ابن الأنباري يومًا في النخاسين وجاريةٌ تُعرض حسنةٌ كاملة الوصف، قال: فوقعَتْ في قلبي، ثم مضيتُ إلى دار أمير المؤمنين الراضي، فقال لي: أين كنت إلى الساعة؟ فعرفته، فأمر بعض أسبابه، فمضى فاشتراها وحملها إلى منزلي، فجئت فوجدتها، فعلمت الأمر كيف جرى، فقلت لها: كوني فوقُ إلى أن أستبرئكِ، وكنت أطلب مسألةً قد اختلَّت عليَّ، فاشتغل قلبي، فقلت للخادم: خذها وامض بها إلى النخاس، فليس قدرها أن تشغل قلبي عن علمي، فأخذها الغلام، فقالت: دعني أكلمه بحرفين، فقالت: أنت رجل لك محلٌّ وعقل، وإذا أخرجتني ولم تبين لي ذنبي لم آمن أن يظن الناس فيَّ ظنًّا قبيحًا، فعرِّفنيه قبل أن تخرجني، فقلت لها: ما لكِ عندي عيبٌ غير أنكِ شغلتِني عن علمي، فقالت: هذا أسهل عندي، فبلغ الراضيَ أمرُه، فقال: لا ينبغي أن يكون العلمُ في قلب أحدٍ أحلى منه في صدر هذا الرجل.

[تاريخ بغداد ٤/٢٩٩]



معرفة النفس

قال سالم مولى زيد بن صوحان: كنت مع مولاي زيد بن صوحان في السوق، فمر علينا سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد اشترى وسقًا من طعام، فقال له زيد: يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت وتفرغت للعبادة وأيس منها الوَسواس. [حلية الأولياء ١/٢٠٧]

❁ ❁ ❁

قال أبو وائل: مضيت مع صاحب لي إلى سلمان نزوره، فقدّم إلينا خبز شعير وملحًا جريشًا، فقال صاحبي: لو كان في هذا الملح سعتر لكان أطيب، فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترًا، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة. [قوت القلوب ٢/٣٠٤]

❁ ❁ ❁

الْتقى سفيان الثوري والفضيل، فتذاكرا، فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسُنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة، فقال له فضيل: لكني أخاف أن يكون أعظمَ مجلس جلسناه شؤمًا!، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك فتزينتَ به لي، وتزينتُ لك، فعبدتني وعبدتك؟ فبكى سفيان حتى علا نحيبه، ثم قال: أحييتني أحياك الله. [سير أعلام النبلاء ٧/٢٦٧]

قال محمد بن عبد الرحمن الطرائفي: حضرت بدمشق عند ابن جوصا، فجعلت أتملّقه فقلت: أيها الشيخ، مثلك مثل ما قال كُثيِّر عزة:

وإذا الـــدر زان حـسـن وجـوه	كـان لـلـدر حـسـنُ وجـهـكِ زينا
وتـزيـديـن أطـيـب الـطـيـب طِيبًا	إن لمـسـتـيـه أيــن مـثـلُـكِ أينا

فقال: هوِّن عليك، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: لا يغر المدحُ مَن عرف نفسه.

[الجامع لأخلاق الراوي ١/٢١٠]



قال عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة: كانت عندي جارية عجمية وضيئة، وكنت بها معجبًا، وكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبي، فانتبهتُ فلم أجدها فالتمستها فلم أجدها، وقلت: سر، فلما وجدتها وجدتها ساجدة وهي تقول: بحبك لي اغفر لي، قلت لها: لا تقولي هكذا، قولي بحبي لك اغفر لي، فقالت: يا بطال، حبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، وبحبه لي أيقظ عيني وأنام عينك، قلت: اذهبي فأنت حرة لوجه الله، قالت: يا مولاي، أسأت إلي، كان لي أجران صار لي أجر واحد. [تاريخ بغداد ١٠/٣٠٩]





مخالطة الناس

شهد رجل عند عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهادة فقال له: لست أعرفُك، ولا يضرك ألّا أعرفَك، ائت بمن يعرفُك، فقال رجل من القوم: أنا أعرفه، قال: بأي شيء تعرفه؟ قال: بالعدالة والعقل. قال: هو جارك الأولى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا، قال: فعاملك بالدرهم والدينار اللذين يستدل بهما على الورع؟ قال: لا، قال: فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا، قال: لست تعرفه، ثم قال للرجل: ائت بمن يعرفُك. [الكفاية في علم الرواية ص٨٣]

❁ ❁ ❁

خرج عبد الله بن محيريز إلى بزّاز يشتري منه ثوبًا والبزاز لا يعرفه، وعنده رجل يعرفه، فقال: بكم هذا الثوب؟ قال الرجل: بكذا وكذا، فقال الرجل الذي يعرفه: أحسن إلى ابن محيريز، فقال ابن محيريز: إنما جئت أشتري بمالي ولم أجئ أشتري بديني، فقام ولم يشتر. [حلية الأولياء ٥/١٣٨]

❁ ❁ ❁

قال الجنيد بن محمد: كنتُ أعود السريّ في كل ثلاثة أيام عيادة السنة، فدخلت عليه وهو يجود بنفسه، فجلستُ عند رأسه فبكيت، وسقط من دموعي على خده، ففتح عينيه ونظر إليّ، فقلت له: أوصني، فقال: لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار. [تاريخ بغداد ١٠/٢٦٠]

❁ ❁ ❁



قال عبد الله بن عبد الحكم: هيّأ مالك بن أنس دُعوةً للطلبة وكنتُ فيهم، فمضينا معه إلى داره، فلما دخلنا الدار قال: هذا المستراح وهذا الماء، ثم دخلنا البيت فلم يدخل معنا، ودخل بعد ذلك فأتانا بالطعام، ولم يؤت بالماء قبله لغسل أيدينا، ثم أتي به بعده، فلما خرج الناس سألته عما رأيتُ، قال: أما إعلامي لكم بالمستراح والماء فإنما دعوتكم لأبَرَّكم، ولعل أحدكم يصيبه بول أو غيره فلا يدري أين يذهب فيصل إليه الضرر، وأما تركي الدخول معكم في البيت فلعلي أقول: هاهنا أبا فلان اجلس، وهاهنا أبا فلان اجلس، وقد أنسى بعضكم فيظنّ ذلك نقصًا فيه، فتركتكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلت عليكم، وأما تركي الماء قبل الطعام فإن الوضوء قبله من سنة الأعاجم، وأما بعده فقد جاء في ذلك حديث. [ترتيب المدارك ١/١٣٠]



كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة إسكافٌ يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنّه الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحمًا فطبخه، أو سمكة فيشويها، ثم لا يزال يشرب حتى إذا دبّ الشراب فيه غنّى بصوتٍ، وهو يقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسِداد ثَغْرِ

فلا يزال يشرب ويردّد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جَلَبَته كل يوم، وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته، فسأل عنه، فقيل: أخذه العَسَس منذ ليالٍ وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غدٍ وركب بغلته واستأذن على الأمير، قال الأمير:

ائذنوا له، وأقبلوا به راكبًا ولا تَدَعوه ينزل حتى يطأ البساط، ففعل، فلم يزل الأمير يوسع له من مجلسه، وقال: ما حاجتك؟ قال: لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليالٍ، يأمر الأمير بتخليته، فقال: نعم، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه، فقال: يا فتى، أضعناك؟ فقال: لا، بل حفظتَ ورعيت، جزاك الله خيرًا عن حرمة الجوار ورعاية الحق، وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان. [تاريخ بغداد ١٥/٤٩٦]



باع أبو الجهم سليمان بن الجهم الأنصاري داره بمائة ألف درهم ثم قال: فبكم تشترون جوار سعيد بن العاص؟ قالوا: وهل يشترى جوار قط؟ قال: ردوا علي داري ثم خذوا مالكم، لا أدع جوار رجل إن قعدت سأل عني وإن رآني رحب بي وإن غبت حفظني وإن شهدت قرَّبني وإن سألته قضى حاجتي وإن لم أسأله بدأني وإن نابتني فرج عني، فبلغ ذلك سعيدًا فبعث إليه بمائة ألف درهم. [وفيات الأعيان ٢/٥٣٥]





الملـذات

كلم عبد الله بن عمر وحفصة وغيرهما عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فقالوا: لو أكلت طعامًا طيبًا كان أقوى لك على الحق، قال: أكلُّكم على هذا الرأي؟ قالوا: نعم، قال: قد علمت نصحكم، ولكني تركت صاحبيّ على جادة، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل. [تاريخ الخلفاء ١٠٤]

❁❁❁

قال حفص بن أبي العاص: كنا نتغدى عند عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بخبز جَشِب، وكان ينهى الناس أن ينخلوا الدقيق ويقول: هو طعام، فنتغدى ثريدًا بلبن أو ثريدًا بلحم غليظ فلا يأكل القوم! فقلت: يا أمير المؤمنين إنهم يرجعون إلى طعام هو ألين منه، فقال: أوَ ما كنتَ تراني أُحْسِن أعمد إلى صاع أو صاعي زبيب فيرش عليه من الماء ثم يصفَّى كأنه دم غزال، وأعمد إلى صاع أو صاعي دقيق فيُحوَّر لي، وأعمد إلى عَناق فتذبح ويلقى عنها شعرها ثم تخرج من التنور كأنه صِنًا؟ قلت: يا أمير المؤمنين إني أراك عالمًا بطيب الطعام، قال: أجل والله الذي لا إله إلا هو، ولكني لا أتعجل طيباتي وقد سمعت الله ذكر قومًا فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾. [الزهد لأبي داود ص٨٤]

❁❁❁

أتي عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من بيت حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بطبق فيه ماء وعسل، فلما وضعه في فيه دفعه إلى بعض من عنده، فلما شربه قال: يا أمير

المؤمنين ما منعك أن تشرب؟ فما شربت شربة أطيب ولا أحلى منه. قال: كرهت منه الذي أعجبك، إنني سمعت الله عيَّر قومًا فقال: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا ...﴾ الآية». [الزهد لأبي داود ص١٠٣]

❁ ❁ ❁

قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لقيني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعي لحم اشتريته بدرهم فقال: ما هذا؟ فقلت: يا أمير المؤمنين اشتريته للصبيان والنساء. فقال عمر: لا يشتهي أحدكم شيئًا إلا وقع فيه؟ - مرتين أو ثلاثًا - أوَلا يطوي أحدكم بطنه لجاره وابن عمه، ثم قال: أين يُذهَب بكم عن هذه الآية: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾؟» [الزهد لأبي داود ٧٨]

❁ ❁ ❁

دخل ابن مطيع على عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يعوده، فرآه قد نحل جسمه فقال لصفية: ألا تلطفينه لعله أن يرتد إليه جسمه، تصنعين له طعامًا؟ قالت: إنا لنفعل ذلك، ولكن لا يدع أحدًا من أهله ولا من يحضره إلا دعاه إليه، فلو أنك كلمته. فقال له ابن مطيع: لو اتخذت طعامًا يرجع إليك جسمك؟ قال: إنه ليأتي عليَّ ثماني سنين ما أشبع فيها شبعة واحدة، أو قال: إلا شبعة واحدة، فالآن أريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظِمْءُ حمار؟!».

[الزهد لأبي داود ص٢٦٩]

❁ ❁ ❁

قال سعيد بن جبير: صنعتُ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأصحابه ألوانًا من الطعام والخبيص، فقال لي: يا سعيدُ إنا قوم عرب، فاصنع لنا مكان هذه

الألوان الثريد ومكان هذه الأخبصة الحيس، ولولا أنك رجل منا أهل البيت ما قلت لك.

[الجوع لابن أبي الدنيا ص١٥٩]



قال مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز: اشتريت لعمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة للوليد كساء خز بستمائة دينار أو سبعمائة دينار فجعل يجسه ويقول: إنه خشن، فلما ولي الخلافة قال: إني لأجد البرد بالليل، فاشتريت له كساء بعشرة دراهم فلما أتيته به جعل يجسه ويقول: إنه للَيِّن فضحكت فقال: مم تضحك؟ فقلت: ما تذكر حين اشتريت لك كساء بستمائة دينار أو بسبعمائة فجعلت تقول: إنه لخشن؟ وتقول لهذا إنه للين! فقال: يا مزاحم، والله لئن كان عيش سليمان بن عبد الملك وعيش زياد مولى ابن عياش واحدًا لأن أعيش في الدنيا بعيش سليمان أحب إلي، ولئن كان زياد مولى ابن عياش صبر في الدنيا على العيش الذي يعيشه لكي يطيب له العيش في الآخرة فوالله لأن أصبر على مثل عيش زياد هذه الأيام القلائل ليطيب لي العيش في الآخرة في تلك الأيام الكثيرة أحب إلي».

[تاريخ دمشق ١٩/ ٢٣٨]



قال أبو الربيع الأعرج: دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرب لي كسيرات يابسة، فعطشت فقمت إلى دنٍّ فيه ماء حار، فقلت: رحمك الله! لو اتخذت دنًّا غير هذا يكون فيه الماء باردًا، فقال لي: إذا كنت لا أشرب إلا باردًا ولا آكل إلا طيِّبًا ولا ألبس إلا ليِّنًا فما أبقيت لآخرتي؟

[وفيات الأعيان ٢/٢٦١]



تربية النفس

نادى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: أيها الناس لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم فيقبض لي القبضة من التمر والزبيب فأظل اليوم وأي يوم! فقال له عبد الرحمن بن عوف: والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قصرت بنفسك، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويحك يا ابن عوف، إني خلوت فحدثتني نفسي فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها. [أدب الدنيا والدين ص٢٣٩]



أتى رجل تميمًا الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: كيف صلاتك بالليل؟ فغضب غضبًا شديدًا، فقال: والله لركعةٌ أصليها في جوف الليل في السرِّ أحبُّ إليَّ من أن أصلي الليل كلَّه ثم أقصَّه على الناس، فغضب السائلُ عند ذلك فقال: يا أصحاب رسول الله، الله أعلم بكم إن سألناكم عنَّفتمونا، وإن لم نسألكم جفوتمونا! فأقبل تميم عند ذلك على الرجل فقال: أرأيتَ إن كنتَ مؤمنًا قويًّا وأنا مؤمن ضعيف أكنتَ ساطيًا عليَّ بقوتك فتقطعَني؟ أرأيتَ إن كنتَ مؤمنًا ضعيفًا وأنا مؤمن قويٌّ كنتُ ساطيًا عليك بقوتي فأقطعَك؟ ولكن خذ من نفسك لدينك، ومن دينك لنفسك حتى تستقيم لك على عبادةٍ ترضاها.

[الزهد للإمام أحمد ١/٣٥٦]

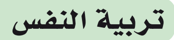


خرج حسان بن أبي سنان يوم العيد، فلما رجع قالت له امرأته: كم من امرأة حسنة نظرتَ إليها اليوم ورأيتها! فلما أكثرتْ قال: ويحكِ، ما نظرتُ إلا في إبهامي منذ خرجتُ من عندكِ حتى رجعتُ إليك. [حلية الأولياء ٣/١١٥]

قال حذيفة المرعشي: قدم شقيق البلخي مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة، فاجتمع الناس فقالوا: نجمع بينهما، فجمعوا بينهما في المسجد الحرام، فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق: يا شقيق، علام أصَّلتم أصولكم؟ فقال شقيق: أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا أكلنا وإذا منعنا صبرنا، فقال إبراهيم بن أدهم: هكذا كلاب بلخ، إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت، فقال شقيق: فعلى ماذا أصلتم أصولكم يا أبا إسحاق؟ فقال: أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا آثرنا وإذا منعنا حَمِدْنا وشكَرْنا، قال: فقام شقيق وجلس بين يديه وقال: يا أبا إسحاق، أستاذنا أنت. [المجالسة ١/١٩٠]



كان عافية القاضي يتقلّد للمهدي القضاء بأحد جانبي مدينة السلام مكان ابن علاثة، وكان عافية عالمًا زاهدًا، فصار إلى المهدي في وقت الظهر في يوم من الأيام وهو خالٍ، فاستأذن عليه فأدخله، فإذا معه قمطره، فاستعفاه من القضاء، واستأذنه في تسليم القمطر إلى من يأمر بذلك، فظنّ أن بعض الأولياء قد غضّ منه أو أضعف يده في الحكم، فقال له في ذلك، فقال: ما جرى من هذا شيء، قال: فما سبب استعفائك؟ فقال: كان يتقدّم إلي خصمان



موسران وجيهان منذ شهرين في قضية معضلة مشكلة وكلٌّ يدعي بينةً وشهودًا ويدلي بحججٍ تحتاج إلى تأمل وتثبت، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا أو يَعِنّ لي وجه فصل ما بينهما، قال: فوقف أحدهما من خبري على أني أحب الرطب السكر، فعمد في وقتنا وهو أول أوقات الرطب إلى أن جمع رطبًا سكرًا لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله إلا لأمير المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشا بوابي جملة دراهم على أن يدخل الطبق إليّ ولا يبالي أن يردّ، فلما أدخل إليّ أنكرت ذلك وطردت بوابي، وأمرت بردّ الطبق فرُدّ، فلما كان اليوم تقدّم إليّ مع خصمه فما تساويا في قلبي ولا في عيني، وهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل، فكيف يكون حالي لو قبلت، ولا آمن أن يقع عليّ حيلة في ديني فأهلك، وقد فسد الناس، فأقلني أقالك الله وأعفني، فأعفاه.

[تاريخ بغداد ١٤/٢٥٤]





علو الهمة

وجّه عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جيشًا إلى الروم، فأسروا عبد الله بن حُذافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فقال: هل لك أن تتنصَّر وأعطيَك نصفَ ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ملك العرب ما رجعتُ عن دين محمد طرفةَ عين، قال: إذن أقتلَك، قال: أنت وذاك، فأمر به فصُلِبَ، وقال للرُّماة: ارمُوه قريبًا من بدنه، وهو يعرِض عليه ويأبى، فأنزله، ودعا بقِدْرٍ، فصبّ فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرَيْنِ من المسلمين فأمر بأحدهما فأُلقي فيها وهو يَعرِضُ عليه النصرانية وهو يأبى. ثم بكى، فقيل للملك: إنّه بكى، فظنّ أنه قد جزع، فقال: رُدُّوه، ما أبكاك؟ قال: هي نفس واحدةٌ تُلقى الساعةَ فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفسٌ تُلقى في النار في الله! فقال له الطاغية: هل لك أن تقبِّل رأسي وأخلِّي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم، فقبَّل رأسَه. وقدم بالأُسارى على عُمر فأخبره خبره، فقال عمر: حقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأسَ ابن حُذافة وأنا أبدأ، فقبَّل رأسَه. [سير أعلام النبلاء ٢/١٤]



قال عبد الله بن الزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هجم علينا جُرجير في عشرين ومائة ألف، فأحاطوا بنا ونحن في عشرين ألفًا، واختلف الناسُ على ابن أبي سَرْحٍ، فدخل فُسطاطه، فرأيتُ غِرَّةً من جرجير، بصرْتُ به خَلْفَ عساكره

على برذون أشهَبَ، معه جاريتان تُظلِّلان عليه بريش الطواويس، بينه وبين جيشه بيضاءُ، فأتيتُ أميرَنا ابنَ أبي سرحٍ، فندب لي الناس فاخترتُ ثلاثين فارسًا، وقلتُ لسائرهم: البثوا على مصافِّكم، وحملتُ وقلتُ لهم: احمُوا ظهري، فخرقتُ الصف إلى جرجير وخرجت صامدًا، وما يحسب هو ولا أصحابُه إلا أني رسولٌ إليه، حتى دنوت منه فعرفَ الشرَّ، فثابر برذونه مولِّيًا، فأدركتُه فطعنتُه فسقط، ثم احتززتُ رأسَه فنصبتُه على رمحي وكبَّرتُ، وحمل المسلمون، فارفضَّ العدوُّ ومنح الله أكتافَهم. [سير أعلام النبلاء ٣/٣٧١]

❁ ❁ ❁

انقطع خبر المسلمين عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسير عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في جماعة إليهم ليأتيه بأخبارهم، فسار مجدًّا ووصل إليهم وأقام معهم، ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين، فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد أتاهم عسكر، ففت ذلك في عضده. ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة إلى الظهر، فإذا أذن الظهر عاد كل فريق إلى خيامه، وشهد القتال من الغد فلم ير ابن أبي سرح معهم، فسأل عنه، فقيل إنه سمع منادي جرجير يقول: من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي، وهو يخاف، فحضر عنده وقال له: تأمر مناديًا ينادي: من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده. ففعل ذلك، فصار جرجير يخاف أشد من عبد الله.

ثم إن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد: إن أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم في أمداد متصلة وبلاد هي لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين

وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غدًا جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين، ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون، ونقصدهم على غرة، فلعل الله ينصرنا عليهم، فأحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك. فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه، وأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة، ومضى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالًا شديدًا. فلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة، فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثم عاد عنهم هو والمسلمون، فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعبًا، فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحًا من شجعان المسلمين، وقصد الروم، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم، وحملوا حملة رجل واحد وكبروا، فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم، حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير، قتله ابن الزبير، وانهزم الروم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذت ابنة الملك جرجير سبية.

[الكامل في التاريخ ٢/٤٦٣]



خرجت أم حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع زوجها عكرمة بن أبي جهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى غزو الروم، فاستشهد فتزوّجها خالد بن سعيد بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما كانت وقعة مرج الصُّفَّر أراد خالد أن يدخل بها، فقالت: لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع! فقال: إن نفسي تحدثني أني أقتل، قالت: فدونك، فأعرس بها

عند القنطرة فعُرفتْ بها بعد ذلك، فقيل لها قنطرة أم حكيم، ثم أصبح فأولم عليها، فما فرغوا من الطعام حتى وافتهم الروم، ووقع القتال، فاستشهد خالد، وشدت أم حكيم عليها ثيابها، وتبدّت وإن عليها أثر الخلوق. فاقتتلوا على النهر، فقاتلت أم حكيم يومئذ فقتلت بعمود الفسطاط الّذي أعرس بها خالد فيه سبعة من الروم. [الإصابة ٨/٣٧٨]



غزا عبد الوهاب بن بخت مع عبد الله البطال أرض الروم، فانهزم الناس عن البطال، فحمل عبد الوهاب وهو يقول: ما رأيت فرسًا أجبن منك، سفك الله دمي إن لم أسفك دمك! ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح: أنا عبد الوهاب بن بخت! أمن الجنة تفرون! ثم تقدم في نحر العدو، فمر برجل يقول: واعطشاه! فقال: تقدم، الري أمامك، فخالط القوم، فقُتل وقتل فرسه. [الكامل في التاريخ ٤/ ٢٠٩]

قال عبد الله البطال: سألني بعض ولاة بني أمية عن أعجب ما كان من أمري في مغازي فيهم، فقلت له: خرجت في سرية ليلًا، فدفعنا إلى قرية، فقلت لأصحابي: أرخوا لجم خيلكم ولا تحركوا أحدًا بقتل ولا بشيء حتى تستمكنوا من القرية ومن سكانها، ففعلوا وافترقوا في أزقتها، فدفعت في أناس من أصحابي إلى بيت يزهر سراجه، وإذا امرأة تسكت ابنها من بكائه

وهي تقول له: لتسكتن أو لأدفعنك إلى البطال يذهب بك، وانتشلته من سريره وقالت: خذه يا بطال، قال: فأخذته. [البداية والنهاية ٩/٣٦٣]



قال عبد الله البطال: انفردت مرة ليس معي أحد من الجند، وقد سمعت خلفي مخلاة فيها شعير، ومعي منديل فيه خبز وشواء، فبينا أنا أسير لعلي ألقى أحدًا منفردًا أو أطلع على خبر إذا أنا ببستان فيه بقول حسنة، فنزلت وأكلت من ذلك البقل بالخبز والشواء مع النَّقْل، فأخذني إسهال عظيم قمت منه مرارًا، فخفت أن أضعف من كثرة الإسهال، فركبت فرسي والإسهال مستمر على حاله، وجعلت أخشى إن أنا نزلت عن فرسي أن أضعف عن الركوب، وأفرط بي الإسهال في السير حتى خشيت أن أسقط من الضعف، فأخذت بعنان الفرس ونمت على وجهي لا أدري أين يسير الفرس بي، فلم أشعر إلا بقرع نعاله على بلاط، فأرفع رأسي فإذا دير، وإذا قد خرج منه نسوة صحبة امرأة حسناء جميلة جدًّا، فجعلت تقول بلسانها: أنزلنه، فأنزلنني فغسلن عني ثيابي وسرجي وفرسي، ووضعنني على سرير وعملن لي طعامًا وشرابًا، فمكثت يومًا وليلة مستويًا، ثم أقمت بقية ثلاثة أيام حتى ترد إلي حالي، فبينا أنا كذلك إذا أقبل البطريق وهو يريد أن يتزوجها، فأمَرَتْ بفرسي فحول وغُلِّق عليّ الباب الذي أنا فيه، وإذا هو بطريق كبير فيهم، وهو إنما جاء لخطبتها، فأخبره من كان هنالك بأن هذا البيت فيه رجل وله فرس، فهم بالهجوم علي فمنعته المرأة من ذلك، وأرسلت تقول له: إن فتح عليه الباب

لم أقض حاجته، فثناه ذلك عن الهجوم علي، وأقام البطريق إلى آخر النهار في ضيافتهم، ثم ركب فرسه وركب معه أصحابه وانطلق. قال البطال: فنهضت في أثرهم فهَمَّت أن تمنعني خوفًا علي منهم فلم أقبل، وسقت حتى لحقتهم، فحملت عليه فانفرج عنه أصحابه، وأراد الفرار فألحقه فأضرب عنقه واستلبته، وأخذت رأسه مسمطًا على فرسي ورجعت إلى الدير، فخرجن إلي ووقفن بين يدي، فقلت: اركبن، فركبن ما هنالك من الدواب وسقت بهن حتى أتيت أمير الجيش فدفعتهن إليه، فنفلني ما شئت منهن، فأخذت تلك المرأة الحسناء بعينها، فهي أم أولادي. [البداية والنهاية ٩/ ٣٦٣-٣٦٤]



خلعت الروم من الملك الست ريني وهلكت بعد أشهر وأقاموا عليهم نقفور، والروم تزعم أن نقفور من ولد جفنة الغساني الذي تنصّر، وكان نقفور قبل الملك يلي نظر الديوان. فكتب نقفور هذا الكتاب: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرُّخّ وأقامت نفسها مقام البيذق، فحملت إليك من أموالها، وذلك لضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل قبلك وافتد نفسك، وإلا فالسيفُ بيننا. فلما قرأ الرشيد الكتاب اشتد غضبه وتفرق جلساؤه خوفًا من بادرة تقعُ منه، ثم كتب بيده على ظهر الكتاب: من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم! قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون ما تسمعه، ثم ركب من يومه وأسرع حتى نزل على مدينة هرقلة،

وأوطأ الروم ذلًّا وبلاءً، فقتل وسبى، وذل نقفور وطلب الموادعة على خراج يحملُه، فأجابه. فلما رد الرشيد إلى الرقة نقض نقفور، فلم يجسر أحد أن يبلغ الرشيد، حتى عملت الشعراء أبياتًا يلوحون بذلك، فقال: أوقد فعلها؟ فكرّ راجعًا في مشقة الشتاء حتى أناخ بفنائه ونال منه مراده. وفي ذلك يقول أبو العتاهية:

ألا نَادَتْ هِرَقلةُ بالخراب ... مِنَ الملكِ الموفق للصواب

غدا هارونُ يُرعِد بالمنايا ... ويُبرق بالمذكرة الصعاب

ورايات يحل النصرُ فيها ... تمُرّ كأنها قِطَعُ السَحاب

[العبر ١/٢٢٧-٢٢٨]





إصلاح المال

خرج أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى السوق ليشتري قميصًا، فلقي أبا ذر فقال: أين تريد يا أبا الدرداء؟ قال: أريد أن أشتري قميصًا، قال: بكم؟ قال: بعشرة دراهم، قال: فوضع يده على رأسه ثم قال: ألا إن أبا الدرداء من المسرفين! قال: فالتمست مكانًا أتوارى فيه فلم أجد، فقلت: يا أبا ذر، لا تفعل، مُرّ معي فاكسني أنت، قال: وتفعل؟ قلت: نعم؛ فأتى السوق، فاشترى قميصًا بأربعة دراهم، قال: فانصرفت، حتى إذا كنت بين منزلي والسوق لقيت رجلًا لا يكاد يواري سوءته، فقلت له: اتق الله ووار سوءتك، فقال: والله ما أجد ما أواري به سوءتي، فألقيت إليه الثوب ثم انصرفت إلى السوق، فاشتريت قميصًا بأربعة دراهم، ثم انصرفت إلى منزلي، فإذا خادمةٌ على الطريق تبكي قد اندق إناؤها، فقلت: ما يبكيك؟ فقالت: اندق إنائي فأبطأت على أهلي، فذهبت معها إلى السوق، فاشتريت لها سمنًا بدرهم، فقالت: يا شيخ! أما إذ فعلت ما فعلت، فامش معي إلى أهلي فإني قد أبطأت وأخاف أن يضربوني، قال: فمشيت معها إلى مواليها، فدعوت فخرج مولاها إليَّ فقال: ما عندك يا أبا الدرداء؟ فقلت: خادمتكم أبطأت عنكم وأشفقت أن تضربوها فسألتني أن آتيكم لتكفوا عنها، قال: فأنا أشهدك أنها حرةً لوجه الله عَزَّوَجَلَّ لممشاك معها، قال: فقلت: أبو ذر أرشد مني حين كساني قميصًا وكسا مسكينًا قميصًا وأعتق رقبةً بعشرة دراهم. [مختصر تاريخ دمشق ٢٠/٢٦]



قال ميمون بن مهران: قدمت الكوفة وأنا أريد أن أشتري البز، فأتيت محمد بن سيرين وهو يومئذ بالكوفة فساومته، فجعل إذا باعني صنفًا من أصناف البز قال: هل رضيت؟ فأقول: نعم، فيعيد ذلك عليَّ ثلاث مرات، ثم يدعو رجلين فيشهدهما على بيعنا ثم يقول: انقل متاعك، وكان لا يشتري ولا يبيع بهذه الدراهم الحجاجية، فلما رأيت ورعه ما تركت شيئًا من حاجتي أجده عنده إلا اشتريته حتى لفائف البز. [الطبقات الكبرى ٧/ ٢٠٢]



كان حفص بن عبد الرحمن شريكًا للإمام أبي حنيفة وكان أبو حنيفة يجهِّز عليه، فبعث إليه في رفقة بمتاع وأعلمه أن في ثوب كذا وكذا عيبًا، فإذا بعته فبيِّن، فباع حفص المتاع ونسي أن يبين ولم يعلم ممن باعه، فلما علم أبو حنيفة تصدّق بثمن المتاع كله. [تاريخ بغداد ١٥/٤٩٠]



قال الفضيل بن عياض لابن المبارك: يا ابن المبارك أنت تأمرنا بالزهد والتقلُّل والبُلْغة ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي إنما أفعل ذا لأصون به وجهي وأكرم به عرضي وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقًّا إلا سارعتُ إليه حتى أقوم به، فقال له الفضيل: يا ابن المبارك، ما أحسن ذا إن تمّ ذا.

[تاريخ بغداد ١١/٣٩٧]



آجر سفيانُ الثوري نفسَه من جمَّالٍ إلى مكة فأمروه يعمل لهم خبزة، فلم تجئ جيدة فضربه الجمال، فلما قدموا مكة دخل الجمال، فإذا سفيان قد اجتمع حوله الناسُ، فسأل فقالوا: هذا سفيان الثوري، فلما انفضَّ عنه الناس تقدَّم الجمال إليه وقال: لم نعرفك يا أبا عبد الله، قال: من يُفْسِد طعامَ الناس يصيبُه أكثرُ من ذلك. [سير أعلام النبلاء ٧/٢٧٥]



قال عبد الله بن أحمد: حدثنا علي بن الجهم قال: كان لنا جار فأخرج إلينا كتابًا، فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: هذا خط أحمد بن حنبل، فكيف كتب لك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة، ففقدنا أحمد أيامًا، ثم جئنا لنسأل عنه، فإذا الباب مردود عليه، وعليه خلقان، فقلت: ما خبرك؟ قال: سرقت ثيابي، فقلت له: معي دنانير، فإن شئت صلة وإن شئت قرضًا، فأبى، فقلت: تكتب لي بأجرة؟ قال: نعم، فأخرجت دينارًا، فقال: اشترِ لي ثوبًا واقطعه نصفين، يعني إزارًا ورداء، وجئني ببقية الدينار، ففعلتُ وجئتُ بورق، فكتب لي هذا. [تاريخ الإسلام ١٨/٧٨]





قال أبو بردة: قال أبو موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: خرجنا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في غزوة ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه، فنَقِبتْ أقدامنا، ونقبت قدماي وسقطت أظفاري، وكنا نَلُفّ على أرجلنا الخِرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا. وحدث أبو موسى بهذا ثم كره ذاك، قال: «ما كنت أصنع بأن أذكره»، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه.

[صحيح البخاري ٥/١١٣]



قال عبد الله بن عون: كنت مع ابن سيرين في جنازة، فلما انصرفنا حضرت الصلاة، فلما أقيمت قيل لابن سيرين: تقدم، فقال ليتقدم بعضكم، ولا يتقدم إلا من قرأ القرآن، ثم قال لي: تقدم، فتقدمت فصليت بهم، فلما فرغت قلت في نفسي: ماذا صنعت؟ شيئًا كرهه ابن سيرين لنفسه تقدمت عليه! فقلت له: يرحمك الله، أمرتني بشيء كرهته لنفسك، فقال: إني كرهت أن يمر المار فيقول هذا ابن سيرين يؤم الناس.

[مصنف ابن أبي شيبة ١/٣٥٩]

قال عبدة بن سليمان المروزي: كنا سريَّةً مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدوّ، فلما التقى الصفَّان خرج رجلٌ من العدو فدعا إلى البِراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز،

فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً فطعنه فقتله فازدحم إليه الناسُ، فنظرتُ فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتُم وجهه بكُمِّه، فأخذت بطرف كمه فمددتُه، فإذا هو هو، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنِّع علينا.

[سير أعلام النبلاء ٨/٣٩٤]



قال صالح بن الإمام أحمد: عزم أبي على الخروج إلى مكة ليقضي حجة الإسلام، ووافق يحيى بن معين فقال: نمضي إن شاء الله، فنقضي حجتنا، ونمضي إلى عبد الرزاق إلى صنعاء نسمع منه، وكان يحيى بن معين يعرف عبد الرزاق وقد سمع منه، فوردنا مكة وطفنا طواف الورود فإذا عبد الرزاق في الطواف يطوف، فطاف وخرج إلى المقام فصلى ركعتين وجلس، فتممنا طوافنا أنا وأحمد، وجئنا وعبد الرزاق جالس عند المقام، فقلت لأحمد: هذا عبد الرزاق، قد أراحك الله من مسيرة شهر ذاهبًا وجائيًا ومن النفقة، فقال: ما كان الله يراني وقد نويت له نية أُفسدها ولا أتمها. [طبقات الحنابلة ١/١٧٥]



جاء رجل يقال له حمزة بن دهقان لبشر الحافي فقال: أُحبّ أن أخلو معك يومًا، فقال: لا بأس تُحدد يومًا لذلك، يقول حمزة: فدخلت عليه يومًا دون أن يشعر، فرأيته قد دخل قبة فصلى فيها أربع ركعات، لا أحسن أن أصلي مثلها، فسمعته يقول في سجوده: اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل -يعني عدم الشهرة- أحبُّ إليّ من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحبُّ إليّ من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أني

لا أُوثر على حبك شيئًا، يقول: فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء، فقال: اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن هذا هنا لم أتكلم. [صفة الصفوة ٤٧٦/١]

❁ ❁ ❁

حاصر مَسْلَمة حصنًا، فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد، فجاء رجل من عُرْض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الآذِن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلّا جاء، فجاء رجلٌ فقال: استأذن لي على الأمير، فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه، فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا: ألّا تسوّدوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو، قال: فذاك له. قال: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب. [عيون الأخبار ٢٦٦/١]



قال يحيى بن يحيى: ولما قرأ أسد على ابن القاسم الأسدية وضع أشهب يده في مثلها، فخالفه في جلها، فقلت لابن القاسم: يا أبا عبد الله، لو أعدت نظرك في هذه الكتب؛ فإن صاحبك قد خالفك، فما لاءَمك عليه أقررته وما خالفك فيه أعدت النظر فيه، فقال: أفعل إن شاء الله. فلما تقاضيته بعد أيام في ذلك فقال: يا أبا محمد نظرت في مقالتك، فوجدت إجابتي يوم أجبت

لله وحده، فرجوت أن أوفق، وإجابتي اليوم إنما تكون نقضًا على صاحبي، فأخاف أن لا أوفق في الأمر فتركته. [ترتيب المدارك ٣/ ٢٥٣]



ألّف الماوردي المؤلفات في التفسير والفقه وغير ذلك ولم يظهر شيء في حياته، ولما دنت وفاته قال لشخص يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلُّها تصنيفي، وإنما إذا عاينت الموتَ ووقعتُ في النزع فاجعل يدك في يدي، فإن قبضتُ عليها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء، فاعمد إليها وألقها في دجلة بالليل، وإذا بسطت يدي فاعلم أنها قبلت مني وأني ظفرت بما أرجوه من النية الخالصة، فلما حضرته الوفاة بسط يده. فأُظهِرت كتبه بعد ذلك.

[وفيات الأعيان ٣/٢٨٢، طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٦٨]





التعبُّـد

بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن، وبعث كل واحد منهما على مخلاف، واليمن مخلافان، ثم قال: «**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا**» فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريبًا من صاحبه أحدث به عهدًا فسلم عليه، فسار معاذ في أرضه قريبًا من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس أيمَ هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يقتل، قال: إنما جيء به لذلك فانزل، قال: ما أنزل حتى يقتل، فأمر به فقتل، ثم نزل. فقال: يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوّقه تفوقًا، قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. [صحيح البخاري ٥/ ١٦١]



أتت امرأةٌ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين، زوجي خير الناس يصوم النهار ويقوم الليل، والله إني لأكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل، والسلام عليكم ورحمة الله. فقال كعب بن سُور: ما رأيت كاليوم شكوى أشد ولا عدوى أجمل. فقال عمر: ما تقول؟ قال: تزعم أنه ليس لها

من زوجها نصيب. قال: فإذا فهمت ذلك فاقض بينهما قال: يا أمير المؤمنين، أحل الله من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلها من كل أربعة أيام يوم يفطر ويقيم عندها، ومن كل أربع ليال ليلة يبيت عندها.

[مصنف عبد الرزاق ٧/ ١٤٩]



قال طارق بن شهاب الأحمسي: قال سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا كان الليل كان الناسُ منه على ثلاثة منازل، فمنهم من له ولا عليه، ومنهم من لا له ولا عليه، ومنهم من عليه ولا له، قال طارق: فعجبت لحداثة سني وقلة فهمي، فقلت: يا أبا عبد الله وكيف ذاك؟ قال: أما من له ولا عليه فرجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل فتوضأ وصلى، فذاك له لا عليه، ورجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل يمشي في معاصي الله عَزَّوَجَلَّ، فذاك عليه ولا له، ورجل نام حتى أصبح فذاك لا له ولا عليه، قال طارق: فقلت لأصحبنّ هذا فلا أفارقه، فضُرِب على الناس بعثٌ، فخرج فيه فصحبتُه، وكنت لا أفضله في عمل، إن أنا عجنت خَبَزَ، وإن خبزت طبخ، فنزلنا منزلًا فبتنا فيه، وكانت لطارقٍ ساعة من الليل يقومها، فكنت أتيقظ لها فأجده نائمًا، فأقول: صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرٌ مني نائم، فأنام ثم أقوم فأجده نائمًا فأنام، إلا أنه كان إذا تعارّ من الليل قال وهو مضطجع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، حتى إذا كان قبيل الصبح قام فتوضأ ثم ركع أربع ركعات، فلما صلّينا الفجر قلت: يا أبا عبد الله! كانت

لي ساعة من الليل أقومها، وكنت أتيقّظ لها فأجدك نائمًا، قال: يا ابن أخي! فأيش كنت تسمعني أقول؟ فأخبرته، فقال: يا ابن أخي تلك الصلاة، إن الصلوات الخمسَ كفاراتٌ لما بينهن ما اجتنبت المقتلة، يا ابن أخي عليك بالقصد فإنه أبلغ. [تاريخ دمشق ٢١/٤٤٦]



كان للعلاء بن زياد مال ورقيق فأعتق بعضهم ووصل بعضهم وباع بعضهم وأمسك غلامًا أو اثنين يأكل غلتهما، فتعبد فكان يأكل كل يوم رغيفين، وترك مجالسة الناس فلم يكن يجالس أحدًا، يصلي في الجماعة ثم يرجع إلى أهله، ويُجمِّع ثم يرجع إلى أهله، ويشيع الجنازة ثم يرجع إلى أهله، ويعود المريض ثم يرجع إلى أهله، فضعف فبلغ ذلك إخوانه فاجتمعوا، فأتاه أنس بن مالك والحسن والناس وقالوا: رحمك الله أهلكت نفسك لا يسعك هذا، فكلموه وهو ساكت، حتى إذا فرغوا من كلامهم قال: إنما أتذلل لله تعالى لعله يرحمني. [حلية الأولياء ٢/٢٤٣]



قال مسعر بن كدام: أتيتُ أبا حنيفة في مسجده، فرأيته يصلي الغداة، ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلي الظهر، ثم يجلس إلى العصر، فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب، فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلي العشاء، فقلت في نفسي: هذا الرجل في هذا الشغل متى يفرغ للعبادة؟ لأتعاهدنه الليلة، فتعاهدته، فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد فانتصب للصلاة إلى أن

طلع الفجر، ودخل منزله ولبس ثيابه، وخرج إلى المسجد وصلى الغداة، فجلس للناس إلى الظهر، ثم إلى العصر، ثم إلى المغرب، ثم إلى العشاء، فقلت في نفسي: إن الرجل قد تنشّط الليلة، لأتعاهدنه الليلة، فتعاهدته، فلما هدأ الناس خرج فانتصب للصلاة، ففعل كفعله في الليلة الأولى، فلما أصبح خرج إلى الصلاة، وفعل كفعله في يوميه، حتى إذا صلى العشاء قلت في نفسي: إن الرجل لينشط الليلة والليلة، لأتعاهدنه الليلة، ففعل كفعله في ليلتيه، فلما أصبح جلس كذلك، فقلت في نفسي: لألزمنه إلى أن يموت أو أموت، فلازمته في مسجده، قال ابن أبي معاذ: فبلغني أن مسعرًا مات في مسجد أبي حنيفة في سجوده. [تاريخ بغداد ١٥/٤٨٧]

❁ ❁ ❁

قال يوسف بن أسباط: قال لي سفيان الثوري –وأنا وهو في المسجد– يا يوسف ناولني المطهرة، فناولته، فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده، ونمت، فاستيقظت وقد طلع الفجر، فنظرت إليه فإذا المطهرة في يده على حالها، فقلت: يا أبا عبد الله قد طلع الفجر، قال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة إلى هذه الساعة. [حلية الأولياء ٧/٥٣]

❁ ❁ ❁

حبس أسدٌ ليلةً الناس في طريق الحج، فدق الناس بعضهم بعضًا، فلما كان السحر ذهب عنهم، فنزلوا وناموا، وقام طاوس يصلي. فقال له رجل: ألا تنام؟ فقال: وهل ينام أحد السحر. [سير أعلام النبلاء ٥/٣٩]



كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبانة فيتعبّد فيها، فكان يمرّ على شبابٍ يلهون ويلعبون، فيقول لهم: أخبروني عن قومٍ أرادوا سفرًا فحادوا النهار عن الطريق وناموا بالليل متى يقطعون سفرهم؟ فكان كذلك يمرّ بهم ويعظهم، فمرّ بهم ذات يومٍ فقال لهم هذه المقالة، فانتبه شابّ منهم فقال: يا قوم، إنه لا يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام، ثم اتبع صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجبانة فيتعبّد معه حتى مات. [حلية الأولياء ٢/٢٣٨]





الصلاة

قفل أبو ريحانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِن بعثٍ غزا فيه، فلما انصرف أتى أهله فتعشى من عشائه، ثم دعا بوضوء فتوضأ منه ثم قام إلى مسجده، فقرأ سورة ثم أخرى، فلم يزل ذلك مكانه كلما فرغ من سورة افتتح أخرى، حتى إذا أذن المؤذن من السحر شد عليه ثيابه فأتته امرأته، فقالت: يا أبا ريحانة قد غزوت فتعبت في غزوتك ثم قدمت، ألم يكن لي منك حظ ونصيب؟ فقال: بلى والله، ما خطرت لي على بال، ولو ذكرتك لكان لك علي حق، قالت: فما الذي شغلك يا أبا ريحانة؟ قال: لم يزل يهوى قلبي في ما وصف الله في جنته من لباسها وأزواجها ولذاتها حتى سمعت المؤذن.

[تهذيب الكمال ١٢/٥٦٣]



صلى الحجاج بن يوسف مرة بجنب سعيد بن المسيب -وذلك قبل أن يلي شيئًا- فجعل يرفع قبل الإمام ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد بطرف ردائه -وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة- فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه سعيد فقال له: يا سارق يا خائن، تصلي هذه الصلاة؟! لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك، فلم يرد عليه. ثم مضى الحجاج إلى الحج، ثم رجع فعاد إلى الشام، ثم جاء نائبًا على الحجاز، فلما قتل ابن الزبير كرَّ راجعًا إلى المدينة نائبًا عليها، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب، فقصده الحجاج فخشي الناس على سعيد منه، فجاء حتى

جلس بين يديه فقال له: أنت صاحب الكلمات؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال: نعم! قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيرًا، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك، ثم قام ومضى. [البداية والنهاية ٩/١٣٩]



دُعي محمد بن إسماعيل البخاري إلى بستان بعض أصحابه، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم، ثم قام للتطوع فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئًا؟ فإذا زنبور قد أَبَرَهُ في ستة عشر أو سبعة عشر موضعًا وقد تورَّم من ذلك جسده، وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة، فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أَبَرَك؟ فقال: كنت في سورةٍ فأحببت أن أتمها.

[تاريخ بغداد ٢/٣٣١]



راكب زياد بن عبد الرحمن الأميرَ الحكمَ وقد أردف زياد ولده خلفه منصرفين من جنازة، ووصل محادثته الأمير إلى أن وصل القنطرة، فسمع المؤذن فقطع زياد حديثه وقال: معذرة إلى الأمير أصلحه الله، إنا كنا في حديث عارضه هذا المنادي إلى الله تعالى ولا يجوز الإعراض عنه، فهو أحق بالإجابة، وإن اجتمعنا قدرنا على تتميم الحديث إن كانت بنا إليه حاجة. وسلم عليه فدخل الجامع من باب القنطرة واستقام الأمير إلى القصر.

[ترتيب المدارك ٣/ ١١٩]



كان الربيع بن خثيم بعدما سقط شقه يهادى بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله يقولون: يا أبا يزيد، قد رُخص لك، لو صليت في بيتك، فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي حي على الفلاح، فمن سمعه منكم ينادي حي على الفلاح فليجبه ولو زحفًا ولو حبوًا.

[الزهد للإمام أحمد ١/٢٧٥]

❁ ❁ ❁

سمع عامر بن عبد الله بن الزبير المؤذن وهو يجود بنفسه فقال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل! قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟! فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة ثم مات. [سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠]

❁ ❁ ❁

كان أبو نصر المروزي إمامًا في القراءات، وسافر في ذلك كثيرًا، واتفق له أنه غرق في البحر في بعض أسفاره، فبينما الموج يرفعه ويضعه إذ نظر إلى الشمس قد زالت فنوى الوضوء، وانغمس في الماء ثم صعد فإذا خشبة فركبها وصلى عليها، ورزقه الله السلامة ببركة الصلاة، وعاش بعد ذلك دهرًا.

[البداية والنهاية ١٢/٢١٣]

❁ ❁ ❁

حبس الأمير محمد بن طاهر أبا عبد الله عثمان بن سعيد السجستاني بنيسابور مدة، فكان أبو عبد الله يغتسل كل يوم جمعة ويتأهب للخروج إلى الجامع ثم يقول للسجان: أتأذن لي في الخروج؟ فيقول: لا، فيقول: اللهم إني بذلت مجهودي والمنع من غيري. [طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ٣٠٤]



قال أبو عبد الله خادم أبي الحسن محمد بن أسلم الطوسي: كان محمد يدخل بيتًا ويُغلق بابه، ويُدخِل معه كوزًا من ماء، فلم أدرِ ما يصنع، حتى سمعتُ ابنًا صغيرًا له يبكي بكاءه، فنهته أمّه، فقلتُ لها: ما هذا البكاء؟ فقالت: إن أبا الحسن يدخل هذا البيت، فيقرأ القرآن ويبكي، فيسمعه الصبي فيحكيه، فإذا أراد أن يخرج غسل وجهه؛ فلا يُرى عليه أثر البكاء.

[صفة الصفوة ٢/٣١٧]

❁ ❁ ❁

كان عمر بن المنكدر لا ينام الليل يكثر البكاء على نفسه، فشقّ ذلك على أمه، فقالت لأخيه محمد بن المنكدر: إن الذي يصنع عمر يشقّ عليَّ، فلو كلمته في ذلك، فاستعان عليه بأبي حازم، فقالا له: إن الذي تصنع يشقّ على أمك، قال: فكيف أصنع؟! إن الليل إذا دخل عليَّ هالني، فأستفتح القرآن وما تنقضي نهمتي فيه، قالا: فالبكاء؟ قال: آية من كتاب الله أبكتني، قالا: وما هي؟ قال: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾.

[صفة الصفوة ٢/١٤٥]

❁ ❁ ❁

جاءت جارية لمنصور بن مهران بمرقة فهراقتها عليه، فلما أحسّ بحرّها نظر إليها، فقالت: يا معلّم الخير، اذكر قول الله، قال: وما هو؟ قالت:

﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ قال: كظمت، قالت: واذكر ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ قال: قد عفوت، قالت: واذكر ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ قال: اذهبي فأنت حرة. [الإمتاع والمؤانسة ١/٢٤٧]

لما بلغ داود بن نصير الطائي من العمر خمس سنوات أسلمه أبوه إلى المؤدب، فابتدأ بتلقين القرآن وكان لقنًا، فلما تعلم سورة ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾ وحفظها رأته أمه يوم الجمعة مقبلًا على الحائط مفكرًا يشير بيده، فخافت على عقله فنادته: قم يا داود فالعب مع الصبيان، فلم يجبها، فضمته إليها ودعت بالويل، فقال: ما لك يا أماه، أبك بأس؟ قالت: أين ذهنك؟ قال: مع عباد الله، قالت: أين هم؟ قال: في الجنة، قالت: ما يصنعون؟ قال: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴾ ثم مر في السورة وهو شاخص كأنه يتأمل شيئًا حتى بلغ قوله: ﴿ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴾، ثم قال: يا أماه، ما كان سعيهم؟ فلم تدر ما تجيبه، فقال لها: قومي عني حتى أتنزه معهم ساعة، فقامت عنه، فأرسلت إلى أبيه فأعلمته شأن ولده، فقال له أبوه: يا داود، كان سعيهم أن قالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكان يقولها في أكثر أوقاته.

[أنباء نجباء الأبناء ص ١٦٠]



ذُكر أن ابنًا للقاضي ابن غانم المالكي جاءه من عند معلمه، فسأله عن سورته فقرأ عليه فأحسن، فدفع إليه عشرين دينارًا أو نحوها، فلما جاء بها

الصبي إلى المعلم أنكرها وظن بالصبي ظنًّا، فجاء بها إلى ابن غانم، فقال ابن غانم: لعلك استقللتها؟ قال لا. فقال له: حرف واحد مما علمته يعدل الدنيا وما فيها. [ترتيب المدارك ٣/ ٧٥]





الذكـر

قال جعفر الصادق: فقد أبي بغلةً له، فقال: لئن ردّها الله عَزَّوَجَلَّ لأحمدنّه محامدَ يرضاها، فما لبث أن أُتيَ بها بسرْجها ولجامها، فركبها، فلما استوى عليها وضمّ عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء، وقال: الحمد لله، لم يزد عليها، فقيل له في ذلك فقال: وهل تركتُ أو أبقيت شيئًا؟ جعلتُ الحمد كلّه لله عَزَّوَجَلَّ.

[صفة الصفوة ٢/٤٦٠]

❁ ❁ ❁

دخل سليمان بن عبد الملك المسجد فرأى شيخًا كبيرًا، فدعا به فقال: يا شيخ، أتحب الموت؟ قال: لا، قال: بم؟ قال: ذهب الشباب وشَرُّه، وجاء الكبر وخيره، فإذا قمت قلت: بسم الله، وإذا قعدت قلت: الحمد لله، فأنا أحب أن يبقى لي هذا.

[العمر والشيب لابن أبي الدنيا ص٥٧]

❁ ❁ ❁

كان الفضيل بن عياض شاطرًا يقطع الطريق بين أَبِيوَرْد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليًا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، فقال: يا رب، قد آن، فرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل وقال قوم: حتى نصبح، فإنّ فضيلًا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وأمَّنهم وجاور الحرم حتى مات.

[الرسالة القشيرية ١/٤٠]

❁ ❁ ❁



قال أبو جعفر الخطمي: كان لجدي مولًى يقال له زياد يعلم بنيه، فنعس الشيخ، فجعل زياد يذكر لهم الدنيا والشيخ يسمع، فقال الشيخ: يا زياد، ضربت على بنيّ قبة الشيطان، اكشطوها بذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

[الزهد لابن أبي الدنيا ص ٣٧]



قال بكر بن عبد الله المزني: رأيت حمَّالًا عليه حمله، وهو يقول: الحمد لله أستغفر الله يكرر ذلك، فانتظرته حتى وضع ما على ظهره، وقلت له: أما تحسن غير هذا؟ قال: بلى أُحسن خيرًا كثيرًا، أقرأ كتاب الله، غير أن العبد بين نعمة وذنب: فأحمد الله على نعمه السابغة، وأستغفره لذنوبي. فقلت: الحمال أفقه من بكر.

[الشكر لابن أبي الدنيا ص٢٦]





الدعـاء

قال جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شكا أهلُ الكوفة سعدَ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عمر، فقالوا: لا يحسن أن يصلي، فقال سعد: أما أنا فكنت أصلي بهم صلاةَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاتي العشي أركد في الأولين، وأحذف في الأخريين، فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، وبعث رجالًا يسألون عنه في مساجد الكوفة، قال: فلا يأتون مسجدًا من مساجد الكوفة إلا أثنوا عليه خيرًا وقالوا معروفًا، حتى أَتَوْا مسجدًا من مساجد بني عبس، فقال رجلٌ يقال له أبو سعدة: اللهم فإنه كان لا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية، فقال سعدٌ: اللهم إن كان كاذبًا فأعْمِ بصره وأطِلْ فقرَه وعرِّضه للفتن، قال عبد الملك: فأنا رأيته يتعرض للإماء في السكك، فإذا قيل له: أبا سعدة؟! يقول: مفتون، أصابتني دعوة سعد. [تاريخ بغداد ١/٤٧٨]



قالت أم مسلم لأبي مسلم الخولاني: يا أبا مسلم، قد حضر الشتاء وليس لنا كسوةٌ ولا طعام ولا إدام ولا حذاء ولا حطب، فقال: تريدين ماذا؟ قالت: تأتي معاوية؛ فهو بك عارف، قال: فنقول له ماذا؟ قالت: تخبره بحاجتك وجَهْدِنا، قال: ويحكِ، إني لأستحي أن أطلب حاجتنا إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ، فلما أكثرَت عليه قال: ويحكِ، جهِّزيني، ثم عَمَدَ إلى المسجد فقال: إلهي، إن أم مسلم بعثتني إلى معاوية وأنا إنما خرجتُ إليك وأنت تعرف

حاجتي، فمكث يومه ذلك في المسجد، فلما صلى الناس العشاء الآخرة وخلا له المسجد جثا على ركبتيه، ثم قال: اللهم قد تعرف حالي فيما بيني وبينك، فقد سمعتَ مقالة أم مسلم، وقد بعثَتْني إلى معاوية وأنت تعرف أيّ شئ طلبت وقالت، وخزائنُ الدنيا كلُّها بيدك، وإنما معاوية خَلْقٌ من خلقك قد أعطيتَه ما أعطيته، وإنما أسألك من خيرك الكثيرِ اليسيرَ، فاكْسُ إلهي صبياني قُمُصًا وخِفافًا وفِراء، واكْسُ زوجتي قميصًا ودرعًا وخمارًا، وعجل لنا الساعة بُرًّا وعدسًا وزيتًا وحطَبًا، وارزقني بُرنُسًا خفيفًا دفيئًا أصلِّي لك فيه، وارزقني فرسًا حصانًا وساعًا جوادًا طاهر الخلق إن طلبتُ العدو عليه أدركتُهم وإن طلبوني لم يُدركوني، وعجِّل ذلك لي الساعة؛ فإن خزائنك لا تنفد وخيرك لا ينقص وأنت بي عالم، قد تعلم أنك أحب إلي من سواك، فإن تُعطني هذه الساعة حمِدتُك عليه كثيرًا وإن تمنعه فلك الحمد كثيرًا، ورجل من آل معاوية في المسجد فسمع مقالته، فخرج يشتدّ حتى دخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، عجبًا سمعتُه آنفا في المسجد ورجل يناجي ربه كما يناجي الإنسان الإنسان يسأله في دعائه قمصًا وفراءً وخفافًا وبرًّا وعدسًا وزيتًا وحطبًا وفرسًا حصانًا وبرنسًا خفيفًا يا أمير المؤمنين، فهل سمعت بعجب مثل هذا؟ قال: ويحك وهل تدري من هذا؟ هذا أبو مسلم! أليس قد أحصيت ما قال؟ قال: بلى، يا أمير المؤمنين، قال: فأضعِفوا له كل ما سأل وعجلوا به الساعة إلى منزله، ولا يُصبحن إلا وهذا الشئ في منزله من كل شئ اثنين، فحُمل هذا كله إلا الفرس؛ فإنه لم يُصَبْ في مربط معاوية إلا فرس واحد على ما وَصَف، فلما قدمت هذه الأشياء إلى أم مسلم أقبلت تحسن الثناء على معاوية وتقول:

لم أزل أعاتب الشيخ في إتيانه فيأبى عَلَيّ، فلما صلى أبو مسلم الغداة انصرف وهو واثق بربه، فلما أتى البيت أصابه مملوءًا سوادًا، فقالت له أم مسلم: يا أبا مسلم، ألا ترى ما أهدى إليك أمير المؤمنين، قال: ويح البعداء، لقد كفرتِ النعمة ولم تشكري الرازق، والله ما أتيت لمعاوية دارًا ولا كلمت له حاجبًا ولا رفعت إليه حاجة، وما هذا إلا قسم من الله أهداه إلينا فلله الحمد كثيرًا كثيرًا. [تاريخ دمشق ٧٠/٢٦٣]



كان القاضي ابن غانم له حظ من صلاة الليل فإذا قضاها وجلس في التشهد آخرها عرض كل خصم يريد أن يحكم له على ربه، يقول في مناجاته: يا رب فلان منازع فلانًا وادعى عليه بكذا فأنكر دعواه فسألته البينة فأتى ببينة شهدت بما ادعى، ثم سألته تزكيتها فأتاني بمن زكاهم وسألت عنهم في السر فذكر يعني خيرًا، وقد أشرفت أن آخذ له من صاحبه حقه الذي تبين لي أنه حق له، فإن كنت على صواب فثبتني وإن كنت على غير صواب فاصرفني، اللهم لا تُسْلمني، اللهم سلمني. فلا يزال يعرض الخصوم على ربه حتى يفرغ منهم. [ترتيب المدارك ٣/ ٦٩]



قال ثابت البناني: أخذ عبيد الله بن زياد ابنَ أخٍ لصفوان بن محرز فحبسه في السجن، فلم يدع صفوان شريفًا بالبصرة يرجو منفعته إلا تحمّل به عليه، فلم يَرَ لحاجته نجاحًا، فبات في مصلاه حزينًا. فهوّم من الليل فإذا آتٍ قد أتاه

في منامه، فقال: يا صفوان، قم فاطلب حاجتك من جهتها. قال: فانتبه فزِعًا فقام فتوضأ، ثم صلّى ثم دعا، فأرِق ابنُ زياد، فقال: عليَّ بابن أخي صفوان بن محرز، فجاء بالحرس وجيء بالنيران، ففُتحت تلك الأبواب الحديد في جوف الليل، فقال: ابنُ أخي صفوان أَخرِجوه، فإنّي قد مُنعت من النوم منذ الليلة، فأخرج فأتي به ابن زياد، فقال: انطلق بلا كفيلٍ ولا شيء، فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابنُ أخيه بابَه، قال صفوان: مَن هذا؟ قال: أنا فلان. قال: أيّ ساعةٍ هذه الساعة؟ فحدّثه الحديث. [صفة الصفوة ٢/١٣٤]

❁ ❁ ❁

كان عامر بن عبد الله بن الزبير موجِّهًا إلى القبلة بعد صلاة العصر يدعو، فمر به إبراهيم بن هشام المخزومي وهو يومئذ أمير المدينة وكان رجلًا مخوفًا مقدامًا، فلما رأى عامرًا عدل إليه فوقف ليسلم عليه فلم ينثن إليه عامر ومضى في دعائه، فانصرف مغضبًا فجعل يقول لمن أتاه من إخوان عامر ونظرائه محمد بن المنكدر وصفوان بن سليم وأبي حازم وذويهم: ألا تعجبون لعامر؟! مررت عليه وليس في صلاة ولم ينثن إلي ولم يكلمني، حتى خافوه عليه فأتوه فقالوا له: يرحمك الله، أميرك وتُخشى ناحيته، فلو أقبلت عليه ثم رجعت إلى ما كنت فيه وهو ساكت حتى إذا فرغوا قال: «هيه! أيظن ابن هشام أن يقبل علي وأنا مقبل على الله فأعرض عن الله عَزَّوَجَلَّ وأقبل عليه؟! كلا والله!». [تاريخ دمشق ٧/٢٦٢]

❁ ❁ ❁



قال علي بن أبي فزارة: كانت أمي مقعدةً من نحو عشرين سنة، فقالت لي يومًا: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي، فأتيت فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟ قلت: رجل سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك الدعاء، فسمعتُ كلامه كلام رجل مغضب، فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليتُ منصرفًا، فخرجت عجوز فقالت: قد تركته يدعو لها، فجئت إلى بيتنا فدققت الباب فخرجت أمي على رجليها تمشي، وقالت: قد وهب الله لي العافية. [سير أعلام النبلاء ١١/٢١١]



استسقى القاضي عنترة بن فلاح في قرطبة يومًا بالناس على ما حكاه ابن زرعة فأحسن في قيامه في الخطبة، وخشع الناس بوعظه وتذكيره، وحركهم بدعائه وابتهاله. فلما فرغ قام إليه رجل من عامة الناس فقال له: أيها القاضي الواعظ، قد حسن عندنا ظاهرك فحسن الله باطنك، فقال: اللهم آمين ولنا أجمعين، فهل أضمرت يا ابن أخي شيئًا؟ فقال له: نعم يا قاضي، بتفريغ أهرائك يتم فضل استسقائك، فقال: لعمري لقد نصحتني، وإني أشهد الله أن جميع ما حواه ملكي من الطعام صدقة لوجه الله الكريم، ثم أقسم أن لا يدع مقامه حتى يرسل إلى داره، فيفرق جميع ما ادخره. قال: فغيث الناس من يومهم غيثًا عامًّا. [تاريخ قضاة الأندلس ١/٤٢]

❁ ❁ ❁

كان الحسن بن عيسى الماسرجسي من أهل بيت الثروة والقِدم في النصرانية، ثم أسلم على يَدَي عبد الله بن المبارك، نزل عبد الله بن المبارك مرة

رأس سكة عيسى، وكان الحسن بن عيسى يركب فيجتاز به وهو في المجلس، والحسن من أحسن الشباب وجهًا، فسأل عنه عبد الله بن المبارك، فقيل: إنه نصراني، فقال: اللهم ارزقه الإسلام، فاستجاب الله دعوته فيه. ورحل في العلم ولقي المشايخ، وكان ديّنًا ورعًا ثقة عاقلًا عُدّ في مجلسه بباب الطاق اثنا عشر ألف محبرة. ولم يزل مِن عَقِبه بنيسابور فقهاء ومحدثون.

[تاريخ بغداد ٣٣٢/٨]



كان الوزير فخر الملك قد أهمل بعض الواجبات فعوقب سريعًا، وذلك أن بعض خواصه قتل رجلًا ظلمًا، فتصدت له زوجة المقتول تستغيث، فلم يلتفت إليها، فلقيته ليلة في مشهد باب التبن وقد حضر للزيارة، فقالت له: يا فخر الملك، القصص التي أرفعها إليك ولا تلتفت إليها صرت أرفعها إلى الله، وأنا منتظرة خروج التوقيع من جهته، فلما قبض عليه قال: لا شك أن توقيعها خرج.

[وفيات الأعيان ١٢٦/٥]



لما صافَّ قتيبةُ بنُ مسلم للترك وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه يُبصبصُ بأصبعه نحوَ السماء، قال: تلك الأصبعُ أحبُّ إليّ من مائة ألف سيف شهيرٍ وشابٍّ طرير.

[سير أعلام النبلاء ١٢١/٦]





أصاب أم منصور بن عمار وجعُ الولادة وعندها قابلتها وهو صبي بين يديها، فقالت له: يا منصور، بادر إلى أبيك فناده، فقال لها: أتستعينين في حال الشدة بمخلوق لا يضر ولا ينفع وأكون أنا رسولك إليه؟ قالت: الساعة أموت، قال لها: قولي يا الله أغثني، فقالت ذلك فاندلق جنينها من ساعته.

[أنباء نجباء الأبناء ص ١٦٣]





خوف الله وخشيته

قال مزيدة بن قعنب الرُّهاوي: كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه قوم فقالوا: إن لنا إمامًا يصلي بنا العصر فإذا صلى صلاته تغنى بأبيات فقال عمر: قوموا بنا إليه، فاستخرجه عمر من منزله فقال: إنه بلغني أنك تقول أبياتًا إذا قضيت صلاتك فأنشدنيها، فإن كانت حسنة قلتها معك وإن كانت قبيحة نهيتك عنها، فقال الرجل:

وفؤادي كلما نبهته	عاد في اللذات يبغي تعبي
لا أراه الدهر إلا لاهيًا	في تماديه فقد برَّح بي
يا قرين السوء ما هذا الصبا	فني العمر كذا باللعب
وشباب بان مني فمضى	قبل أن أقضي منه أربي
ما أرجِّي بعده إلا الفنا	ضيق الشيب عليّ مطلبي
نفس لا كنت ولا كان الهوى	اتقي المولى وخافي وارهبي

فقال عمر: نعم، نفس لا كنت ولا كان الهوى وهو يبكي ويقول: اتقي المولى وخافي وارهبي، ثم قال عمر: من كان منكم مغنّيًا فليغن هكذا.

[تاريخ دمشق ٤٤/ ٣١٢]



انتهى أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى جاريةٍ له ترعى غنمًا، فأعطى جاريته فرسه ثم قال: لا يغلبكِ، ثم طاف في غنمه، فانفلت الفرس فجالت الغنم حتى

تكسر عامتها، فجاء أبو الدرداء إليها يشتدّ رافعًا السوط، حتى إذا دنا منها كفّ وقال: لولا القَوَد لأوجعتكِ. [الأهوال لابن أبي الدنيا ص٢٠٩]

❁ ❁ ❁

لقي عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا راعيًا بطريق مكة، قال له: بعني شاة، قال: ليست لي، قال له: فتقول لأهلك: أكلها الذئب! قال: فأين الله؟ قال: اسمع، وافِني ههنا إذا رجعت من مكة، ومر مولاك يوافيني ههنا، فلما رجع لقي رب الغنم واشترى منه الغنم، واشترى منه الغلام، فأعتقه ووهب له الغنم. [الزهد لأبي داود ص٢٦٢]

❁ ❁ ❁

كان الأسود بن سريع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقص في المسجد، فسمع أبو موسى الأشعري أصواتَهم، فقام ليأتيَهم فانقطع شِسْعُه فاسترجع فقال: ما انقطع شسعي إلا بذنب، فأعطاه رجلٌ شسعًا، فقال: حملك الله ووصلك كما حملت أخاك، فأتاهم فقال: ابكُوا فإن أهل النار يبكون ولا يُرْحَم بكاؤُهم، فابكوا اليوم؛ فإنَّ بكاءكم اليوم يرحم. [الزهد للإمام أحمد ١/٣٥٤]

❁ ❁ ❁

قال سفيان الثوري: بلغنا عن أم الربيع بن خثيم كانت تنادي ابنها ربيعًا، تقول: يا ربيع ألا تنام؟ فيقول: يا أُمّه، من جن عليه الليل وهو يخاف السيئات حق له ألا ينام، قال: فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته، فقالت: يا بُني، لعلك قتلت قتيلًا؟ قال: نعم يا والدة، قد قتلت قتيلًا،

فقالت: ومن هذا القتيل يا بني حتى نتحمل إلى أهله فيغتفر لك؟ والله لو يعلمون ما تلقى من السهر والبكاء بعد لقد رحموك؟ فقال: يا والدة، هو نفسي. [الزهد للإمام أحمد ص٥٦٦]

❁ ❁ ❁

بينا ابن المنكدر ليلةً قائم يصلي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله، وسألوه فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مرت بي آية، قال: وما هي؟ قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾، فبكى أبو حازم معه، فاشتد بكاؤهما.

[سير أعلام النبلاء ٥/٣٥٥]

❁ ❁ ❁

لما حج المهدي دخل مسجد النبي ﷺ فلم يبق أحد إلا قام إلا ابن أبي ذئب، فقال له المسيب بن زهير: قم، هذا أمير المؤمنين! فقال ابن أبي ذئب: إنما يقوم الناس لرب العالمين، فقال المهدي: دعه، فلقد قامت كل شعرة في رأسي. [تاريخ بغداد ٣/ ٥١٥]

❁ ❁ ❁

قال يزيد بن كميت: فتح غلامٌ لأبي حنيفة يومًا رزمة خزّ، فإذا الأخضر والأحمر والأصفر، فقال الغلام: نسأل الله الجنة، فبكى أبو حنيفة حتى اختلج صدغاه ومنكباه، وأمر بغلق الدكان، وقام مغطى الرأس مسرعًا، فلما كان من الغد جلست إليه، فقال: يا أخي، ما أجرأنا! يقول أحدنا:

نسأل الله الجنة! إنما يسأل الله الجنة من راض نفسه -يعني لها-، إنما يريد مثلنا أن يسأل الله العفو.

[مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه ص٢٣]

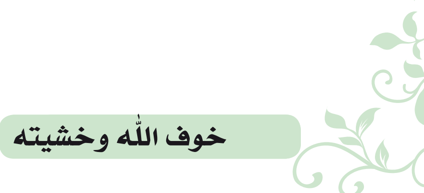


كان بشر بن الحارث شاطرًا يجرح بالحديد، وكان سبب توبته أنه وجد قرطاسًا في أَتّون حمام فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، فعظم ذلك عليه ورفع طرفه إلى السماء وقال: سيدي، اسمك ههنا ملقًى، فرفعه من الأرض وقلع عنه السحاة التي هو فيها، وأتى عطارًا فاشترى بدرهم غاليةً لم يكن معه سواه، ولطخ تلك السحاة بالغالية فأدخله شق حائط وانصرف إلى زجّاج كان يجالسه، فقال له الزجاج: والله يا أخي أقول لك حتى تحدثنى ما فعلت في هذه الأيام فيما بينك وبين الله تعالى، فقال: ما فعلت شيئًا أعلمه، غير أنى اجتزت اليوم بأتون حمام. فذكره. فقال الزجاج: رأيت كأن قائلًا يقول لي في المنام: قل لبشر: ترفع اسمًا لنا من الأرض إجلالًا أن يداس، لننوهن باسمك في الدنيا والآخرة.

[تهذيب الكمال ١٠٣/٤]



كلَّف القاضي عيسى بن مسكين إنسانًا شراء زيت، فاشترى له من نصراني زيتًا طيب الأصل وأخبره أنه زاده فيها اشتراه عشرة أقفزة حين علم أنه له، وذلك بعد صرفه عن القضاء، فأطرق مليًّا ثم رفع رأسه إليه فقال:



شكر الله سعيه، لعلك تتم إجمالك بصرف زيته إليه وتأتيني بديناري بعينه، وإلا فاترك الزيت له وخذ منه دينارًا وتصدق به، ففعل ذلك، ثم اعتذر له عيسى لئلا يقع في نفسه شيء، وقال: خفت حكم الآية قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية..

[ترتيب المدارك ٤/ ٣٤٦]



الإنفـاق

قال أسلم مولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خرجت مع عمر إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة، فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغارًا والله ما ينضجون كراعًا ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحبًا بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا وحمل بينهما نفقة وثيابًا ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها، قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه. [صحيح البخاري ٥/١٢٤]

❁ ❁ ❁

مر الحسن البصري على صبيان معهم كسر خبز، فاستضافوه فنزل فأكل معهم، ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم، وقال: اليد لهم؛ لأنهم لا يجدون شيئًا غير ما أطعموني ونحن نجد أكثر منه. [مدارج السالكين ٢/ ٣١٥]

❁ ❁ ❁

ابتاع حمزة بن عبد الله بن الزبير جملًا من أعرابي بخمسين دينارًا ثم نقده ثمنه، فجعل الأعرابي ينظر إلى الجمل ويقول:

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كـرائـم مـن ربّ بـهـنّ ضنينِ

فقال له حمزة: خذ جملك والدنانير لك، فانصرف بجمله وبالدنانير.

[معجم الأدباء ٤/ ١٦٤٧]



قال حكيم بن حزام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كنت أعالج البز والبر في الجاهلية، وكنت رجلًا تاجرًا أخرج إلى اليمن وإلى الشام في الرحلتين، فكنت أربح أرباحًا كثيرة، فإذا ربحت عدت على فقراء قومي ونحن لا نعبد شيئًا، أريد بذلك ثراء الأموال والمحبة في العشيرة، وكنت أحضر الأسواق، وكانت لنا ثلاثة أسواق: سوق بعكاظ يقوم صبيحة ليلة هلال ذي القعدة عشرين يومًا ويحضرها العرب، وبها ابتعت زيد بن حارثة لعمتي خديجة بنت خويلد، وهو يومئذ غلام، فأخذته بستمائة درهم، فلما تزوج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خديجة سألها زيدًا فوهبته له، فأعتقه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وبها ابتعت حلة ذي يزن فكسوتها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فما رأيت أحدًا قط أجمل ولا أحسن من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في تلك الحلة. وكان سوق مجنة يقوم عشرة أيام، حتى إذا رأينا هلال ذي الحجة انصرفنا إلى سوق ذي المجاز فتقوم ثمانية أيام، وكل هذه الأسواق ألقى بها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المواسم يستعرض القبائل قبيلة قبيلة يدعوهم إلى الله، فلا أرى أحدًا يستجيب له، وأسرته أشد القبائل عليه.

وكان حكيم بن حزام يشتري الظهر والأداة والزاد ثم لا يجيئه أحد يستحمله في السبيل إلا حمله. فبينما هم يومًا في المسجد جلوسًا إذ دخل رجل

من أهل اليمن يطلب حملانًا يريد الجهاد فدل على حكيم بن حزام فجلس إليه فقال: إني رجل بعيد الشقة، وقد أردت الجهاد فدُللت عليك لتحمل رجلي وتعينني على ضعفي، قال: اجلس، فلما أمكنته الشمس وارتفعت ركع ركعات ثم انصرف، وأومأ إلى اليماني. قال: فتبعته فجعل كلما مر بصوفة أو خرقة أو شملة نفضها وأخذها، فقلت: والله ما زاد الذي دلني على هذا أن لعب بي، أي شيء عند هذا من الخير بعد ما أرى؟ فدخل داره فألقى الصوفة مع الصوف، والخرقة مع الخرق، والشملة مع الشمال، ثم قال لغلام له: هات بعيرًا ذَلولًا موقَّعًا، فأتي به ذلولًا موقعًا سنتين، ثم دعا بجَهاز فشده على البعير، ثم دعا بخطام فخطم، ثم قال: هلم جُوالقين، فأتي بجوالقين، فأمر فجعل فيهما دقيق وسويق وعُكة من زيت، وقال: انظر ملحًا وجرابًا من تمر، حتى إذا لم يبق شيء مما يحتاج إليه مسافر إلا هيأه، أعطانيه وكساني، ثم دعا بخمسة دنانير فدفعها إلي فقال: هذه للطريق. فخرجت من عنده.

[الطبقات الكبرى ص٢٢٥]



أتى طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مال من حضرموت سبع مئة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته: يا أبا محمد، ما لي أراك منذ الليلة تململُ، أرابك منا أمر فنُعتبك؟ قال: لا، لعمري، لنعم زوجة المرء أنت، ولكن تفكرت منذ الليلة فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلاقك؟ قال: وما هو؟ قالت: إذا أصبحت دعوت بجفان

وقصاع فقسمتها على بيوت المهاجرين والأنصار على قدر منازلهم، فقال لها: يرحمك الله، إنك ما علمت موفقة بنت موفَّق -وهي أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم- فلما أصبح دعا بجفان وقصاع فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علي بن أبي طالب منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي، فكانت صرة نحو من ألف درهم. [تاريخ دمشق ٢٥/٩٩]

❃ ❃ ❃

باع قيس بن سعد مالًا من معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم بتسعين ألفًا، فأمر من نادى في المدينة: من أراد القرض فليأت، فأقرض أربعين ألفًا وأجاز بالباقي وكتب على من أقرضه، فمرض مرضًا قلّ عُوّاده، فقال لزوجته قَرِيبة أخت الصديق: لم قلّ عُوّادي؟ قالت: للدَّيْن، فأرسل إلى كل رجلٍ بصكه.
[سير أعلام النبلاء ٣/١٠٧]



قالت سعدى بنت عوف المُرِّيّة: دخل عليَّ طلحة بن عبيد الله يومًا خاثرًا، فقلت له: ما لي أراك خاثرًا؟ أرابك منا ريب فنُعتبك؟ فقال: ما رابني منك ريب، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت، إلا أنه اجتمع في بيت المال مال كثير قد غمني، قالت: فقلت له: وما يمنعك منه، أرسل إلى قومك فاقسمه بينهم، قالت: فأرسل إلى قومه، فقسمه بينهم. قالت سعدى: فسألت الخازن: كما كان؟ قال: أربع مئة ألف. [الزهد للإمام أحمد ١/١١٩]



قال علي بن عاصم: خرجت من واسط إلى الكوفة أنا وهشيم لنلقى منصورًا، فلما خرجت من واسط سرت فراسخ لقيني إما أبو معاوية وإما غيره، فقلت: أين تريد؟ قال: أسعى في دينٍ عليَّ، فقلت: ارجع معي؛ فإن عندي أربعة آلاف درهم أعطيك منها ألفين، فرجعت فأعطيته ألفين، ثم خرجت فدخل هشيم الكوفة بالغداة ودخلتها بالعشي، فذهب هشيم، فسمع من منصور أربعين حديثًا، ودخلت أنا الحمام، فلما أصبحت مضيت فأتيت باب منصور، فإذا جنازة، فقلت: ما هذه؟ قالوا: جنازة منصور، فقعدت أبكي، فقال لي شيخ هناك: يا فتى، ما يبكيك؟ قال: قلت قدمت على أن أسمع من هذا الشيخ وقد مات، قال: فأدلك على من شهد عرس أمِّ ذا، قلت: نعم، قال: اكتب، حدثني عكرمة عن ابن عباس، فجعلت أكتب عنه شهرًا، فقلت له: من أنت رحمك الله؟ قال: أنت تكتب عني منذ شهر لم تعرفني؟ أنا حصين بن عبد الرحمن، وما كان بيني وبين أن ألقى ابن عباس إلا سبعة دراهم أو تسعة دراهم، فكان عكرمة يسمع منه ثم يجيء فيحدثني.

[الرحلة في طلب الحديث ١ / ١٧٣]



عاتب رجاءُ بن حيوة الزهريَّ في الإنفاق والدين، فقال: لا تأمن من أن يمسك عنك هؤلاء القوم، فتكون قد حملت على أمانتك، فوعده أن يقصر، فمرَّ به رجاء بن حيوة يومًا وقد وضع الطعام ونصب موائد العسل، فقال له

رجاء: هذا الذي افترقنا عليه؟! فقال له الزهري: انزل؛ فإن السخي لا تؤدبه التجارب. [آداب الشافعي ص١٥٥]



قال المأمون لمحمد بن عباد: أردتُ أن أوليك فمنعني إسرافك في المال، فقال محمد: منعُ الموجودِ سوءُ ظن بالمعبود، فقال له المأمون: لو شئتَ أبقيتَ على نفسك؛ فإن هذا المال الذي تنفقه ما أبعد رجوعه إليك، قال: يا أمير المؤمنين، مَن له مولى غنيّ لا يفتقر، قال: فاستحسن المأمون ذلك منه، وقال للناس: من أراد أن يكرمني فليكرم ضيفي محمد بن عباد، فجاءت الأموال إليه من كل ناحية، فما برح وعنده منها درهم واحد، وقال: إن الكريم لا تحنكه التجارب. [تاريخ بغداد ٣/٦٤٦]

❁ ❁ ❁

قال أبو حسان الزيادي: مُطرنا يومًا مطرًا شديدًا، فأقمت في المسجد للصلاة فإذا أنا بشخصٍ حِيالي إذا أطرقت نظر إليَّ وإذا رفعت رأسي أطرق، ففعل هذا مراتٍ فدعوت به، وقلت: ما شأنك؟ فقال: ملهوفٌ أنا رجل متجمِّل جاء هذا المطر فسقط بيتي، ولا والله ما أقدر على بنيانه، قال: فأقبلت أفكر من له؟ فخطر ببالي غسان بن عباد، فركبت إليه معه، وذكرت له شأنه، فقال: قد دخلتني له رقة، ههنا عشرة آلاف درهم قد كنت أريد تفرقتها، فأنا أدفعها إليه، فبادرت إليه وهو على الباب فأخبرته، فسقط مغشيًّا عليه من الفرح، فلامني ناسٌ رأَوْه، وقالوا: ما صنعتَ به؟! فدخلت إلى غسان فأمر

بإدخاله، ورشّ على وجهه من ماء الورد حتى أفاق، فقلت: ويحك ما نالك؟ قال: ورد عليّ من الفرح ما أنزل بي ما ترى، ثم تحدثنا مليًّا، فقال لي غسان: قد دخلتني له رقة، قلت: فمه؟ قال: احمله على دابة، فقلت له: إن الأمير قد عزم في أمرك على شيء، أفمن رأيك أن تموت إن أخبرتك؟ قال: لا، قلت: قد عزم على حملك على دابة، قال: أحسن الله جزاءه، ثم تحدثنا مليًّا، فقال لي: قد دخلتني لهذا الرجل رقة، قلت: فما تصنع به؟ قال: أجري له رزقًا سنيًّا وأضمه إليَّ، فقلت له: إن الأمير قد عزم في أمرك على شيء، أفمن رأيك أن تموت؟! قال: لا، قلت: إنه قد عزم على أن يجري لك رزقًا ويضمك إليه، قال: أحسن الله جزاءه، ثم ركبت ودفعت البدرة إلى الغلام يحملها، فلما سرنا بعض الطريق قال لي: ادفع البدرة إليَّ أحملها، قلت: الغلام يكفيك، قال: آنس بمكانها على عنقي! ثم غدوت به إلى غسان، فحمله وضمَّه إليه وخصَّ به، فكان من خير تابعٍ. [تاريخ بغداد ٨/٣٣٩]

❁ ❁ ❁

قال شعيب بن الليث: خرجتُ حاجًّا مع أبي، فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب، قال: فجعل على الطبق ألف دينار، وردَّه إليه.

[سير أعلام النبلاء ٨/١٥٠]

❁ ❁ ❁

قال منصور بن عمار: كنا عند الليث بن سعد يومًا، فأتته امرأة ومعها قدح فقالت له: يا أبا الحارث، إن زوجي يشتكي وقد نعت له العسل، قال: اذهبي إلى أبي قسيمة فقولي له يعطيك مطرًا من عسل، فذهبت فلم ألبث

أن جاء أبو قسيمة فسارَّه بشيءٍ لا أدري ما هو، قال: فرفع رأسه إليه فقال: اذهب فأعطها، إنها سألت بقدرها وأعطيناها بقدرنا. والمطر فرق، والفرق عشرون ومائة رطل. [تاريخ دمشق ٣٦٩/٥٠]



قال أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن الصيرفي: بعث إليّ الحكم بن موسى في أيامِ عيدٍ أنه يحتاج إلى نفقة، ولم يك عندي إلا ثلاثة آلاف درهم فوجّهت إليه بها، فلما صارت في قبضته وجّه إليه خلاد بن أسلم أنه يحتاج إلى نفقةٍ، فوجّه بها كلِّها إليه، واحتجتُ أنا إلى نفقةٍ فوجهت إلى خلاد: إني أحتاج إلى نفقةٍ، فوجَّه بها كلِّها إليّ، فلما رأيتُها مصرورة في خِرقتها وهي الدراهمُ بعينها أنكرتُ ذلك، فبعثتُ إلى خلادٍ: حدِّثني بقصة هذه الدراهم؟ فأخبرني أن الحكم بن موسى بعث بها إليه، فوجهت إلى الحكم منها بألف، ووجّهت إلى خلادٍ منها بألف، وأخذت أنا منها ألفًا. [تاريخ بغداد ٣٠٣/٩]



كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد، كان له مروءة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبِرّ بالإخوان، فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يتفضل عليهم وكان يواسيهم، فواسَوْه ثم ملُّوه، فلما لاح له تغيُّرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها: يا ابنة عمي، قد رأيت من إخواني تغيُّرًا، وقد عزمتُ على أن ألزم بيتي إلى أن يأتيني الموت، فأغلق بابه وأقام يتقوّت بما عنده حتى نفد

وبقي حائرًا، وكان يعرفه عكرمة الفياض متولي الجزيرة، وإنما سُمّي بذلك لأجل كرمه، فبينما هو في مجلسه إذ ذُكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة الفياض: ما حاله؟ فقالوا: قد صار إلى أمرٍ لا يوصف وإنه أغلق بابه ولزم بيته، قال: أفما وجد خزيمة بن بشر مواسيًا ولا مكافئاً؟ فقالوا: لا. فأمسك عن الكلام، ثم لما كان الليل عَمَدَ إلى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد، ثم أمر بإسراج دابته، وخرج سرًّا من أهله، فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام، ثم أبعده عنه وتقدم إلى الباب فدفعه بنفسه فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس، وقال: أصلح بهذا شأنك، فتناوله فرآه ثقيلًا فوضعه عن يده، ثم أمسك بلجام الدابة، وقال له: من أنت جعلت فداك؟ فقال له عكرمة: يا هذا، ما جئتُك في هذا الوقت والساعة أريد أن تعرفني! قال: فما أقبله إلا إن عرّفتني من أنت، فقال: أنا جابرُ عثرات الكرام، قال: زدني، قال: لا. ثم مضى، ودخل خزيمة بالكيس إلى ابنة عمِّه، فقال لها: أبشري فقد أتى الله بالفرَج والخير، ولو كانت فلوسًا فهي كثيرة، قومي فأسرجي، قالت: لا سبيل إلى السراج. فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق.

وأما عكرمة فإنه رجع إلى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه فأخبرتْ بركوبه فأنكرت ذلك وارتابت، وقالت له: والي الجزيرة يخرج بعد هدوٍّ من الليل منفردًا من غلمانه في سِرٍّ من أهله إلا إلى زوجة أو سرية! فقال: اعلمي أني ما خرجت في واحدة منها، قالت: فخبرني فيما خرجتَ، قال:

يا هذه، ما خرجت في هذا الوقت وأنا أريد أن يَعلم بي أحد، قالت: لا بد أن تخبرني؟ قال: تكتمينه إذًا، قالت: فإني أفعل. فأخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله وردِّه عليه، ثم قال أتحبين أن أحلف لك أيضًا؟ قالت: لا؛ فإن قلبي قد سكن ورَكِن إلى ما ذكرتَ.

وأما خزيمة فلما أصبح صالح الغرماء وأصلح ما كان من حاله، ثم إنه تجهَّز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازلًا يومئذ بفلسطين، فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجبُ فأخبره بمكانه وكان مشهورًا بمروءته وكرمه وكان سليمان عارفًا به فأذن له، فلما دخل سلَّم عليه بالخلافة، فقال له سليمان بن عبد الملك: يا خزيمة، ما أبطأك عنا؟ قال: سوءُ الحال، قال: فما منعك من النهضة إلينا؟ قال: ضعفي يا أمير المؤمنين، قال: فبم نهضت إلينا الآن؟ قال: لم أعلم يا أمير المؤمنين إلا أني بعد هدوٍّ من الليل لم أشعر إلا ورجل يطرُق الباب وكان من أمره كيتَ وكيتَ، وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها. فقال سليمان: هل تعرف هذا الرجل؟ فقال خزيمة: ما عرفته يا أمير المؤمنين؛ لأنه كان متنكِّرًا، وما سمعت من لفظه إلا أنا جابر عثرات الكرام. فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال: لو عرفناه لكافأناه على مروءته، ثم قال: علي بقناة، فأتى بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملًا عوضًا عن عكرمة الفياض. فخرج خزيمة طالبًا الجزيرة، فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه، فسلَّما على بعضهما، ثم سارا جميعًا إلى أن دخلا البلد، فنزل خزيمة في دار الإمارة، وأمر أن يؤخذ لعكرمة كفيلٌ وأن يحاسب، فحوسب

فوُجد عليه فضول أموالٍ كثيرة، فطالبه بأدائها فقال: ما لي إلى شيء من ذلك سبيل، قال: لا بد منها، قال: ليست عندي، فاصنع ما أنت صانع. فأمر به إلى الحبس، ثم أَنفَذ إليه من يطالبه فأرسل يقول: إني لست ممن يصونُ مالَه بعرضه، فاصنع ما شئت. فأمر أن يكبل بالحديد، فأقام شهرًا كذلك أو أكثر فأضناه ذلك وأضرّ به، وبلغ ابنةَ عمه خبرُه فجزِعت واغتمّتْ لذلك، ثم دعت مولاةً لها وكانت ذات عقل ومعرفة وقالت لها: امضي الساعة إلى باب هذا الأمير خزيمة بن بشر وقولي: عندي نصيحة، فإذا طُلِبتْ منك فقولي: لا أقولها إلا للأمير خزيمة بن بشر، فإذا دخلتِ عليه فسليه أن يُخلِيَك، فإذا فعل ذلك فقولي: ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك! كافأته بالحبس والضيق والحديد! ففعلت الجارية ذلك، فلما سمع خزيمة كلامَها نادى برفيع صوته وا سوأتاه، وإنه لهو؟ قالت: نعم، فأمر لوقته بدابته فأسرجت، وبعث إلى وجوه أهل البلد فجمعهم إليه وأتى بهم إلى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه، فرآه قاعدًا في قاعة الحبس متغيّرًا أضناه الضر والألم وثقل القيود، فلما نظر إليه عكرمة وإلى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه، فأقبل خزيمة حتى أكبَّ على رأسه فقبله، فرفع عكرمة إليه رأسه وقال: ما أعقب هذا منك؟ قال: كريم فعالك وسوء مكافأتي، قال: يغفر الله لنا ولك. ثم أتي بالحداد ففك القيود عنه، وأمر خزيمة أن توضع القيود في رجل نفسه، فقال عكرمة: ماذا تريد؟ فقال: أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك، فقال: أقسم عليك بالله لا تفعل، فخرجا جميعًا حتى وصلا إلى دار خزيمة فودَّعه

عكرمة، وأراد الانصراف عنه، فقال: ما أنت ببارح، قال: وما تريد؟ قال: أُغيِّر حالك، وإن حيائي من بنت عمك أشدُّ من حيائي منك.

ثم أمر بالحمّام فأُخلي ودخلاه معًا، فقام خزيمة وتولى أمره وخدَمَه بنفسه، ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالًا كثيرًا، ثم سار معه إلى داره واستأذنه في الاعتذار إلى ابنة عمه، فاعتذر إليها وتذمَّم من ذلك، ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرملة فأنعم له بذلك وسارَا جميعًا حتى قدِمَا على سليمان بن عبد الملك، فدخل الحاجب فأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر، فراعَهُ ذلك وقال: والي الجزيرة يَقدَمُ بغير أمرنا؟ ما هذا إلا لحادث عظيم! فلما دخل قال له قبل أن يسلم: ما وراءك يا خزيمة؟ قال: الخير يا أمير المؤمنين، قال: فما الذي أقدمك؟ قال: ظَفِرت بجابر عثرات الكرام، فأحببتُ أن أسرك به لما رأيت من تلهفك وتشوقك إلى رؤيته، قال: ومن هو؟ قال: عكرمة الفياض؟ فأَذِن له بالدخول، فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحّب به وأدناه من مجلسه، وقال: يا عكرمة، ما كان خيرك له إلا وبالًا عليك. ثم قال سليمان: اكتب حوائجك كلها وما تحتاج إليه في رقعة، ففعل ذلك، فأمر بقضائها منه ساعتَه، وأمر له بعشرة آلاف دينار وسَفَطين ثيابًا، ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وقال له: أمرُ خزيمة إليك، إن شئت أبقيتَه وإن شئت عزلته، قال بل اردده إلى عمله يا أميرَ المؤمنين، ثم انصرفا من عنده جميعًا، ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته.

[نوادر الخلفاء ص٦٤]





لما كان العز بن عبد السلام بدمشق وقع مرة غلاء كبير حتى صارت البساتين تباع بالثمن القليل، فأعطته زوجته مصاغًا لها وقالت: اشتر لنا به بستانًا نصيف به، فأخذ ذلك المصاغ وباعه وتصدق بثمنه، فقالت: يا سيدي، أشتريت لنا؟ قال: نعم، بستانًا في الجنة، إني وجدت الناس في شدة فتصدقت بثمنه، فقالت له: جزاك الله خيرًا. [طبقات الشافعية الكبرى ٨/٢١٤]





الصـــوم

دخل ناسٌ من أهل دمشق على أبي مسلم الخولاني وهو غازٍ في أرض الروم، وقد احتفر جُورة في فسطاطه، وجعل فيها نطعًا وأفرغ فيه الماء وهو يتصلق فيه، فقالوا: ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟ قال: لو حضر قتال لأفطرت، ولتهيأت له وتقويت؛ إن الخيل لا تجري الغايات وهن بُدَّن، إنما تجري وهن ضُمّر، ألا وإن أيامًا باقيةً جائية لها نعمل».

[سير أعلام النبلاء ٤/١٠]



غُشِي على مسروق بن الأجدع في يومٍ صائفٍ وهو صائم، وكانت عائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تبنّته، فسمى ابنته: عائشة، وكان لا يعصي ابنته شيئًا، قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه، أفطر واشرب، قال: ما أردتِ بي يا بنية؟ قالت: الرفق، قال: يا بنية، إنما طلبتُ الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

[تاريخ بغداد ١٥/٣١١]



حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء، فقال لحاجبه: انظر من يتغدى معي وأسألُه عن بعض الأمر، فنظر نحو الجبل فإذا هو بأعرابي بين شملتين من شعر نائمٌ، فضربه برجله وقال: ائت الأمير، فأتاه فقال له الحجاج: اغسل يديك وتغد معي، فقال: إنه دعاني من هو خير

منك فأجبته، قال: ومن هو؟ قال: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، دعاني إلى الصوم فصمت، قال: في هذا الحر الشديد؟ قال: نعم، صمت ليوم أشد حرًّا من هذا اليوم، فقال: فأفطر وصم غدًا، قال: إن ضمنت لي البقاء إلى غد، قال: ليس ذاك إليّ، قال: فكيف تسألني عاجلًا بآجل لا تقدر عليه؟ قال: إنه طعام طيب، قال: لم تطيبه أنت ولا الطباخ، إنما طيبته العافية. [صفة الصفوة ٢/٤٩٣]

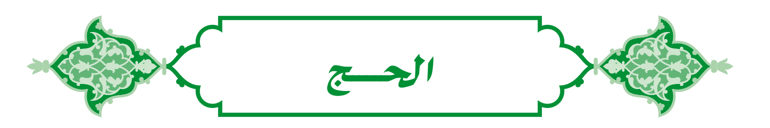
❁ ❁ ❁

دخلوا على أبي بكر ابن أبي مريم وهو في النزع وهو صائم، فعرضوا عليه ماءً ليفطر، فقال: أغربت الشمس؟ قالوا: لا، فأبى أن يفطر ثم أتوه بماء وقد اشتد نزعه، فأومأ إليهم أغربت الشمس؟ قالوا: نعم، فقطروا في فيه قطرة من ماء ثم مات. [لطائف المعارف ص٣٨]

❁ ❁ ❁

احتضر إبراهيم بن هانئ صاحب الإمام أحمد وهو صائم وطلب وسأل أغربت الشمس؟ فقالوا: لا، وقالوا له: قد رخص لك في الفرض وأنت متطوع، قال: أمهل ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، ثم خرجت نفسه وما أفطر. [لطائف المعارف ص٣٨]





الحـــج

قال سليمان بن الربيع انطلقت في رهط من نساك أهل البصرة إلى مكة، فقلنا: لو نظرنا رجلًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدُلِلنا على عبد الله بن عمرو، فأتينا منزله فإذا قريب من ثلاث مائة راحلة، فقلنا: على كل هؤلاء حج عبد الله بن عمرو؟ قالوا: نعم، هو ومواليه وأحباؤه، فانطلقنا إلى البيت فإذا نحن برجل أبيض الرأس واللحية بين بردين قِطْرِيّين عليه عمامة وليس عليه قميص، فعَمَدنا إليه فإذا نحن بثقل عظيم يرتحلون ثلاث مائة راحلة، منها مائة راحلة ومائتا زاملة، وكنا نحدث أنه أشد الناس تواضعًا، فقلنا: ما هذا؟ قالوا: لإخوانه يحملهم عليها ولمن ينزل عليه، فعجبنا، فقالوا: إنه رجل غني، ودلونا عليه أنه في المسجد الحرام، فأتيناه فإذا هو رجل قصير أرمص بين بردين وعمامة قد علق نعليه في شماله. [سير أعلام النبلاء ٣/٩٢]

❁ ❁ ❁

كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها، ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طُرَفِها؟ فيقول:

كذا وكذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسُرُّوا دعا بالصندوق ففتحه، ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّته عليها اسمه.

[سير أعلام النبلاء ٨/٣٨٥]



قال ابن عيينة: حج صفوان، فذهبت بمنى فسألت عنه، فقيل لي: إذا دخلت مسجد الخيف فأت المنارة، فانظر أمامها قليلًا شيخًا إذا رأيته علمت أنه يخشى الله تعالى فهو صفوان بن سليم. فما سألت عنه أحدًا حتى جئت كما قالوا، فإذا أنا بشيخ كما رأيته علمت أنه يخشى الله، فجلست إليه فقلت: أنت صفوان بن سليم؟ قال: نعم. [تهذيب الكمال ١٣/١٨٨]



وفد ابن جريج على معن بن زائدة لدين لَـحِقَه، فأقام عنده إلى عاشر ذي القعدة، فمر بقوم تغني لهم جارية بشعر عمر بن أبي ربيعة:

هيهات من أمة الوهّاب منزلُنا ... إذا حللنا بسيف البحر من عَدَنِ

واحتلّ أهلك أجيادًا فليس لنا ... إلا التذكر أو حظ من الحزن

تالله قولي له في غير معتبة ... ماذا أردت بطول المكث في اليمن؟

إن كنت حاولتَ دنيا أو ظفرت بها ... فما أصبتَ بترك الحج من ثمن

فبكى ابن جريج وانتحب وأصبح إلى معن، وقال: إن أردت بي خيرًا فردني إلى مكة ولست أريد منك شيئًا. [سير أعلام النبلاء ٦/٣٣٥]



جاء رجل إلى بشر الحافي يودّعه، قال: قد عزمت على الحج أفتأمرني بشيء؟ فقال له بشر: كم أعددت للنفقة؟ قال: ألفي درهم، قال: فأيّ شيء تبتغي بحجك؟ نزهةً أو اشتياقًا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ، قال: ابتغاء مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ، قال: فإن أصبتَ رضا الله وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب فأعطها عشرة أنفس مدين يقضي بها دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يحيي عياله ومربي يتيم يفرحه، وإن قوى قلبك أن تعطيها لواحد فافعل، فإن إدخالك السرور على قلب امرئ مسلم وتغيث لهفان وتكشف ضر محتاج وتعين رجلًا ضعيف اليقين أفضلُ من مائة حجة بعد حجة الإسلام، قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك، فقال: يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر وأقبل عليه، وقال له: «المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس إلى أن تقضي به وطرًا تسرع إليه بمظاهر الأعمال الصالحات، وقد آلى الله تعالى على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين».

[قوت القلوب ١/١٦٥]





الصبـــر

لما كان يوم اليمامة واصطفّ الناس كان أولَ من جُرح أبو عَقِيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رُمي بسهمٍ فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم ووهَن له شقُّه الأيسر في أول النهار، وجُرّ إلى الرحل، فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم وأبو عقيل واهِنٌ مِن جرحه سمع معن بن عدي يصيح: يا للأنصار! اللهَ الله، والكرّة على عدوكم، قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد؟! ما فيك قتال! قال: قد نوَّه المنادي باسمي، قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يا للأنصار، ولا يعني: الجرحى، قال أبو عقيل: أنا من الأنصار وأنا أجيبه ولو حَبْوًا، قال ابن عمر: فتحزَّم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: يا للأنصار! كرّةً كيوم حُنين، فاجتمِعوا رحمكم الله جميعًا، تقدّموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوّهم الحديقة فاختلطوا، واختلفت السيوف بيننا وبينهم، قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عَقيل وقد قُطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت إلى الأرض، وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلّها قد خلصت إلى مَقتل، وقُتل عدوّ الله مسيلمة، قال: فوقفت على أبي عقيل وهو صريعٌ بآخر رمق، فقلت: يا أبا عقيل! قال: لبيك - بلسان مُلْتاثٍ - لمن الدَّبَرة؟ قلت: أبشر قد قتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات.

[صفة الصفوة ١/٢١٤]



كان لأبي طلحة الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ابن يكنى أبا عمير فكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يستقبله فيقول: يا أبا عمير ما فعل النغير؟ والنغير طائر، فمرض وأبو طلحة غائب في بعض حيطانه، فهلك الصبي فقامت أم سليم فغسلته وكفنته وحنطته وسجت عليه ثوبًا وقالت: لا يكون أحد يخبر أبا طلحة حتى أكون أنا الذي أخبره، فجاء أبو طلحة فتطيبت له وتصنعت له وجاءت بعشاء، فقال: ما فعل أبو عمير؟ فقالت: هو أسكن مما كان، فتعشى وأصاب منها ما يصيب الرجل من أهله، ثم قالت أم سليم: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت إليهم شق عليهم؟ قال: ما أنصفوا، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت أهل بيت أعاروا أهل بيت عارية فطلبها أصحابها أيردونها أو يحبسونها؟ فقال: بل يردونها عليهم، ليس لهم ذلك، إن العارية مؤداة إلى أهلها، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله فقبضه إليه، قال: فقال لها: والله لا تغلبيني الليلة على الصبر. ثم أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بما كان منهما فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما**». قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن.

[صحيح ابن حبان ١٦/١٥٨، صحيح البخاري ٢/٨٣]



قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك حين دَوِيت رجله، فقيل له: اقطعها فقال: إني لأكره أن أقطع مني طائفة، فارتفعت إلى الركبة، فقيل: إن وقعت في ركبتك قتلتك، فقطعها فلم يقبض وجهه ولا تأوه، ويقال: إنه

لم يترك حزبه في تلك الليلة، وقيل له قبل أن يقطعها: نسقيك دواء لا تجد لها ألمًا؟ قال: ما يسرني أن هذا الحائط وقاني أذاها، فلما كان بعد أيام قام ابنه محمد ابن عروة ليلًا فسقط من أحد الأسطح في إصطبل دواب الوليد، فضربته بقوائمها حتى قتلته، فأتى رجل عروة يعزيه، فقال له عروة: إن كنت جئت تعزي برجلي فقد احتسبتها، فقال: بل أعزيك في محمد ابنك، قال: وما له؟ فخبره بشأنه، فقال:

وكـنـت إذا الأيـام أحـدثـن نكبة   أقول شوًى ما لم يصبن صميمي

اللهم أخذت عضوًا وتركت أعضاء، وأخذت ابنًا وتركت أبناء، ولئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت.

ولما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق، فأتاه محمد بن المنكدر، فقال له: كيف كنت؟ قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا، وجاءه عيسى بن طلحة، فقال لبعض بنيه: اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها، ففعل، فقال عيسى ابن طلحة: أما والله يا أبا عبد الله، ما أعددناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقى الله لنا ما كنا نحتاج إليه منك: رأيك وعلمك، فقال عروة: ما عزاني أحد عن رجلي مثلك. [بهجة المجالس ٣/٣٥٦-٣٥٧]



قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: جعلوا يذاكرون أبا عبد الله -يعني الإمام أحمد- بالرَّقّة في التَّقيّة وما روي فيها، فقال: كيف تصنعون بحديث خباب: (إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار لا يصده ذلك

عن دينه)، فأيسنا منه، وقال: لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلًا بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، فسمعه بعض أهل الحبس فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سُرِّي عنه.

[سير أعلام النبلاء ١١/٢٣٩]



قال محمد الحنفي: كنت في الدار وقت أدخل أحمد بن حنبل وغيره من العلماء، فلما أن مُدّ أحمد ليُضْرَب بالسوط دنا منه رجلٌ وقال له: يا أبا عبد الله أنا رسول خالد الحداد من الحبس، يقول لك: اثبت على ما أنت عليه، وإياك أن تجزع من الضرب واصبر؛ فإني قد ضربت ألف حدّ في الشيطان، وأنت تضرب في الله عَزَّوَجَلَّ.

[تاريخ دمشق ٥/٣١٣]



قال عبد الله بن الإمام أحمد: كنت أسمع كثيرًا والدي يقول رحم الله أبا الهيثم غفر الله لأبي الهيثم عفا الله عن أبي الهيثم فقلت يا أبتي من هو أبو الهيثم؟ فقال: لما خرجت إلى السياط ومُدّت يدي للعقابين إذا أنا بشاب يجرني ويقول: تعرفني؟ قلت، لا قال: أنا أبو هيثم العيار اللص الطرار مكتوب في ديوان أمير المؤمنين، إني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت على ذلك في طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت على طاعة الله لأجل الآخرة.

[المنهج الأحمد ١/٣٨]



الابتــلاء

قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: أتيتُ عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ يوم الدار فقلت: جئت أقاتل معك، قال: أيسرُّك أن تقتل الناس كلهم؟ قلت: لا، قال: فإنك إن قتلت نفسًا واحدة كأنك قتلت الناس كلهم، فقال: انصرف مأذونًا غير مأزور، قال: ثم جاء الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا فقال: جئت يا أمير المؤمنين أقاتل معك، فَأْمُرْنِي بأمرك، فالتفت عثمان إليه فقال: انصرف مأذونًا لك مأجورًا غير مأزور، جزاكم الله من أهل بيت خيرًا. [المجالسة ٢/٢٧٨]

❁ ❁ ❁

لما مرَّ سعيدُ بن جبير بوهب بن منبِّه قال لصاحبه: لو دخلنا عليه، فدخل عليه، فشكا إليه من الشدة ما لقي من الحجاج ومن تطريده إياه، فقال وهب ابن منبه: إن أولياء الله إذا سُلِكَ بهم طريق الشدة رجَوْا، وإن سلك بهم طريق الرخاء خافوا. [الزهد للإمام أحمد ١/٦٢٠]

❁ ❁ ❁

قال الأوزاعي عن عبد الله بن محمد: قال خرجت إلى ساحل البحر مرابطًا، وكان رباطنا يومئذ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه، وهو يقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمدًا أكافىء به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلًا.

قال الأوزاعي: قال عبد الله: قلت: والله لآتين هذا الرجل ولأسألنه أنى له هذا الكلام فهم أم علم أم إلهام ألهم؟ فأتيت الرجل فسلمت عليه فقلت: سمعتك وأنت تقول اللهم أوزعني أن أحمدك حمدًا أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير من خلقت تفضيلًا، فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها وأيّ فضيلة تفضل بها عليك تشكره عليها؟ قال: وما ترى ما صنع ربي؟ والله لو أرسل السماء عليّ نارًا فأحرقتني وأمر الجبال فدمرتني وأمر البحار فغرقتني وأمر الأرض فبلعتني ما ازددت لربي إلا شكرًا لما أنعم علي من لساني هذا، ولكن يا عبد الله، إذ أتيتني لي إليك حاجة، قد تراني على أي حالة أنا، أنا لست أقدر لنفسي على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بُنيٌّ لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضِّئُني، وإذا جعت أطعمني وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام، فتحسسه لي رحمك الله، فقلت: والله ما مشى خلق في حاجة خلق كان أعظم عند الله أجرًا ممن يمشي في حاجة مثلك، فمضيت في طلب الغلام، فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه، فاسترجعت وقلت أنى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟ فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أتيته سلمت عليه فرد عليَّ السلام، فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى، قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي، قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى، قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا، قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه؟

قال: نعم، قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا، قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيره عرضًا لمارّ الطريق، هل علمت؟ قال: نعم، قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابرًا شاكرًا حامدًا، أوجِز رحمك الله، قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه، فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقًا يعصيه فيعذبه بالنار، ثم استرجع وشهق شهقةً فمات، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، عظمت مصيبتي، رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع، وإن قعدت لم أقدر على ضر ولا نفع، فسجيته بشملة كانت عليه وقعدت عند رأسه باكيًا، فبينما أنا قاعد إذ تهجم عليّ أربعة رجال فقالوا: يا عبد الله، ما حالك وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه، فكشفت عن وجهه فانكب القوم عليه يقبّلون عينيه مرة ويديه أخرى ويقولون: بأبي، عينٌ طالما غضَّتْ عن محارم الله، وبأبي، وجسمه طالما كنت ساجدًا والناس نيام، فقلت: من هذا يرحمكم الله؟ فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا وصلينا عليه ودفناه، فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي، فلما أن جنّ علي الليل وضعت رأسي فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة وعليه حلتان من حلل الجنة وهو يتلو الوحي: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى، قلت: أنى لك هذا؟ قال: إن لله

درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء مع خشية الله عَزَّوَجَلَّ في السر والعلانية. [الثقات لابن حبان ٥/٣-٥]



قال الحسن بن عرفة: دخلت على أحمد بن حنبل بعد المحنة، فقلت له: يا أبا عبد الله، قمتَ مقام الأنبياء، فقال لي: اسكت فإني رأيت الناس يبيعون أديانهم ورأيت العلماء ممن كان معي يقولون ويميلون، فقلت: من أنا؟ وما أنا؟ وما أقول لربي غدًا إذا وقفت بين يديه جَلَّجَلَالُهُ، فقال لي: بعت دينك كما باعه غيرك؟ ففكرت في أمري ونظرت إلى السيف والسوط فاخترتهما، وقلت: إن أنا مِتُّ صرت إلى ربي عَزَّوَجَلَّ فأقول: دُعِيت إلى أن أقول في صفة من صفاتك مخلوقة فلم أقل، فالأمر إليه إن شاء عذب وإن شاء رحم، فقلت: وهل وجدت لأسواطهم ألمًا؟ قال لي: نعم، وتجلَّدت إلى أن تجاوزت العشرين، ثم لم أدر بعد ذلك، فلما حُلَّ العُقَابان كأني لم أجد له ألمًا، وصليت الظهر قائمًا، قال الحسن: فبكيت، فقال لي: ما يبكيك؟ قلت: بكيت مما نزل بك، قال: أليس لم أكفر؟ ما أبالي لو تلفتُ. [طبقات الحنابلة ١/١٤٠-١٤١]

قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: مررت مع أبي بالكناسة فبكى، فقلت له: يا أبت ما يبكيك؟ قال: يا بني، في هذا الموضع ضرب ابنُ هبيرة جَدَّك عشرة أيام في كل يوم عشرة أسواط على أن يلي القضاء، فلم يفعل.

[مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه ص٢٤]



قال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل: لما دُعِي عفان للمحنة كنتُ آخذًا بلجام حماره، فلما حضر عُرض عليه القول فامتنع أن يجيب، فقيل له: يحبس عطاؤك، وكان يعطى في كل شهر ألف درهم، فقال: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾، فلما رجع إلى داره عذلوه نساؤه ومَن في داره، قال: وكان في داره نحو أربعين إنسانًا، قال: فدقّ عليه داقّ الباب، فدخل عليه رجل شبهته بسمان أو زيات، ومعه كيس فيه ألف درهم، فقال: يا أبا عثمان ثبّتك الله كما ثبّتّ الدين، وهذا في كل شهر. [تاريخ بغداد ١٤/٢٠١]



كان سببُ حبس إبراهيم التيمي أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي فجاء الذي طلبه فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، فأخذه وهو يعلم أنه يريد إبراهيم النخعي فلم يستحلّ أن يدُلّه عليه، فأتى به الحجاج فأمر بحبسه في الدِّيماس ولم يكن لهم ظلّ من الشمس ولا كِنّ من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم، فجاءته أمه في الحبس فلم تعرفه حتى كلّمها.

فمات في السجن، فرأى الحجاج في منامه قائلًا يقول: مات في هذه البلدة الليلة رجل من أهل الجنة، فلما أصبح قال: هل مات الليلة أحد بواسط؟ قالوا: نعم إبراهيم التيمي مات في السجن فقال: حُلم نزغة من نزغات الشيطان. وأمر به فألقي على الكناسة. [طبقات ابن سعد ٨/ ٤٠٢]



قال شرحبيل بن مسلم الخولاني: بينا الأسود بن قيس العنسي باليمن فأرسل إلى أبي مسلم الخولاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، فأمر بنارٍ عظيمة فأُجِّجت، فطرح فيها أبو مسلم فلم تضرَّه، فقال له أهل مملكته: إن تركت هذا في بلادك أفسدها عليك، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستُخلف أبو بكر، فقام إلى ساريةٍ من سواري المسجد يصلي، فبصُر به عمر بن الخطاب فقال: من أين الرجل؟ قال: من اليمن، قال: فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرّقه بالنار فلم تضره؟ فقال: ذاك عبد الله بن ثوب، قال: نشدتك بالله إنك هو؟ قال: اللهم نعم، فقبّل ما بين عينيه، ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر، وقال: الحمد الله الذي لم يُمِتْني حتى أراني من أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. [المنتظم ٥/٣٣١]



امتُحن البهلول على يد العَكِّيّ أمير القيروان وقيل له: إنه يقع في سلطانك، وضعِّف عنده أمره، فأمر به فتحاشد الناس معه فزاده ذلك حنقًا عليه، وأخرج إليهم الأجناد ففضوهم وأمر بتجريده وضربه بالسياط، ورمى جماعة أنفسهم فضربوا، وضرب هو نحو العشرين وحبسه، وكان عندما هم به وسيق لقيه قوم متلثمون فشاوروه في القيام عليه وتخليصه

فجعل يقول لا... لا. قال بعضهم كنا في غزاة مع بعض الخلفاء وكنا معه في أهل الثغور اثني عشر ألفًا وكان يقضي لنا كل يوم حاجتين، فلما بلغنا ضرب العكي لبهلول اختل العسكر، وتقدمنا إلى باب الخليفة فسألَنا حاجبه، فقلنا قد جعلنا حوائجنا نصرة البهلول، بلغنا أن العكي ضربه. فقال الحاجب: اتقوا الله في دم العكي، إن بلغ هذا الخليفةَ قتله، وكيف يضرب البهلول إلا أن يكون أهل أفريقية ارتدوا.

وكان مما حرك عليه العكي أنه كان يهادي ملك الروم فوجَّه إليه الطاغية في سلاح وحديد ونحاس، فلما أراد توجيه ذلك إليه عارضه في ذلك بهلول ووعظه فيه إذ لا يجوز ذلك. قال أبو زرجونة: كنت عند بهلول بعد ضربه إذ سمعت بكاء رجل داخل من الباب وإذا ابن فروخ فجلس أمامه، فبكى. فقال له بهلول: ما أبكاك يا أبا عمر؟ قال أبكي لظهر ضرب بغير حق، فقال: قضاء وقدر. وندم العكي بعد ذلك، وقال لابن غانم هل تستطيع أن ترينيه؟ فقال: أما على أن يأتيك فلا ولكن أستدعيه أنا واستشرف أنت من حيث تراه، ففعل، فلما بصر به جعل يقول تبارك الله كأنه سفيان الثوري في شأنه، فعن قريب عزل العكي أسوأ عزل وولي تمام بن تميم.

وحكي أنه لما مدت رجلاه للقيد قال: إن هذا الضرب من البلاء الذي لم أسأل الله العافية منه خطرة. وأتاه السجان في سجن العكي فعالجه فوهب إليه دينارًا وأعطى لمن معه دراهم، فعل بهم هذا ثلاثة أيام، كلما دخلوا عليه أعطاهم، فخاف أصحابه حاجته قبل خروجه فقالوا للسجان قد برىء

فلا تعاودوه، فلما استبطأه بهلول سأل عنه أصحابه، وكأنه فطن لهم، فقالوا له لكل يوم دينار! فقال: وما في ذلك؟ فقال له حفص بن عمارة من أصحابه: سمعت الثوري يقول: إذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يديه. فخر بهلول على يديه يقبلهما ويقول سألتك بالله أنت سمعتها منه؟ وبرىء الضرب الذي ضرب إلا أثر سوط واحد تَنَغَّلَ فصار قرحة فكان سبب موته.

قال البهلول: أقمت ثلاثين سنة أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض وهو السميع العليم، فنسيتها يومي مع العكي، فابتليت. وذكر أن العكي وجه إليه ثيابًا وكبشًا فلم يقبل ذلك. فلما أبى سأله أن يحله فقال له: ما وقع علي سوط إلا وأنا أستغفر لك يا أبا يسر. [ترتيب المدارك ٣/٩٨- ١٠١]



أصيبت يد زيد بن صُوحان في بعض فتوح العراق فتبسّم والدماء تشخب، فقال له رجل: ما هذا موضع تبسم! فقال زيد: ألمٌ حلّ هوّنه ثواب الله عليه، أفأُردِفه بألِمِ الجزع الذي لا جدوى فيه ولا دريكة لفائتٍ معه؟ وفي تبسّمي عزيَّة لبعض المؤتسين من المؤمنين، فقال الرجل: أنت أعلم بالله مني. [الصبر والثواب لابن أبي الدنيا ص٧١]



قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه محمد بن عروة فدخل محمد دار الدواب، فضربته دابة فخر ميتًا، ووقعت في رجل عروة الآكلة،

ولم يدع ورده تلك الليلة. فقال له الوليد: اقطعها، وإلا أفسدت عليك جسدك، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير ولم يمسكه أحد، وقال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا.

وقدم على الوليد في تلك السنة قوم من بني عَبْس فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن عينيه فقال: يا أمير المؤمنين، بت ليلةً في بطن واد ولا أعلم عبسيًّا يزيد ماله على مالي فطرقَنا سيل فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال غير بعير وصبي مولود، وكان البعير صعبًا فندّ، فوضعت الصبي واتبعت البعير فلم أجاوزه إلا قليلًا حتى سمعت صيحة ابني، فرجعت إليه ورأس الذئب في بطنه وهو يأكله، ولحقت البعير لأحبسه فنفحني برجله على وجهي فحطمه وذهب بعينيّ فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصر. فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاءً.

وشخص عروة إلى المدينة فأتته قريش والأنصار فقال له عيسى بن طلحة بن عبيد الله: أبشر يا أبا عبد الله، فقد صنع الله بك خيرًا، والله ما بك حاجة إلى المشي. فقال: ما أحسن ما صنع الله إلي، وهب لي سبعة بنين فمتعني بهم ما شاء، ثم أخذ واحدًا وترك ستة، ووهب لي ست جوارح، فمتعني بهن ما شاء، ثم أخذ واحدة ثم ترك لي خمسًا: يدين ورجلًا وسمعًا وبصرًا، ثم قال: اللهم لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت.

[التعازي والمراثي للمبرد ص٨٦]



قال محمد بن خلف القاضي المعروف بوكيع: كان لإبراهيم الحربي ابنٌ، وكان له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقَّنه من الفقه شيئًا كثيرًا، فمات، فجئتُ أعزيه، فقال لي: كنتُ أشتهي موتَ ابني هذا، قلت: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبيٍّ قد أنجب، ولقّنته الحديث والفقه؟ قال: نعم، رأيتُ في النوم كأنّ القيامة قد قامت وكأنّ صبيانًا بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكأنّ اليوم يومٌ حارٌّ شديدٌ حرُّه، فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، فنظر إليّ وقال: ليس أنت أبي، فقلت: فأيش أنتم؟ فقال: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا، وخلفنا آباءنا نستقبلهم، فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته. [تاريخ بغداد ٦/٥٢٢]



أحضر معدّ بن إسماعيل العبيدي صاحب مصر يومًا أبا بكر النابلسي الزاهد، وكان ينزل الأكواخ من أرض دمشق، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل المسلم عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهمًا واحدًا وفينا تسعة، فقال: ما قلت هكذا، فظن أنه رجع عن قوله، فقال: كيف قلت؟ قال: قلت إذا كان معه عشرة وجب أن يرميكم بتسعة ويرمي العاشر فيكم أيضًا؛ فإنكم غيرتم الملة وقتلتم الصالحين وادعيتم نور الألهية، فأمر حينئذ أن يشهَّر، فشُهر في اليوم الأول وضُرب بالسياط في اليوم الثاني وأُخرج في اليوم الثالث فسُلخ، سلخه رجل يهودي، وكان يقرأ القرآن ولا يتأوه. قال اليهودي: فداخلني له رحمة فطعنت بالسكين في فؤاده حتى مات عاجلًا.

[المنتظم ١٤/ ٢٤٥]



استخفى طالوت بن عبد الجبار المعافري خوفًا على نفسه من الحكم بن هشام أمير الأندلس عند رجل من اليهود من جيرانه وثق به، فتقبله أحسن قبول ومكث عنده بأفضل حال حولًا، حتى طفئت الثائرة، وظن الفتية أنه أهل اليهودي. وكانت بينه وبين أبي البسّام الوزير وُصلة جذبها إليه رجاءُ الأخذ له الأمان، فساء اليهوديَّ تحوّلُه عنه ونَصحه، فلجَّ وقصد الوزير خفية بين العشائين، فأظهر القبول وسأله أين كان قبل، فأخبره فصوّب رأيه في انتقاله إليه ووعده الشفاعة له، وبادر بالركوب في وقته وقد وكل به من يحرسه، فقال للأمير: ما رأيك في عجل سمين عاكف على مذودة منذ سنة يلذ مطعمه؟ هذا طالوت رأس المنافقين عندي قد أظفرك الله به، قال: قم فعجِّل به، ووثب فجلس على كرسي بباب مجلسه يتوقد غيظًا عليه، فلم يلبث أن أدخل طالوت عليه، فجعل يتقرعه بذنوبه ويقول: طالوت! الحمد الله الذي أظفرني بك، ويحك أخبرني لو أن أباك أو ابنك قعد مقعدي بهذا القصر أكانا يزيدانك من البر والإكرام على ما فعلته أنا بك؟ هل رددت قط حاجة لك أو لغيرك؟ ألم أشاركك في حلوك ومرِّك؟ ألم أعُدك مرات في محلاتك؟ ألم أشاركك في حزنك على زوجتك ومشيت في جنازتها راجلًا إلى مقبرة الربض وانصرفت معك كذلك إلى منزلك؟ وغير شيء من التوقير فعلته بك؟ ما حملك على ما قابلت به إجمالي؟ ولم ترض مني إلا بخلع سلطاني وسعيٍ لسفك دمي واستباحة حرمتي؟ فقال له طالوت: ما أجد لي في هذا الوقت مقالًا أنجى من صِدقك به: أبغضتك لله وحده؛ فلم ينفعك عندي كلُّ ما صنعتَه عوض دنياك، فسُرِّي عن الأمير وسكن غيظه ومُلِء عليه رقّة،

فقال: والله لقد أحضرتك وما في الدنيا عذاب إلا وقد عرضته أختار بعضه لك، وقد حيل بيني وبينك، فأنا أعلمك أن الذي أبغضتني له صرفني عنك، فانصرف في أمان الله تعالى وانصرف حيث شئت، وارفع إليّ حاجتك فلم تعدم فيّ بِرًّا، فيا ليت الذي كان لم يكن، فقال له طالوت: صدقت، فلو لم يكن كان خيرًا لك، ولا مردّ لأمر الله. فلم يزل طالوت لديه بعدُ مبرورًا إلى أن توفي عن قريب، فأنبىء له الحكم وحضر جنازته وأثنى عليه بصدقه.

وسأل الحكم طالوتًا بعد أن أمنه في ذلك المجلس: كيف ظفر بك صاحبك الوزير؟ قال: أنا أظفرته بنفسي عن ثقة لوصلة بيني وبينه ليشفع لي عندك، فكان منه ما رأيت، فقال له: فأين كان مثواك قبل؟ فأخبره بخبر اليهودي، فقال الحكم للوزير: سوءة لك! رجل في أعداء الملة حفظ لهذا الشيخ محله في الدين والعلم فأخطَر بنفسه فيه وناقضت أنت ذلك وهو من خيار أهل ملّتك، وأردت أن تزيدنا فيما نحن قائمون عليه في سوء الانتقام! اخرج عني قبّحك الله ولا تُرني وجهًا! ووفر أرزاقه وطويت في بيت الوزارة فراشه، فسقط آخر الدهر وذهب عقبه وما زالوا في ارتكاس وخمول.

[ترتيب المدارك ٣/ ٣٤٠]





العفـو

كانت لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليدة فلطمها ابنه يومًا لطمة، فأقعده لها فقال: اقتصي، فقالت: قد عفوت، فقال: إن كنت قد عفوت فاذهبي فادعي من هاهنا من حرام فأشهديهم أنك قد عفوت، فذهبت فدعتهم فأشهدتهم أنها قد عفت، فقال: اذهبي فأنت لله، وليت آل أبي الدرداء يفتلتون كفافًا.

[الزهد للإمام أحمد ١/٢٦٤]



قال المرُّوذي: قلتُ لأبي عبد الله -يعني الإمام أحمد-: إن أبا موسى هارونَ بن عبد الله قد جاء إلى رجلٍ شتمه لعله يعتذر إليه، فلم يخرج إليه وشقّ الباب في وجهه، فعجب وقال: سبحان الله، أما إنه قد بغى عليه، سينصر عليه، ثم قال: رجلٌ نقل قدمه ويجيء إليه يعتذر لا يخرج؟!

[الآداب الشرعية ١/٣١٩]



قال ابن القلانسي: سمعت الشيخ تقيَّ الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا وأن السلطانَ استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوْك أنت أيضًا! وأخذ يحُثُّه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم، وإنما كان حنقُه عليهم بسبب ما كانوا سَعَوْا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير، ففهم الشيخ مراد السلطان، فأخذ في

تعظيم القضاةِ والعلماء وينكرُ أنْ ينال أحدًا منهم سوءٌ، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقال له: إنهم قد آذوك، وأرادوا قتْلَك مرارًا، فقال الشيخُ: من آذاني فهو في حِلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فاللهُ ينتقمُ منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حلُم عنهم وصفح. وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية، حرَّضْنا عليه فلم نَقْدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجَجَ عنا. [البداية والنهاية ١٤/١٢٩]

❁ ❁ ❁

قال ابن القيم: جئت يومًا مبشرًا له -يعني ابن تيمية- بموت أكبر أعدائه، وأشدّهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكَّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمرٌ تحتاجون فيه إلى مساعدةٍ إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسُرُّوا به ودَعَوْا له، وعظّموا هذه الحال منه. [مدارج السالكين ٣/١٣٩]

❁ ❁ ❁

صكّ رجلٌ ابنًا لقتادة، فاستعدى عليه عند بلال بن أبي بردة فلم يلتفت إليه، فشكاه إلى القسري، فكتب إليه: إنك لم تنصف أبا الخطاب، فدعاه ودعا وجوه أهل البصرة يتشفّعون إليه، فأبى أن يشفعهم، فقال له: صُكَّه كما صكَّك، فقال لابنه: يا بني احسر عن ذراعيك وارفع يديك وشد، فحسر عن ذراعيه ورفع يديه، فأمسك قتادة يده وقال: قد وهبناه لله؛ فإنه كان يقال: لا عفو إلا بعد قدرة. [حلية الأولياء ٢/٣٤٠]

❁ ❁ ❁



كان وزير المنصور بن أبي عامر جالسًا بين يديه في بعض مجالسه العامة، فرفعت إليه رقعة استعطاف لأم رجل مسجون كان المنصور اعتقله حنقًا عليه لجرم استعظمه منه، فلما قرأها اشتد غضبه وقال: ذكَّرتْني والله به، وأخذ القلم وأراد أن يكتب: يصلب، فكتب: يطلق، ورمى الورقة إلى وزيره المذكور، وأخذ الوزير القلم وتناول الورقة وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرطة، فقال له المنصور: ما هذا الذي تكتب قال: بإطلاق فلان، فحرِد، وقال: من أمر بهذا؟ فناوله التوقيع، فلما رآه قال: وهمتُ، والله ليصلبن، ثم خط على التوقيع وأراد أن يكتب يصلب فكتب يطلق، فأخذ الوزير الورقة وأراد أن يكتب إلى الوالي بالإطلاق، فنظر إليه المنصور وغضب أشد من الأول، وقال: من أمر بهذا؟ فناوله التوقيع، فرأى الخط فخط عليه، وأراد أن يكتب يصلب فكتب يطلق، وأخذ الوزير التوقيع وشرع في الكتابة إلى الوالي، فرآه المنصور فأنكر أكثر من المرتين الأوليين، فأراه خطه بالإطلاق، فلما رآه عجب من ذلك، وقال: نعم يطلق على رغمي، فمن أراد الله سبحانه إطلاقه لا أقدر أنا على منعه. [وفيات الأعيان ٣/٣٢٨]



كان محمد بن حميد الطوسي على غدائه مع جلسائه، وإذا بصيحة عظيمة على باب داره، فرفع رأسه وقال لبعض غلمانه: ما هذه الضجة؟ من كان على الباب فليدخل، فخرج الغلام ثم عاد إليه وقال: إن فلانًا أخذ وقد أوثق بالحديد، والغلمان ينتظرون أمرك فيه، فرفع يديه من الطعام، فقال رجل من

جلسائه: الحمد لله الذي أمكنك من عدوك، فسبيله أن تسقي الأرض من دمه، وأشار كل من جلسائه عليه بقتله على صفة اختارها وهو ساكت، فأدخل رجل لا دم فيه، فلما رآه هش إليه ورفع مجلسه وأمر بتجديد الطعام، وبسطه الكلام ولقمه حتى انتهى الطعام، ثم أمر له بكسوة حسنة وصلة، وأمر برده إلى أهله مكرمًا ولم يعاتبه على جرم ولا جناية. ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم: إن أفضل الأصحاب من حض الصاحب على المكارم ونهاه عن ارتكاب المآثم، وحسن لصاحبه أن يجازي الإحسان بضعفه والإساءة بصفحه، وأنا إذا جازينا من أساء لنا بمثل ما أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيما أتيح من الظفر؟! إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يمسك إلا عن قول سديد وأمر رشيد، فإن ذلك أدوم للنعمة وأجمع للألفة، إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. [نهاية الأرب ٦/٦٣]

❁ ❁ ❁

قال إسحاق بن أحمد القطان البغدادي: كان لنا جارٌ ببغداد، كنا نسميه طبيب القراء، وكان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم، فقال لي: دخلت يومًا على أحمد بن حنبل فإذا هو مغمومٌ مكروبٌ، فقلت: ما لك يا أبا عبد الله؟ قال: خير، قلت: وما الخير؟ قال: امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرأت إلا أنه بقي في صلبي موضع يوجعني هو أشدّ عليّ من ذلك الضرب، قلت: اكشف لي عن صلبك، فكشف لي، فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط،

فقلت: ليس لي بذي معرفةٌ، ولكن سأستخبر عن هذا، فخرجتُ من عنده حتى أتيتُ صاحب الحبس، وكان بيني وبينه فضلُ معرفة، فقلتُ له: أدخل الحبس في حاجةٍ، قال: ادخل، فدخلت وجمعت فتيانهم، وكان معي دريهمات فرقتها عليهم، وجعلت أحدّثهم حتى أنسوا بي، ثم قلت: من منكم ضرب أكثر؟ فأخذوا يتفاخرون حتى اتّفقوا على واحدٍ منهم أنه أكثرهم ضربًا وأشدّهم صبرًا، فقلتُ له: أسألك عن شيء، فقال: هات، فقلت: شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضُرِبَ على الجوع للقتل سياطًا يسيرة إلا أنه لم يَمُتْ وعالجوه وبرأ إلا أن موضعًا في صلبه يوجعه وجعًا ليس له عليه صبر، فضحك، فقلت: ما لك؟ قال: الذي عالجه كان حائكًا، قلت: أيش الخبر؟ قال: ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها، قلت: فما الحيلة؟ قال: يبطّ صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها، وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته، فخرجتُ من الحبس، فدخلتُ على أحمد بن حنبل فوجدتُه على حالته، فقصصتُ عليه القصة، قال: ومن يبطه؟ قلت: أنا، قال: أوتفعل؟ قلت: نعم، فقام فدخل البيت، ثم خرج وبيده مخدتان، وعلى كتفه فوطة، فوضع إحداهما لي والأخرى له، ثم قعد عليها وقال: استخر الله، فكشفتُ الفوطة عن صلبه وقلت: أرني موضع الوجع، فقال: ضع إصبعك عليه، فإني أخبرك به، فوضعت إصبعي وقلت: هاهنا موضع الوجع؟ قال: ههنا أحمد الله على العافية، فقلت: هاهنا؟ قال: هاهنا أحمد الله على العافية، فقلت: هاهنا؟ قال: هاهنا أسأل الله العافية، فعلمت أنه موضع الوجع، فوضعت المبضع عليه، فلما أحسّ بحرارة المبضع وضع يده على رأسه، وجعل يقول: اللهم اغفر

للمعتصم، حتى بططته فأخذتُ القطعه الميتة ورميتُ بها وشددتُ العصابة عليه، وهو لا يزيد على قوله: اللهم اغفر للمعتصم، ثم هدأ وسكن، ثم قال: كأني كنتُ معلّقًا فأصدرت، قلت: يا أبا عبد الله إن الناس إذا امتحنوا محنةً دعوا على من ظلمهم، ورأيتك تدعو للمعتصم؟ قال: إني أفكرت فيما تقول، وهو ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكرهت أن آتي يوم القيامة وبيني وبين أحدٍ من قرابته خصومةٌ، هو مني في حلٍّ. [روضة العقلاء ص١٦٤-١٦٥]

❁ ❁ ❁

لما أفضت الخلافة إلى بني العباس كان من جملة من اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك فلم يزل مختفيًا إلى أن أضناه وأضجره الاختفاء، فأُخذ له أمان من السفاح، فقال له: لقد مكثتَ زمانًا طويلًا مختفيًا فحدثني بأعجب ما رأيت في اختفائك؛ فإنها كانت أيام تكدير. فقال: يا أمير المؤمنين، وهل سُمع بأعجب من حديثي؟ لقد كنت مختفيًا في منزل أنظر منه إلى البطحاء، فبينما أنا على مثل ذلك وإذا بأعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع في ذهني أنها خرجت تطلبني، فخرجت متنكرًا حتى أتيت الكوفة من غير الطريق وأنا والله متحير ولا أعرف بها أحدًا، وإذا أنا بباب كبير في رحبة منيعة، فدخلت في تلك الرحبة فوقفت قريبًا من الدار وإذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسًا ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه، فدخل الرحبة فرآني واقفًا مرتابًا فقال لي: ألك حاجة؟ قلت: غريب خائف من القتل، قال: ادخل فدخلت إلى حجرة في داره، فقال: هذه لك، وهيأ لي ما أحتاج إليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب، وأقمت عنده، ووالله ما سألني قط من

أنا ولا ممن أخاف؟ وهو في أثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود تعبًا متأسفًا كأنه يطلب شيئًا فاته ولم يجده، فقلت له يومًا: أراك تركب في كل يوم وتعود تعبًا متأسفًا كأنك تطلب شيئًا فاتك؟ فقال لي: إن إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل أبي وقد بلغني أنه مختف من السفاح، وأنا أطلبه لعلي أجده وآخذ بثأري منه.

فتعجبت والله يا أمير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي ساقني إلى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثأره مني، فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الشدة، فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله، فعرفني الخبر فوجدته صحيحًا، فقلت: يا هذا قد وجب علي حقك، وإن من حقك أن أدلك على قاتل أبيك وأقرب إليك الخطوة وأسهل عليك ما بعُد، فقال: أتعلم أين هو؟ قلت: نعم، فقال: أين هو؟ فقلت: والله هو أنا فخذ بثأرك مني، فقال لي: أظن أن الاختفاء أضناك فكرهت الحياة، قلت: نعم والله أنا قتلته يوم كذا وكذا، فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه إليّ وقال لي: أما أبي فسيلقاك غدًا يوم القيامة فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية، وأما أنا فلست مخفرًا ذمتي ولا مضيعًا نزيلي، اخرج عني فإني لا آمن من نفسي عليك بعد هذا اليوم، ثم وثب يا أمير المؤمنين إلى صندوق فأخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال: خذ هذه واستعن بها على اختفائك، فكرهت أخذها وخرجت من عنده وهو أكرم رجل رأيت.

فبقي السفاح يهتز طربًا ويتعجب. [المنتظم ١/١٢٧]



الأخلاق الحسنة

عن حبيب بن أبي ثابت أن الحارث بن هِشام وعكرمة بن أبي جهل وعيّاش بن أبي ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خرجوا يوم اليرموك حتى انْبَتُّوا، فدعا الحارث ابن هشام بماءٍ ليشربه، فنظر إليه عكرمةُ فقال: ادفعه إلى عكرمةَ، فنظر إليه عيّاش فقال عكرمة: ادفعه إلى عيّاش، فما وصل إلى عيّاشٍ حتى مات، ولا عاد إليهم حتى ماتوا، فسُمِّي هذا حديثَ الكرام. [عيون الأخبار ١/٣٩٠]



كان أسماء بن خارجة الفزاري سيدَ أهل الكوفة، فقال له يومًا عبد الملك ابن مروان: ما أشياء تبلغني عنك يا أسماء؟ فقال: يحدِّثك غيري عني يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: وعلى ذلك فأحبُّ أن أسمعَها منك يا أسماء. فقال: نعم، يا أمير المؤمنين: ما مددتُ رجلي بين يدي جليسٍ قطُّ مخافة أن يرى أنِّي تكبَّرتُ عليه، ولا سألني رجلٌ قطُّ حاجةً فكان أكبرُ همي من الدنيا إلا قضاءَ حاجتِه، ولا أكل رجلٌ قطُّ عندي أكلةً إلا كان له الفضل علي أيام حياتي، ولا ظلمني رجلٌ قط بمظلمةٍ إلا رأيت عقوبتَه العفوَ عنه. فقال عبد الملك: حسبُك بهذا شرفًا يا أسماء، ثم أنشد عبد الملك يقول:

إذا ما مات خارجة بن حصنٍ ... فلا مطرتْ على الأرض السماءُ

ولا رجع الوفودُ بغنم عيش ... ولا حملت على الطهر النساء

ليوم منك خير من أناس كثير حولهم نعم وشاء

فبورك في بنيك وفي بنيهم إذا ذكروا ونحن لك الفداء

[عين الأدب والسياسة ص١١٦-١١٧]

❁ ❁ ❁

قال محمد بن منصور: كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل -يعني البخاري-، فرفع إنسان من لحيته قذاة فطرحها على الأرض، فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مدّ يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض. [تاريخ بغداد ٣٣١/٢]

❁ ❁ ❁

قال خارجة بن زيد النحوي: دخلت على محمد بن سيرين بيته زائرًا له، فوجدته جالسًا بالأرض، فألقى إليّ وسادة، فقلت له: إني قد رضيت لنفسي ما رضيت لنفسك، فقال: إني لا أرضى لك في بيتي ما أرضى به لنفسي، واجلس حيث تؤمر، فلعل الرجل في بيته شيء يكره أن تستقبله.

[بهجة المجالس ٢٥٨/١]

❁ ❁ ❁

قال أبو عبيدة: كان المهدي يصلي بنا الصلوات في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يومًا فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين، لست على طهر وقد رغبت إلى الله في الصلاة خلفك، فأمُر هؤلاء ينتظروني، فقال:

انتظروه رحمكم الله، ودخل المحراب ووقف إلى أن قيل له: قد جاء الرجل فكبّر، فتعجب الناس من سماحة أخلاقه. [المنتظم ٨/٢١٤]



قال أبو عبد الله محمد بن أحمد القاضي: حضرت مجلس موسى بن إسحاق القاضي بالريّ سنة ستٍّ وثمانين ومائتين، فتقدمت امرأة، فادعى وليّها على زوجها خمسمائة دينار مهرًا فأنكر، فقال القاضي: شهودك، قال: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي! فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أشهد القاضي أن لها عليّ هذا المهر الذي تدّعيه ولا يسفر عن وجهها، فأخبرت المرأة بما كان من زوجها، فقالت: فإني أشهد القاضي أني قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة! فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق. [المنتظم ١٢/٤٠٣]





كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يطوف بالبيت فرأى رجلًا يطوف بالبيت حاملًا أمه وهو يقول:

إنـــي لهـــا بـعـــيرُهـــا المـــذلـــلْ   إن ذعـــرت ركـابـهـــا لم أذعـــرْ

أحملها ما حملتني أكثرْ

أو قال: أطول. أتراني يا ابن عمر جزيتها؟ قال: «لا ولا زفرة واحدة».
[أخبار مكة للفاكهي ٣١٢/١]



كان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة وعمامة يشد بها رأسه، فبينا هو يومًا على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي فقال: ألست ابن فلان بن فلان، قال: بلى، فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا، والعمامة قال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تَرَوَّحُ عليه وعمامة كنت تَشدّ بها رأسك، فقال: إني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي»، وإن أباه كان صديقًا لعمر.
[صحيح مسلم ٦/٨]



قدم المنذر بن الزبير من العراق فأرسل إلى أسماء بنت أبي بكر بكسوة من ثياب مَرَوية وقُوهية رقاق عتاق بعد ما كُفّ بصرها، فلمستها بيدها ثم

قالت: أفّ! ردوا عليه كسوته، فشق ذلك عليه وقال: يا أمه، إنه لا يشفّ، قالت: إنها إن لم تشفّ فإنها تصف، فاشترى لها ثيابًا مروية وقوهية فقبلتها وقالت: مثل هذا فاكسني. [الطبقات الكبرى ٨/ ١٩٩]



كان بيد عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة ضيعته المعروفة بالسهلة، وكانت باليمامة، وكانت أمرًا عظيمًا لها غلة عظيمة كثيرة، إنما عيشه وعيش أهله منها، فلما ولى الخلافة قال لمزاحم مولاه -وكان فاضلًا-: إنى قد عزمت أن أرد السهلة إلى بيت مال المسلمين، فقال مزاحم: أتدرى كم ولدك؟ إنهم كذا وكذا قال فذرفت عيناه، فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بأصبعه الوسطى، ويقول: أكلهم إلى الله أكلهم إلى الله! فمضى مزاحم فدخل على عبد الملك بن عمر، فقال له: ألا تعلم ما قد عزم عليه أبوك! إنه يريد أن يرد السهلة، قال: فما قلت له؟ قال: ذكرت له ولده فجعل يستدمع ويقول: أكلهم إلى الله، فقال عبد الملك: بئس وزير الدين أنت! ثم وثب و انطلق إلى أبيه، فقال للآذن: استأذن لي عليه، فقال: إنه قد وضع رأسه الساعة للقائلة، فقال: استأذن لي عليه، فقال: أما ترحمونه! ليس له من الليل والنهار إلا هذه الساعة. قال: استأذن لي عليه لا أم لك! فسمع عمر كلامهما، فقال: ائذن لعبد الملك، فدخل فقال: على ماذا عزمت؟ قال: أرد السهلة، قال: فلا تؤخر ذلك، قم الآن، فجعل عمر يرفع يديه ويقول: الحمد لله الذى جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني. قال: نعم يا بني، أصلى الظهر ثم أصعد المنبر

فأردها علانيةً على رؤوس الناس، قال: ومن لك أن تعيش إلى الظهر؟ ثم من لك أن تسلم نيتك إلى الظهر إن عشت إليها؟ فقام عمر فصعد المنبر، فخطب الناس ورد السهلة. [تاريخ دمشق ٤٥/١٧٩-١٨٠]



قال بقية بن الوليد: سمعتُ عبد الله بن أبي موسى التستري يقول: قيل لي: حيث ما كنت فكن من قرب فقيه، فأتيت بيروت إلى الأوزاعي، فبينما أنا عنده إذ سألني عن أمري فأخبرته، قال: وكان أسلم، فقال لي: ألك أب؟ قلت: نعم تركته بالعراق مجوسيًّا، قال: فهل لك أن ترجع إليه لعل الله أن يهديه على يديك؟ قلت: ترى لي ذلك؟ قال: نعم، فأتيت أبي فوجدته مريضًا، فقال لي: يا بني أي شيء أنت عليه؟ وساءله عن أمره، فأخبرته أني أسلمتُ، فقال لي: اعرض عليَّ دينك، فأخبرته بالإسلام وأهله، قال: فإني أشهد أني قد أسلمتُ، فمات في مرضه ذلك، فدفنتُه ورجعتُ إلى الأوزاعي فأخبرته.
[تاريخ دمشق ٣٣/٢٣٠]



كان رجل له أربعة بنين فمرض فقال أحدهم: إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شيء وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء، قالوا: مرِّضه وليس لك من ميراثه شيء. فمرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئًا، فأتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار. فقال في نومه: أفيها بركة؟ قالوا: لا. فأصبح، فذكر ذلك لامرأته فقالت امرأته: خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش منها، فأبى، فلما أمسى أتي في النوم فقيل

له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا. فلما أصبح قال ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالتها الأولى، فأبى أن يأخذها، فأتي في الليلة الثالثة فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارًا فقال: أفيه بركة؟ قالوا: نعم. فذهب فأخذه ثم ذهب به إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل حوتين، فقال: بكم هما؟ قال: بدينار. فأخذهما منه بدينار ثم انطلق بهما فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد في بطن كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلهما. فبعث الملك يطلب درة يشتريها فلم توجد إلا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلًا ذهبًا، فلما رآها الملك قال: ما تصلح هذه إلا بأخت، اطلبوا أختها وإن أضعفتم، فجاءوه فقالوا: أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. فأعطاهم إياها بضعف ما أخذوا الأولى.

[حلية الأولياء ٤/ ٧]



قال حجر بن عبد الجبار الحضرمي: كان في مسجدنا قاصّ يقال له زرعة، فنسب مسجدنا إليه وهو مسجد الحضرميين، فأرادت أم أبي حنيفة أن تستفتي في شيءٍ، فأفتاها أبو حنيفة فلم تقبل، فقالت: لا أقبل إلا ما يقول زرعة القاصّ، فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة فقال: هذه أمي تستفتيك في كذا وكذا، فقال: أنت أعلم مني وأفقه فأفتها أنت، فقال أبو حنيفة: قد أفتيتها بكذا وكذا، فقال زرعة: القول كما قال أبو حنيفة، فرضيت وانصرفت.

[تاريخ بغداد ١٥/ ٥٠١]



النســاء

قال أسلم مولى عمر بن الخطاب بينا أنا مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يعس بالمدينة إذ أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت: يا أمتاه، وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته؟ قالت: إنه أمر مناديًا فنادى لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا ابنتاه، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء؛ فإنك في موضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية: والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيَه في الخلاء، وعمرُ يسمع كلّ ذلك، فقال: يا أسلم علِّم الباب واعرف الموضع، ثم مضى في عَسِّه، فلما أصبح قال: يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة؟ ومن المقول لها؟ وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فإذا أيِّم لا بعل لها، وإذا تيك أمُّها، وإذا ليس لهم رجل، فأتيتُ عمر بن الخطاب فأخبرته، فدعا عمر ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوِّجه؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية! فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية فزوَّجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتًا ولدت عمر بن عبد العزيز. [تاريخ دمشق ٧٠/ ٢٥٣]

❁ ❁ ❁

خطب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... فقالت: أنا أشترط عليه ثلاثًا ألا يضربني ولا يمنعني من الحق ولا يمنعني عن الصلاة في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العشاء الآخرة، فتزوجها... فلبثت عنده حتى أصيب... فلما انقضت عدتها خطبها الزبير بن العوام، فقالت له: نعم، إن اشترطت لي الثلاث الخصال التي اشترطتها على عمر، فقال: لكِ ذلك، فتزوجها، فلما أرادت أن تخرج إلى العشاء شق ذلك على الزبير، فلما رأت ذلك قالت: ما شئت؟ أتريد أن تمنعني؟ فلما عيل صبره خرجت ليلة إلى العشاء فسبقها الزبير فقعد لها على الطريق من حيث لا تراه، فلما مرّتْ جلس خلفها فضرب بيده على عجزها فنفرت من ذلك ومضت، فلما كانت الليلة المقبلة سمعت الأذان فلم تتحرك، فقال لها الزبير: ما لك؟ هذا الأذان قد جاء، فقالت: فسد الناس، ولم تخرج بعد. [التمهيد ٢٣/ ٤٠٥]

❁ ❁ ❁

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا طلحة خطب أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالت: يا أبا طلحة، ألستَ تعلم أن إلهك الذي تعبده خشبةٌ نبتت من الأرض نَجَرَها حبشيٌّ بني فلان؟ قال: بلى، قالت: أفلا تستحيي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي بني فلان؟ لئن أنت أسلمت لم أُرِد منك من الصداق غيره، قال: حتى أنظر في أمري، فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. قالت: يا أنس زوّج أبا طلحة. قال ثابت: فما سمعنا بمهرٍ قطُّ كان أكرم من مَهر أم سليم: الإسلام. [صفة الصفوة ٢/٤٢٧]

❁ ❁ ❁



سبا الروم نساء مسلمات فبلغ الخبر الرقة وبها الرشيد ومنصور بن عمار هناك، فقص منصور يحض على الغزو، فإذا خرقة مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة فقرأه فإذا فيه: إني امرأة من بيوتات العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات، وبلغني تحضيضك على الغزو، فعمدت إلى أكرم شيء في بدني علي، وهما ذؤابتاي، فجززتهما وصررتهما في هذه الصرة المختومة، فأنشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غاز في سبيل الله، فعلّ الله ينظر إليَّ نظرة على تلك الحال فيرحمني، فبلغ ذلك الرشيد فبكى ونادى النفير. [الجليس الصالح الكافي ١/٦٣٤]



قال الشعبي: قال لنا شريح القاضي: يا شعبي، عليكم بنساء بني تميم؛ فإنهن النساء، قلنا: وكيف ذاك يا أبا أمية؟ فقال: رجعت يومًا من جنازة متطهرًا، فمررت بخباء فإذا بعجوز معها جارية رؤود فاستسقيت فقالت: اللبن أعجب إليك أم ماء أم نبيذ؟ قلت: اللبن أعجب إليّ، قالت: يا بنية، اسقيه لبنًا فإني أظنه غريبًا فسقتني، فلما شربت قلتُ: من هذه الجارية؟ قالت: هذه ابنتي زينب بنت حُدير إحدى نساء بني تميم ثم من بني حنظلة ثم من بني طهية، قلت: أتزوجينيها؟ قالت: نعم إن كنت كُفؤًا، فانصرفت إلى منزلي فامتنعت من القائلة، فلما صليت الظهر وجّهت إلى إخواني الثقات مسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد، فصليت العصر ثم رحلت إلى عمها وهو في مسجده، فلما رآني تنحّى لي عن مجلسه فقلت: أنت أحقّ بمجلسك ونحن طالبو حاجة، فقال: مرحبًا بك يا أبا أمية، ما حاجتك؟ فقلت: إني

ذكرت زينب بنت أخيك، فقال: والله ما بها عنك رغبةٌ ولا بك عنها مقصر، وتكلمت فزوجني ثم انصرفت، فما وصلت إلى منزلي حتى ندمت فقلت: ماذا صنعت بنفسي!؟ فهممت أن أرسل إليها بطلاقها، ثم قلتُ: لا أجمع حمقتين ولكني أضمها إليّ فإن رأيت ما أُحِب حمدت الله، وإن تكن الأخرى طلقتها، فأرسلت إليها بصداقها وكرامتها، فلما أهديت إليّ وقام النساء عنها قلت: يا هذه إنّ من السنة إذا أهديت المرأة إلى زوجها أن تصلي ركعتين خلفه ويسألا الله البركة، فقمت أصلي فإذا هي خلفي، فلما فرغت رجعَت إلى مكانها ومددت يدي، فقالت: على رسلك فقلت: إحداهن وربِّ الكعبة، فقالت: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله، أما بعد فإني امرأةٌ غريبة، ولا والله ما ركبت مركبًا هو أصعب علي من هذا، وأنت رجل لا أعرف أخلاقك فخبِّرني بما تحب آته وبما تكره أزدجِرْ عنه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك، فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد وآله، أما بعد فقد قدمتِ على أهل دارٍ زوجُك سيد رجالهم، وأنت إن شاء الله سيدة نسائهم، أحب كذا وأكره كذا، قالت: فحدثني عن أختانك أتحب أن يزوروك؟ قلت: إني رجل قاض وأكره أن يَمَلُّوني وأكره أن ينقطعوا عني، فأقمت معها سنة أنا كل يوم أشد سرورًا مني باليوم الذي مضى، فرجعت يومًا من مجلس القضاء فإذا عجوز تأمر وتنهى في منزلي، فقلت: من هذه يا زينب؟ قالت: هذه ختنتك، هذه أمي، قلت: كيف حالك يا هذه؟ قالت: كيف حالك يا أبا أمية؟ وكيف رأيتَ أهلك؟ قلت: كل الخير، قالت: إن المرأة لا تكون أسوأ خلقًا منها في حالتين إذا ولدت غلامًا وإذا حظيت عند زوجها، فإن رابك من أهلك ريبٌ

فالسوط، قلت: أشهد أنها ابنتك، قد كفيتني الرياضة وأحسنت الأدب. فكانت تجيئني في كل حول مرة فتوصي بهذه الوصية ثم تنصرف، فأقمت معها عشرين سنة ما غضبت عليها يومًا ولا ليلة إلا يومًا وكنت لها ظالـمًا، وذلك أني ركعت ركعتي الفجر وأبصرتُ عقربًا فعجلتُ عن قتلها فكفأت عليها الإناء وبادرت إلى الصلاة وقلت: يا زينب إياك والإناء، فعجلتْ إليه فحركته فضربتها العقرب، ولو رأيتني يا شعبي وأنا أَمَصّ إصبعها وأقرأ عليها المعوذتين.

وكان لي جار يقال له قيس بن جرير لا يزال يقرِّع مُرَيَّته، فعند ذلك أقول:

رأيـت رجــالًا يـضربـون نسـاءهم ... فشُلَّتْ يميني حين أضرب زينبا

وأنا الذي أقول:

إذا زيــنــب زارهــــا أهــلُـهــا ... حــشــدت وأكــرمــتُ زوَّارهــا

وإن هـــي زارتــــهـــمُ زرتــهــا ... وإن لم يـكـن لـي هـوى دارهـا

يا شعبي فعليك بنساء بني تميم؛ فإنهن النساء.

[تاريخ دمشق ٢٣/٥١-٥٣]



قالت أم حسن أم ولد الإمام أحمد: قلت لمولاي: اصرف فرد خلخالي، قال: وتطيب نفسكِ؟ قلت: نعم، فبيع بثمانية دنانير ونصف، وفرقها وقت حملي، فلما ولدت حسنًا أعطى مولاتي كرامة درهمًا، فقال: اشتري بهذا رأسًا،

فجاءت به، فأكلنا، فقال: يا حُسْن، ما أملك غير هذا الدرهم، قالت: وكان إذا لم يكن عنده شيء فرح يومه. [سير أعلام النبلاء ١١/٣٣٢]



قال العجلي: كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى يرى أحد هذا الوجه لا يفتن به؟ قال: نعم، قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت فأذن لي فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك! فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام، قال فأسفرت عن مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله! فقالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني سائلك عن شيء، فإن صدقت نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك، قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك يقبض روحك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو أدخلت في قبرك فأجلست للمساءلة أكان يسرك أنى قد قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو أن الناس أعطوا كتبهم لا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو أردت المرور على الصراط ولا تدرين تنجين أم لا تنجين كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو وقفتِ بين يدي الله للمساءلة كان يسرك أني

قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال اتق الله يا أمة الله فقد أنعم الله عليك، وأحسن إليك. قال: فرجعت إلى زوجها، فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة. قال فكان زوجها يقول: ما لي ولعبيد بن عمير أفسد عليَّ زوجي، كانت كل ليلة عروسًا فصيرها راهبة. [الثقات للعجلي ١/٣٢٢]

❁ ❁ ❁

لما ماتت أم صالح قال الإمام أحمد لامرأة عندهم: اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبيها لي من نفسها، قالت: فأتيتها فأجابته، فلما رجعتُ إليه قال: كانت أختها تسمع كلامك؟ وكانت بعين واحدة، فقلت له: نعم، قال: فاذهبي فاخطبي تلك التي بعين واحدة، فأتيتها فأجابته، وهي أم عبد الله ابنه، فأقام معها سبعًا، ثم قالت له: كيف رأيت يا ابن عمي؟ أنكرتَ شيئًا؟ قال: لا، إلا أن نعلك هذه تَصِرّ. [تاريخ الإسلام ١٨/٩٥]

❁ ❁ ❁

عن ابن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيدَ بن المسيِّب، ففقدني أيّامًا، فلما جئتُه قال: أين كنتَ؟ قلت: تُوُفّيت أهلي فاشتغلتُ بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثتَ امرأةً؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يُزوِّجني وما أملِكُ إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا، فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، ثم تحمَّد وصلى على النبي ﷺ وزوَّجني على درهمين أو ثلاثةٍ، فقمتُ وما أدري ما أصنَعُ من الفَرح، فصرتُ إلى منزلي وجعلتُ أتفكَّر فيمن أستدين،

فصلَّيت المغربَ ورجعتُ إلى منزلي، وكنتُ وحدي صائمًا فقدَّمتُ عشائي أُفطِر وكان خُبزًا وزيتًا، فإذا بابي يُقرع، فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد، فأفكرتُ في كلِّ مَن اسمُه سعيد إلّا ابن المسيِّب، فإنّه لم يُرَ أربعين سنةً إلا بين بيته والمسجد، فخرجتُ فإذا سعيد، فظننت أنَّه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلتَ إليَّ فآتيَك؟ قال: لا، أنتَ أحقُّ أن تؤتى؛ إنَّك كُنتَ رجُلًا عَزَبًا فتزوَّجتَ فكرهتُ أن تبيتَ الليلةَ وحدَك، وهذه امرأتُك فإذا هي قائمةٌ مِن خلفِه في طُوله، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب وردّ الباب، فسقطت المرأةُ من الحياء، فاستوثقتُ من الباب، ثم وضعتُ القصعة في ظِلِّ السراج لكي لا تراه، ثم صعدتُ إلى السطح فرميتُ الجيران، فجاؤوني فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتُهم، ونزلوا إليها، وبلغ أمِّي، فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرامٌ إن مَسِسْتَها قبل أن أصلِحَها إلى ثلاثة أيام، فأقمتُ ثلاثًا ثم دخلتُ بها، فإذا هي من أجملِ الناس وأحفظِ الناسِ لكتابِ الله وأعلمِهم بسنَّةِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعرفِهم بحقِّ زوجٍ، فمكثتُ شهرًا لا آتي سعيدَ بن المسيِّب، ثم أتيتُه وهو في حلْقته، فسلمْتُ فردَّ عليَّ السلام ولم يُكلِّمْني حتى تقوَّض المجلس، فلما لم يبْقَ غيري قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلتُ: خيرٌ يا أبا محمد، على ما يُحِبُّ الصديق ويكرَهُ العدوُّ، قال: إن رابَكَ شيءٌ فالعَصَا، فانصرفتُ إلى منزلي، فوجَّه إليَّ بعشرين ألف درهم.

[سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٢]



جاء رجل إلى سفيان بن عيينة فقال: يا أبا محمد، أشكو إليك من فلانة -يعني امرأته- أنا أذلّ الأشياء عندها وأحقرها، فأطرق سفيان مليًّا، ثم رفع رأسه فقال: لعلك رغبتَ إليها لتزداد عزًّا، فقال: نعم يا أبا محمد، قال: من ذهب إلى العز ابتلي بالذل، ومن ذهب إلى المال ابتلي بالفقر، ومن ذهب إلى الدين يجمع الله له العزّ والمال مع الدين، ثم أنشأ يحدّثه فقال: كنا إخوة أربعة: محمد وعمران وإبراهيم وأنا، فمحمد أكبرنا، وعمران أصغرنا، وكنت أوسطهم، فلما أراد محمد أن يتزوج رغب في الحسب فتزوج من هي أكبر منه حسبًا فابتلاه الله بالذلّ، وعمران رغب في المال فتزوج من هي أكثر منه مالًا فابتلاه الله بالفقر، أخذوا ما في يديه ولم يعطوه شيئًا، فبقيت في أمرهما، فقدم علينا معمر بن راشد فشاورته وقصصت عليه قصة إخوتي، فذكرني حديث يحيى بن جعدة وحديث عائشة، فأما حديث يحيى بن جعدة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تنكح المرأة على أربع: على دينها وحسبها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك**»، وحديث عائشة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة**»، فاخترت لنفسي الدين وتخفيف الظهر اقتداء بسنة نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجمع الله لي المال مع الدين.

[حلية الأولياء ٧/٢٧٩]



قال محمد بن أبي ليلى: كنت يومًا في مجلس القضاء فوردت عليّ عجوز ومعها جارية شابة، فذهبَتِ العجوز تتكلم فقالت الشابة: أصلح الله القاضي، مرها فلتسكت حتى أتكلم بحجتي وحجتها، فإن لحنت بشيء

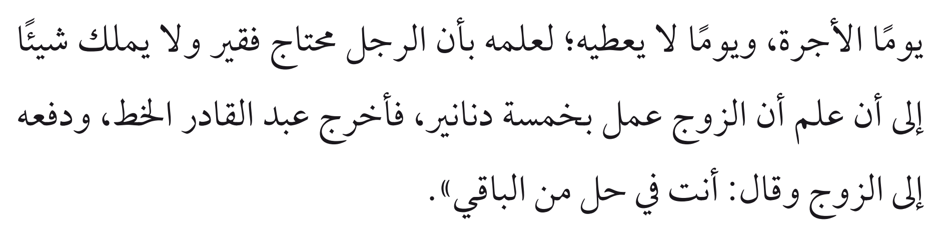
فلترد علي، فإن أذنت لي سفرت، فقلت: أسفري، فقالت العجوز: إن سفرت قضيت لها علي، قلت: أسفري، فأسفرت والله عن وجه ما ظننت أن يكون مثله إلا في الجنة، فقالت: أصلح الله القاضي، هذه عمتي، مات أبي وتركني يتيمة في حجرها فربتني فأحسنت التربية، حتى إذا بلغت مبلغ النساء قالت: يا بنية! هل لك في التزويج؟ قلت: ما أكره ذلك يا عمة، هكذا كان؟ قالت العجوز: نعم. قالت فخطبني وجوه أهل الكوفة فلم ترض لي إلا رجلًا صيرفيًّا فزوجتني، فكنا كأننا ريحانتان ما يظن أن الله تعالى خلق غيري، ولا أظن أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق غيره، يغدو إلى سوقه ويروح علي بما رزقه الله، فلما رأت العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك، فكانت لها ابنة فسوّقَتها وهيأتها لدخول زوجي علي فوقعت عينه عليها، فقال لها: يا عمة! هل لك أن تزوجيني ابنتك؟ قالت: نعم بشرط، قال لها: وما الشرط؟ قالت: تصير أمر ابنة أخي إلي، قال: قد صيرت أمرها إليك، قالت: فإني قد طلقتها ثلاثًا بتة، وزوَّجتْ ابنتها من زوجي، فكان يغدو عليها ويروح كما كان يغدو علي ويروح، فقلت لها: يا عمة! تأذنين لي أن أنتقل عنك، قالت: نعم، فانتقلت عنها، وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزله قال: ما لي لا أرى ربيبتنا؟ قالت: تزوجت وطلقها زوجها فانتقلت عنا، فقال لها: علينا من الحق ما نعزيها بمصيبتها، فلما بلغني مجيئه تهيأت له وتسوقت، فلما دخل علي سلم وعزاني بمصيبتي ثم قال لي: إن في بقية من الشباب فهل لك أن أتزوجك؟ قلت: ما أكره ذاك ولكن على شرط، قال لي: وأيش الشرط؟ قلت: تصير أمر عمتي بيدي، قال: فإني قد صيرت أمرها بيدك، قلت: فإني

قد طلقتها ثلاثًا بتة، قالت: وقدم بثقله علي من الغد ومعه ستة آلاف درهم، فأقام عندي ما أقام ثم إنه اعتل فتوفي، فلما انقضت عدتي جاء زوجي الأول يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت له وتسوقت، فلما دخل علي قال: يا فلانة! إنك لتعلمين أنك كنت أحب الناس إلي وأعزهم علي، وقد حل لنا الرجعة فهل لك في ذلك؟ قلت: ما أكره ذلك ولكن تصير أمر ابنة عمي بيدي، قال: فإني قد فعلت صيرت أمر ابنة عمتك بيدك، قلت: فإني قد طلقتها ثلاثًا بتة، أصلح الله القاضي، فرجعت إلى زوجي، فما استعداؤها علي، فقال ابن أبي ليلى: واحدة بواحدة والبادئ أظلم، قومي إلى منزلك. قال ابن أبي ليلى: فحدثت الهادي بذلك، فقال: ويحك يا محمد! ما سمعت حديثًا أحسن من هذا، أنا أحب أن أحدث به الخيزران، يعني أمه.

[الجليس الصالح ص ١٤٥]



كانت مدرسة عبد القادر بن أبي صالح الجيلي للقاضي المخرمي، فلما فوضت إلى عبد القادر أراد أن يوسعها ويعمرها، فكان الرجال والنساء يأتونه بشيء فشيءٍ إلى أن عمرها، فاتفق أن امرأة مسكينةً جاءت بزوجها، وكان زوجها من الفعلة الروزجارية، وقالت لعبد القادر: هذا زوجي، ولي عليه من المهر قدر عشرين دينارًا، ووهبت له النصف بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الباقي، وقد تراضينا على هذا، فقبل الزوج ذلك وأحضرت المرأة الخط وسلمته إلى عبد القادر، فكان يستعمل الزوج في المدرسة، وكان يعطيه



يومًا الأجرة، ويومًا لا يعطيه؛ لعلمه بأن الرجل محتاج فقير ولا يملك شيئًا إلى أن علم أن الزوج عمل بخمسة دنانير، فأخرج عبد القادر الخط، ودفعه إلى الزوج وقال: أنت في حل من الباقي».

[ذيل طبقات الحنابلة ٢/١٩١]





تربية الأولاد

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: استأذنت عمر في الجهاد، فقال: أي بني، إني أخاف عليك الزنى، فقلت: أوعلى مثلي تتخوف ذلك؟! قال: تلقون العدوّ فيمنحكم الله أكتافهم، فتقتلون المقاتلة وتسبون الذّرية وتجمعون المتاع، فتقام جارية في المغنم فينادى عليها فتسوم بها فينكل الناس عنك يقولون: ابن أمير المؤمنين -ولله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيهم حقّ-، فتقع عليها فإذا أنت زانٍ. اجلس. [محض الصواب ٢/٦٠٧-٦٠٨]

❁ ❁ ❁

دخل عمرو بن سعيد على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد موت أبيه، وعمرو يومئذٍ غلامٌ، فقال له معاوية: إلى من أوصى بك أبوك؟ قال: إنَّ أبي أوصى إليَّ، ولم يوصِ بي. قال: وبأيِّ شيءٍ أوصاك؟ قال: أوصاني أن لا يفقدَ إخوانه منه إلا شخصه. فقال معاوية لأصحابه: إنَّ ابن سعيد هذا لَأشدق!.

[البيان والتبيين ٢/٧٧]



تأخر عمر بن عبد العزيز عن الصلاة مع الجماعة يومًا، فقال له مؤدبه صالح بن كيسان: ما شغلك؟ فقال: كانت مُرجِّلتي تسكن شعري، فقال له: أقدَّمتَ ذلك على الصلاة؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يعلمه بذلك، فبعث أبوه رسولًا فلم يكلِّمه حتى حلق رأسه. [البداية والنهاية ١٢/٦٧٨]



قال عبد الجبار الكرابيسي: كان معنا ابن لأيوب السختياني في الكُتاب، فحذق الصبي، فأتينا منزلهم، فوُضع له منبر فخطب عليه ونهبوا علينا الجوز، وأيوب قائم على الباب يقول لنا: ادخلوا، وهو خاصّ لنا.

[النفقة على العيال لابن أبي الدنيا ص٤٨٥]



قال سفيان الثوري: اجتمعوا إلى القاسم بن محمد في صدقة قسمها وهو يصلي، فجعلوا يتكلمون فقال ابنه: إنكم اجتمعتم إلى رجل والله ما نال منها درهمًا ولا دانقًا. قال: فأوجز القاسم ثم قال: يا بني، قل فيما علمت، قال سفيان: صدق ابنه، ولكنه أراد تأديبه في النطق وحفظه. [صفة الصفوة ٢/٨٩]



قال أبو العباس البَرَاثيّ: لما مات أبي كنت صبيًّا، فجاء الناس عزَّوني وأكثروا، وجاءني فيمن جاءني بشر بن الحارث، فقال لي: يا بُني، إن أباك كان رجلًا صالحًا، وأرجو أن تكون خلفًا منه، بَرّ بوالدتك ولا تعُقّها ولا تخالفها، يا بُني، والزم السوق؛ فإنها من العافية، ولا تصحبْ من لا خير فيه.

[طبقات الحنابلة ١/٦٤]



قال علي بن هارون بن يحيى بن المنجم: كنت وأنا صبي لا أقيم الراء في كلامي وأجعلها غينًا، وكانت سني إذ ذاك أربع سنين أقل أو أكثر، فدخل أَبُو طالب المفضل بن سلمة أو أبو بكر الدمشقي - شك الراوي - إلى أبي، وأنا بحضرته، فتكلمت بشيء به راء فلثغت فيها، فقال له الرجل: يا سيدي



لِـمَ تدع أبا الحسن يتكلم بهذا؟ فقال له: وما أصنع وهو ألثغ؟ فقال له: وأنا أسمع وأحصل ما يجري وأضبطه إنّ اللثغة لا تصح مع سلامة الجارحة، وإنما هي عادة سوء تسبق إلى الصبي أول ما يتكلم بتحقيق الألفاظ أو سماعه شيئًا يحتذيه فإن تُرك على ما يستصحبه من ذلك مرن عليه فصار له طبعًا لا يمكنه التحول منه، وإن أخذ بتركه في أول نشوئه استقام لسانه وزال عنه، وأنا أزيل هذا عن أبي الحسن ولا أرضى فيه بتركك له عليه، ثم قال لي: أخرج لسانك فأخرجته فتأمله، فقال: الجارحة صحيحة، قل يا بني: راء واجعل لسانك في سقف حلقك، ففعلتُ فلم يستوِ لي، فما زال يرفق بي مرة ويخشن عليّ أخرى وينقل لساني إلى موضعٍ من فمي ويأمرني أن أقول الراء فيه فإذا لم يستوِ نقل لساني إلى موضع آخر دفعاتٍ كثيرة في زمان طويل حتى قلت راء صحيحة في بعض تلك المواضع التي نقل إليها لساني، فطالبني بإعادتها وألزمني ذلك حتى استقام لساني، وذهبت اللثغة، فأمر أن أطالب بهذا أبدًا ويتقدم به إلى معلمي ومن يحفظني وأوخذ بالكلام به ولا يتسمح لي بالغلط فيه، ففعل ذلك ومَرُنت عليه، وما لثغت إلى الآن. [تاريخ بغداد ١٣/٦١٠]

❁ ❁ ❁

تفقّد هشام بن عبد الملك بعض ولده لم يحضر الجمعة، فقال له: ما منعك؟ فقال: نفقَتْ دابّتي، قال: وعجزتَ عن المشي فتركتَ الجمعة؟! فمنَعه الدابة سنة. [المنتظم ٧/٩٨]



قال محمد الباقر: أوصاني أبي قال: لا تصحبنّ خمسة ولاتحادثهم ولا ترافقهم في طريق، قلت: جعلت فداءك يا أبت، من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحبنّ فاسقًا؛ فإنه يبيعك بأكلةٍ فما دونها، قلت: يا أبت، وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لاينالها، قلت: يا أبت ومن الثاني؟ قال: لا تصحبنّ البخيل؛ فإنه يقطع بك في ماله أحوجَ ما كنت إليه، قلت: يا أبت ومن الثالث؟ قال: لا تصحبنّ كذابًا؛ فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد، قلت: يا أبت ومن الرابع؟ قال: لا تصحبنّ أحمق؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرُّك، قلت: يا أبت ومن الخامس؟ قال: لا تصحبنّ قاطع رحم؛ فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله في ثلاثة مواضع. [صفة الصفوة ٢/١٠٤]



قال محمد بن حسان: قال لي عمي: قدم محمد بن قحطبة الكوفي، فقال: أحتاج إلى مؤدِّبٍ يؤدِّب أولادي حافظٍ لكتاب الله عالمٍ بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس، فقيل له: ما يجمع هذه الأشياء إلا داود الطائي، وكان محمد بن قحطبة ابن عم داود، فأرسل إليه يعرض ذلك عليه، ويسني له الأرزاق والفائدة، فأبى داود ذلك، فأرسل إليه بَدْرَةً عشرة آلاف درهم، وقال له: استعن بها على دهرك، فردّها، فوجّه إليه بدرتين مع غلامين له مملوكين، وقال لهما: إن قبل البدرتين فأنتما حران، فمضيا بهما إليه، فأبى أن يقبلهما، فقالا له: إن في قبولها عتقَ رقابنا، فقال لهما:

إني أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتي في النار، رُدّاها إليه وقولا له: أن يردّهما على من أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا. [تاريخ بغداد ٩/٣١١]



كان زُبيد اليامي مؤذن مسجده، فكان يقول للصبيان: يا صبيان، تعالوا فصلوا أهب لكم الجوز، فكانوا يجيئون ويصلون ثم يحوطون حوله، فقيل له: ما تصنع بهذا؟ قال: وما عليّ أشتري لهم جوزًا بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة!. [حلية الأولياء ٥/٣١]

❁ ❁ ❁

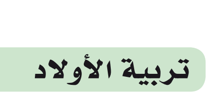
حدثني مشيخة أهل المدينة أن فروخًا أبا عبد الرحمن أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازيًا وربيعة حمل في بطن أمه وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسًا في يده رمح، فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه، فخرج ربيعة فقال له: يا عدو الله، أتهجم على منزلي؟ فقال: لا، وقال فروخ: يا عدو الله، أنت رجل دخلت على حرمتي، فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا بالسلطان، وأنت مع امرأتي، وكثر الضجيج، فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ، لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري، وأنا فروخ مولى بني فلان، فسمعت امرأته

كلامه فخرجت فقالت: هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفتَه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعًا وبكيا، فدخل فروخ المنزل وقال: هذا ابني؟ قالت: نعم، قال: فأخرجي المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار، فقالت: المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام، فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته، وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والمساحقي وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به، فقالت امرأته: اخرج صل في مسجد الرسول، فخرج فصلى، فنظر إلى حلقة وافرة فأتاه فوقف عليه ففرجوا له قليلًا، ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه طويلة فشك فيه أبو عبد الرحمن فقال: من هذا الرجل؟ فقالوا له: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني، فرجع إلى منزله، فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: أيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا، قالت: فإني قد أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيعتِه.

[تاريخ بغداد ٩/ ٤١٤]



اعتنى بإمام الحرمين الجويني والدُه من صغره، بل من قبل مولده، وذلك أنه اكتسب من عمل يده مالًا خالصًا من الشبهة اتصل به إلى والدته، فلما ولدته له حرص على أن لا يُطعمه ما فيه شبهة، فلم يمازج باطنه إلا الحلال الخالص، حتى يحكى أنه تلجلج مرة في مجلس مناظرة، فقيل له:



يا إمام، ما هذا الذي لم يعهد منك؟ فقال: ما أراها إلا آثار بقايا المصة، قيل: وما نبأ هذه المصة؟ قال: إن أمي اشتغلت في طعام تطبخه لأبي وأنا رضيع فبكيت وكانت عندنا جارية مرضعة لجيراننا فأرضعتني مصة أو مصتين، ودخل والدي فأنكر ذلك وقال: هذه الجارية ليست ملكًا لنا وليس لها أن تتصرف في لبنها وأصحابها لم يأذنوا في ذلك، وقلبني وفوَّقني حتى لم يدع في باطني شيئًا إلا أخرجه، وهذه اللجلجة من بقايا تلك الآثار.

[طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٦٨]





الزهد والورع

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه. [صحيح البخاري ٥/ ٤٣]



قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لما حُضِرَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاني فقال: يا بنية، إني كنت أعطيتك تمر خيبر، ولم تكوني أخذتيها وأنا أحب أن ترديها عليَّ. قالت: فبكيت، ثم قلت: غفر الله لك يا أبت، والله لو كان خيبر ذهبًا جميعًا لرددتها عليك. فقال: هي على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، يا بنية إني كنت أتجر قريش وأكثرهم مالًا، فلما شغلتني الإمارة رأيت أن أصيب من المال بقدر ما شغلني، يا بنية هذه العباءة القَطَوانية وحلاب وعبد، فإذا مت فأسرعي به إلى ابن الخطاب، يا بنية ثيابي هذه فكفنوني بها. قالت: فبكيت وقلت: يا أبت، نحن من ذلك، فقال: غفر الله لك وهل ذلك إلا للمَهْل؟ قالت: فلما مات بعثت بذلك إلى ابن الخطاب فقال: يرحم الله أبا بكر، لقد أحب ألا يترك لقائل مقالًا.

[الزهد للإمام أحمد ص٢١٦]



قال عبد الله بن أرقم لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين، إن عندنا حلية من حلية جلولاء وآنية من ذهب وفضة، فانظر أن تأمر فيها بأمرك، فقال: إذا رأيتني فارغًا فآذني، فرآه يومًا فقال: إني أراك اليوم فارغًا، فقال: ابسط لي نطعًا في الحش -قال ابن وهب: يريد النخل- فأمر بنطع فبسط له، فأُتي بذلك المال فصبّ عليه، ثم وقف عليه فقال: اللهم إنك ذكرت هذا المال وقلت: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾، وقلت: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾، اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينتَ لنا، اللهم إني أسألك أن ننفقه في حقه، وأعوذ بك من شره، قال: فأُتي بابن له يحمل يقال له عبد الرحمن بن نُهيّة فقال له: يا أبتاه هب لي خاتمًا. قال: اذهب إلى أمك تسقيك سويقًا، فما أعطاه منه شيئًا. [الزهد لأبي داود ص٨٧]



قالت برزة بنت رافع: لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني، فقالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله، واستترت منه بثوب، قالت: صبوه واطرحوا عليه ثوبًا، ثم قالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها، فقسمته حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق، فقالت: فلكم ما تحت الثوب،

قالت: فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهمًا، ثم رفعت يديها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا، فماتت.

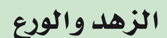
[الطبقات الكبرى ٧/ ٢٠٩]



لما قدم عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حمص أمرهم أن يكتبوا له فقراءهم، فرفع الكتاب، فإذا فيه سعيد بن عامر، قال: من سعيد بن عامر؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، أميرنا، قال: وأميركم فقير؟ قالوا: نعم، فعَجِب، فقال: كيف يكون أميركم فقيرًا؟ أين عطاؤه؟ أين رزقه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، لا يمسك شيئًا، فبكى عمر، ثم عمد إلى ألف دينار فصرها وبعث بها إليه، وقال: أقرئوه مني السلام، وقولوا له: بعث إليك أمير المؤمنين، فاستعن بها على حاجتك، قال: فجاء بها الرسول، فنظر إليه فإذا هي دنانير، فجعل يسترجع، فقالت له امرأته: ما شأنك؟ أصيب أمير المؤمنين؟ قال: أعظم، قالت: فظهرت آية؟ قال: أعظم من ذلك، قالت: فأمرٌ مِن الساعة؟ قال: بل أعظم من ذلك، قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أتتني، الفتنة أتتني، دخلت علي، قالت: فاصنع فيها ما شئت، قال لها: أعندك عون؟ قالت: نعم، فصر الدنانير فيها صررًا، ثم جعلها في مخلاة، ثم بات يصلي حتى أصبح، ثم اعترض بها جيشًا من جيوش المسلمين، فأمضاها كلها، فقالت له امرأته: لو كنت حبست منها شيئًا نستعين به، فقال لها: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**لو اطلعت امرأة من نساء الجنة إلى الأرض لملأت الأرض من ريح المسك**»، فإني والله ما أختار عليهن.

[أسد الغابة ٢/٤٨٣]





أجاز أبو جعفر المنصور الإمام أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دفعات، فقال: يا أمير المؤمنين، إني ببغداد غريب، وليس لها عندي موضع، فاجعلها في بيت المال، فأجابه المنصور إلى ذلك، فلما مات أبو حنيفة أخرجت ودائع الناس من بيته، فقال المنصور: خدعنا أبو حنيفة. [تاريخ بغداد ت بشار ١٥/٤٩٢]



بعث معن بن زائدة إلى سفيان الثوري بثلاثمائة دينار، فقال للرسول: قم إلى ذلك الطاق، انظر ما عليه؟ فوجد أربعة دوانيق، قال: هذه عندي منذ ثلاثة أشهر، لا أدري ما أصنع به فما أصنع بدنانيرك؟

[الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٦٢]



نزل الأوزاعي بأخ له في القرية التي نشأ فيها وهي الكَرَك، فقدم الرجل عشاءه فلما وضع المائدة بين يديه ومد الأوزاعي يده ليتناول منه قال الرجل: كل يا أبا عمرو واعذرنا؛ فإنك أتيتنا في وقت ضيق، فرد يده في كمه، وأقبل عليه الرجل يسأله أن يأكل من طعامه فأبى، فلما طال على الرجل رفع المائدة وبات، فلما أصبح غدا وتبعه الرجل فقال: يا أبا عمرو، ما حملك على ما صنعت؟ والله ما أفدت بعدك مالًا وما هو إلا المال الذي تعرف، فلما أكثر عليه قال: ما كنت لأصيب طعامًا قلَّ شكر الله عليه أو كفرت نعمة الله عنده، وكان تلك الليلة صائمًا. [الجرح والتعديل ١/ ٢١٠]



أصاب يزيد بن المهلب تاجًا بجرجان فيه جوهر، فقال: أترون أحدًا يزهد في هذا التاج؟ قالوا: لا، فدعا محمد بن واسع الأزدي، فقال: خذ هذا التاج فهو لك، قال: لا حاجة لي فيه، قال: عزمت عليك، فأخذه وخرج، فأمر يزيد رجلًا ينظر ما يصنع به، فلقي سائلًا فدفعه إليه، فأخذ الرجل السائل، فأتى به يزيد وأخبره الخبر، فأخذ يزيد التاج، وعوض السائل مالًا كثيرًا.

[تاريخ الطبري ٦/٥٣٩]



نظر مبارك والد عبد الله بن المبارك بستانًا لمولاه، فطلب منه رمانة حامضة، فجاءه برمانة حلوة، فقال له: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ قال: لا، قال: ولِمَ؟ قال: لأنك لم تأذن لي فيه، فوجده كذلك وعظم قدره عند مولاه، حتى كان له بنت خطبت كثيرًا، فقال له: يا مبارك، من ترى نزوج هذه البنت؟ فقال: الجاهلية كانوا يزوجون للحسب واليهود للمال والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين، فأعجبه عقله وقال لأمها: ما لها زوج غيره، فتزوجها، فجاءت بعبد الله، وكان واحد وقته.

[شذرات الذهب ١ /٢٨٩]



كتب غلامٌ لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: إن قصب السكر أصابته آفة، فاشترِ السكر فيما قِبَلك، فاشترى من رجلٍ فلم يأت عليه إلا قليل فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفًا، فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا، إن غلامي كان كتب إليّ ولم أعلمك فأقلني فيما اشتريت منك، قال الآخر: قد

أعلمتني الآن وطيبته لك، فرجع فلم يحتمل قلبه، فأتاه فقال: يا هذا، إني لم آتِ الأمر من وجهه، فأحبّ أن تسترد هذا البيع، فما زال به حتى رده عليه. [المنتظم ٨/١٥٢]



قصدت أخت بشر الحافي الإمام أحمد فقالت: إنا قوم نغزل بالليل ومعاشنا منه، وربما يمر بنا مشاعل بني طاهر ولاة بغداد ونحن على السطح فنغزل في ضوئها الطاقة والطاقتين، أفتحله لنا أم تحرمه؟ فقال لها: من أنت؟ قالت: أخت بشر. فقال: آه يا آل بشر، لا عدمتكم، لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم. [حلية الأولياء ٨/٣٥٣]



ذكر أبو العرب أن سحنون خلا به يومًا، فقال له: ألست بإمامك؟ قال: نعم، قال: وتقبل قولي؟ فقال: نعم، لو لم أقبله لم أختلف إليك، فقال له: هذا قولي ويميني، فحلف بالله وأراه صرة في يده ذكر أن فيها ثلاثين دينارًا، وقال له: ما هي من سلطان ولا من تجارة ولا وصية، وما هي إلا من ثمرة شجرة غرستها بيدي فخذها، تتقوى بها على أمر دينك ودنياك، فقال: أنا عنها غني، وكان مفرط الحاجة إلى ما دونها، فقال سحنون: خذها سلفًا فتتزوج منها وتنفق، فإن رزقك الله ردها أقبلها منك، فإن تعذر ردها فأنت منها في حلّ، فقال: ما كنت بالذي آخذ دينًا في ذمتي من غير حاجة، فقال سحنون: فإذا أبيت فلا تذكره لأحد ما دمت حيًّا. [ترتيب المدارك ٤/٢٣١]



التوكـل

قال عبد العزيز بن أبي رَوّاد لأخ له: أقرضنا خمسة آلاف درهم إلى الموسم، فسُرَّ التاجر وحملها إليه، فلما جنه الليل قال: ما صنعتُ بابن أبي رواد! شيخ كبير وأنا كذلك ما أدري ما يحدث بنا، فلا يعرف له ولدي حقه، لئن أصبحت لآتينه ولأحلِّلنه، فلما أصبح أتاه فأخبره، فقال: اللهم أعطه أفضل ما نوى ودعا له، وقال: إن كنت إنما تشاورني فإنما استقرضناه على الله، فكلما اغتممنا به كفر الله به عنا، فإذا جعلتنا في حل كأنه يسقط ذلك، فكره التاجر أن يخالفه، فما أتى الموسم حتى مات الرجل، فأتى أولادُه وقالوا: مال أبينا يا أبا عبد الرحمن. فقال لهم: لم يتهيأ ولكن الميعاد بيننا الموسم الآتي، فقاموا من عنده، فلما كان الموسم الآتي لم يتهيأ المال، فقالوا: أيش أهون عليك من الخشوع وتذهب بأموال الناس؟! فرفع رأسه، فقال: رحم الله أباكم قد كان يخاف هذا وشبهه ولكن الأجل بيننا الموسم الآتي، وإلا فأنتم في حِلّ مما قلتم، قال: فبينا هو ذات يوم خلف المقام إذ ورد عليه غلام كان قد هرب له إلى الهند بعشرة آلاف درهم فأخبره أنه اتجر وأن معه من التجارة ما لا يحصى، فقال: لك الحمد، سألناك خمسة آلاف، فبعثت إلينا عشرة آلاف، يا عبد المجيد! احمل العشرة آلاف إليهم، خمسة لهم وخمسة للإخاء الذي بيننا وبين أبيهم، وقال العبد: من يقبض ما معي؟ فقال: يا بني! أنت حر لوجه الله، وما معك فلك. [سير أعلام النبلاء ٧/ ١٨٥]



قال عبد الرحمن بن مهدي: كنت أنا وأخي شريكين، فأصبنا مالًا كثيرًا، فدخل قلبي من ذلك المال شيء فتركته لله وخرجت، فما خرجت من الدنيا حتى ردَّ الله ذلك المال إليّ: زوَّج أخي ثلاث بنات من أولادي وزوجت ابنتي من ابنه، ومات أخي فورثه أبي، ومات أبي فورثته أنا، فرجع ذلك المال كله إليّ. [صفة الصفوة ٢/٢٢٨]



لما مات ذر بن عمر بن ذر قال أصحابه: الآن يضيع الشيخ؛ لأنه كان بارًّا بوالديه، فسمعها الشيخ فبقي متعجبًا، أنا أضيع؟ والله حي لا يموت، فسكت حتى واراه التراب، فلما واراه التراب وقف على قبره يسمعهم، فقال: رحمك الله يا ذر، ما علينا بعد من خصاصة، وما بنا إلى أحد مع الله حاجة، وما يسرني أن أكون المقدم قبلك، ولولا هول المطلع لتمنيت أن أكون مكانك، لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، فيا ليت شعري ماذا قيل لك، وماذا قلت؟ يعني منكرًا ونكيرًا. ثم رفع رأسه فقال: اللهم إني قد وهبت له حقي فيما بيني وبينه، اللهم فهب حقك فيما بينك وبينه له، فبقي القوم متعجبين مما جاء منهم، ومما جاء منه من الرضا عن الله والتسليم له.

[حلية الأولياء٥/١٠٩]



قال إسحاق بن عباد البصري: رأيت في منامي ذات ليلة قائلًا يقول: أغث الملهوف، فانتبهتُ فقلت: انظروا هل في جيراننا محتاج؟ فقالوا: ما ندري، فنمت ثانيًا فعاد إليّ فقال: تنام ولم تغث الملهوف؟! فقمت فقلت

للغلام: أسرج البغل، وأخذت معي ثلاثمائة درهم، ثم ركبت البغل فأطلقت عنانه حتى بلغ مسجدًا يصلى فيه على الجنازة، فوقف البغل هناك، فنظرت فإذا رجلٌ يصلي، فلما حس بي انصرف، فدنوتُ منه فقلت: يا عبد الله، في هذا الوقت في هذا الموضع ما أخرجك؟ قال: أنا رجلٌ خوّاص، كان رأس مالي مائة درهم، فذهبت من يدي ولزمني دَينُ مائتي درهم، فأخرجت الدراهم وقلت: هذه ثلاث مائة درهم خذها، فأخذها، قلت: تعرفني؟ قال: لا، قلت: أنا إسحاق بن عباد، فإن نابتك نائبة فأتني، فإن منزلي في موضع كذا وكذا، فقال: رحمك الله، إن نابتنا نائبة فزعنا إلى من أخرجك في هذا الوقت حتى جاء بك إلينا. [شعب الإيمان ٢/٣٢]



لما ولى عبد الملك بن مروان عبد الله البطال المصيصة بعث البطال سرية إلى أرض الروم، فغاب عنه خبرهم فلم يدر ما صنعوا، فركب بنفسه وحده على فرس له وسار حتى وصل عمورية، فطرق بابها ليلًا، فقال له البواب: من هذا؟ قال البطال: فقلت: أنا سياف الملك ورسوله إلى البطريق، فأخذ لي طريقًا إليه، فلما دخلت عليه إذا هو جالس على سرير فجلست معه على السرير إلى جانبه، ثم قلت له: إني قد جئتك في رسالة فمر هؤلاء فلينصرفوا، فأمر من عنده فذهبوا، ثم قام فأغلق باب الكنيسة علي وعليه، ثم جاء فجلس مكانه، فاخترطت سيفي وضربت به رأسه صفحًا وقلت له: أنا البطال فاصدقني عن السرية التي أرسلتها إلى بلادك وإلا ضربت عنقك الساعة، فأخبرني ما

خبرها، فقال: هم في بلادي ينتهبون ما تهيأ لهم، وهذا كتاب قد جاءني يخبر أنهم في وادي كذا وكذا، والله لقد صدقتك. فقلت: هات الأمان، فأعطاني الأمان، فقلت: ائتني بطعام، فأمر أصحابه فجاؤوا بطعام فوضع لي، فأكلت فقمت لأنصرف، فقال لأصحابه: اخرجوا بين يدي رسول الملك فانطلقوا يتعادون بين يدي، وانطلقت إلى ذلك الوادي الذي ذكر، فإذا أصحابي هنالك، فأخذتهم ورجعت إلى المصيصة. [البداية والنهاية ٣٦٤/٩]



قال صالح بن الإمام أحمد: دخلتُ على أبي يومًا أيام الواثق والله يعلم على أيّ حالٍ نحن وقد خرج لصلاة العصر، وكان له لبد يجلس عليه قد أتى عليه سنون كثيرة حتى بلي، وإذا تحته كتاب كاغد فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق وما عليك من الدَّيْن، وقد وجهتُ إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان، وما هي من صدقة ولا زكاة وإنما هو شيء ورثته من أبي، فقرأت الكتاب ووضعته، فلما دخل قلت: يا أبت، ما هذا الكتاب؟ فاحمرّ وجهه، وقال: رفعته منك، ثم قال: تذهب لجوابه؟ فكتب إلى الرجل: وصل كتابك إليّ ونحن في عافية، فأما الدَّيْن فإنه لرجلٍ لا يرهقنا، وأما عيالنا ففي نعمة الله، فذهبتُ بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل مثل ذلك، فردّ عليه بمثل ما رد، فلما مضت سنة أو نحوها ذكرناها، فقال: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت.

[سير أعلام النبلاء ٢٠٥/١١]



باعت زوجة بدر المغازلي دارًا لها بثلاثين دينارًا فقال لها بدر: نفرق هذه الدنانير في إخواننا ونأكل رزق يوم بيوم، فأجابته إلى ذلك وقالت: تزهد أنت ونرغب نحن، هذا ما لا يكون. [تاريخ بغداد ٧/٥٩٥]



جاء رجل إلى الربيع بن عبد الرحمن فسأله أن يكلم الأمير في حاجة له، فبكى الربيع ثم قال: أي أخي، اقصد إلى الله في أمرك تجده سريعًا قريبًا، فإني ما ظاهرت أحدًا في أمر أريده إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فأجده كريمًا قريبًا لمن قصده وأراده وتوكل عليه. [التوكل على الله لابن أبي الدنيا ص: ٧٤]





مصاحبة الأخيار

قسم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم حللًا، فبعث إلى معاذ حلة مُثمِنة فباعها واشترى بثمنها ستة أعبد وأعتقهم، فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه بعد ذلك حلة دونها، فعاتبه معاذ فقال عمر: لأنك بعت الأولى، فقال معاذ: وما عليك؟ ادفع لي نصيبي، وقد حلفت لأضربن بها رأسك فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأسي بين يديك وقد يرفق الشاب بالشيخ.

[مدارج السالكين ٢/ ٣١٥]



صحب سلمانَ رجل من بني عبس ليتعلم منه، فخرج معه، فجعل لا يستطيع أن يفضله في عمل إن عجن جاء سلمان فخبز، وإن هيأ الرجل علف الدواب ذهب سلمان فسقاها حتى انتهوا إلى شط دجلة وهي تطفح، فقال سلمان للعبسي: انزل فاشرب، فقال له سلمان: ازدد فازداد، فقال له سلمان: كم تراك نقصت منها؟، فقال العبسي: وما عسى أن أنقص منها؟ فقال سلمان: كذلك العلم تأخذ منه ولا تنقصه فعليك منه بما ينفعك، قال: ثم عبرنا إلى نهر دن فإذا الأكداس عليه من الحنطة والشعير، فقال سلمان: يا أخا بني عبس، أما ترى إلى فتح خزائن هذه علينا كأن نراها ومحمد حي؟ قال: قلت: بلى. قال: فوالذي لا إله إلا هو لقد كانوا يمسون ويصبحون وما فيهم قفيز من قمح. ثم سرنا حتى انتهينا إلى جلولاء. فذكر ما فتح الله عليهم بها وما أصابوا فيها من الذهب والفضة، فقال: يا أخا بني عبس،

أما ترى الذي فتح خزائن هذه لهذه علينا كأن نراها ومحمد حي. قال: قلت بلى. قال: فوالذي لا إله غيره لقد كانوا يمسون ويصبحون وما فيهم دينار ولا درهم. [الزهد لهناد بن السري ٢/٣٨٠]

كان بين عاصم بن عمر وبين رجل من قريش درءٌ في أرض، فقال القرشي لعاصم: فإن كنت صادقًا فادخلها، فقال عاصم: أوَقد بلغ بك الغضب كل هذا؟ هي لك، فقال القرشي: سبقتني، بل هي لك، فتركاها لا يأخذها واحد منهما حتى هلكا، ثم لم يعرض لها أولادهما.

[تهذيب الكمال ١٣/٥٢٣]



قال أبو خلدة: دخلنا على محمد بن سيرين، فقال: ما أدري ما أتحفكم به؟ كلكم في بيته خبز ولحم، ثم قال: يا جارية هاتي تلك الشهدة، فجعل يقطع ويطعمنا. [مكارم الأخلاق للطبراني ١/٣٧٨]

كان عبد الله بن المبارك يتّجر في البزّ، وكان يقول: لولا خمسة ما اتجرت، فقيل له: يا أبا محمد، مَن الخمسة؟ فقال: سفيان الثوري وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ومحمد بن السماك وابن عُليّة. وكان يخرج فيتجر إلى خراسان، فكلما ربح من شيءٍ أخذ القوت للعيال ونفقة الحج، والباقي يصل به إخوانه الخمسة، فقدم سنة فقيل له: قد ولي ابن علية القضاء، فلم يأته ولم

يصله بالصرة التي كان يصله بها في كل سنة، فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قد قدم، فركب إليه وتنكّس على رأسه فلم يرفع به عبد الله رأسًا، ولم يكلمه فانصرف، فلما كان من غدٍ كتب إليه رقعة: بسم الله الرحمن الرحيم، أسعدك الله بطاعته وتولاك بحفظه وحاطك بحياطته، قد كنت منتظرًا لبرك وصلتك أتبرك بها، وجئتك أمس فلم تكلمني ورأيتك واجدًا عليّ، فأي شيء رأيت مني حتى أعتذر إليك منه؟ فلما وردت الرقعة على عبد الله بن المبارك دعا بالدواة والقرطاس، وقال: يأبى هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا، ثم كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم:

يا جاعل الدين له بازيًا ... يصطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدينِ

فصرت مجنونًا بها بعد ما ... كنت دواء للمجانينِ

أين رواياتك في سردها ... عن ابن عون وابن سيرينِ

أين رواياتك في سردها ... لترك أبواب السلاطينِ

إن قلتَ أُكرهت فذا باطلٌ ... زلّ حمار العلم في الطينِ

فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء، فوطئ بساط هارون، وقال: يا أمير المؤمنين، اللهَ اللهَ ارحم شيبتي، فإني لا أصبر للخطأ، فقال له هارون: لعلّ هذا المجنون أغرى بقلبك، فقال: الله الله أنقذني أنقذك الله، فأعفاه من القضاء، فلما اتصل بعبد الله بن المبارك ذلك وجّه إليه بالصرة. [تاريخ بغداد ٧/١٩٦]

❁ ❁ ❁

قال أبو عبد الله الواقدي القاضي: أضقتُ مرة من المرار وأنا مع يحيى ابن خالد البرمكي، وحضر عيدٌ، فجاءتني جارية فقالت: قد حضر العيد وليس عندنا من النفقة شيء، فمضيت إلى صديقٍ لي من التجار فعرفته حاجتي إلى القرض، فأخرج إليّ كيسًا مختومًا فيه ألف ومائتا درهم، فأخذته وانصرفت إلى منزلي، فما استقررت فيه حتى جاءني صديق لي هاشمي فشكا إليَّ تأخر غلته وحاجته إلى القرض، فدخلت إلى زوجتي فأخبرتها، فقالت: على أي شيء عزمت؟ قلت: على أن أقاسمه الكيس، قالت: ما صنعت شيئًا؛ أتيتَ رجلًا سوقة فأعطاك ألفًا ومائتي درهم وجاءك رجلٌ له من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحم ماسة تعطيه نصف ما أعطاك السوقة؟! ما هذا شيئًا، أعطه الكيس كله، فأخرجت الكيس كله فدفعته إليه، ومضى صديقي التاجر إلى الهاشمي وكان له صديقًا فسأله القرض، فأخرج الهاشمي إليه الكيس، فلما رأى خاتمه عرفه وانصرف إليَّ فخبرني بالأمر، وجاءني رسول يحيى بن خالد، يقول: إنما تأخر رسولي عنك لشغلي بحاجات أمير المؤمنين، فركبتُ إليه فأخبرته بخبر الكيس، فقال: يا غلام، هات تلك الدنانير فجاءه بعشرة آلاف دينار، فقال: خذ ألفى دينار لك وألفين لصديقك وألفين للهاشمي وأربعة آلاف لزوجتك؛ فإنها أكرمكم. [تاريخ بغداد ٤/٣٠]

❁ ❁ ❁

قال شقيق بن إبراهيم: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذ مر به رجل من الصناع، فقال إبراهيم: أليس هذا فلانًا؟ قيل: نعم، فقال لرجل:

أدركه فقل له: قال لك إبراهيم: ما لك لم تسلم؟ قال: لا والله، إن امرأتي وضعت وليس عندي شيء فخرجت شبه المجنون، فرجعت إلى إبراهيم وقلت له فقال: إنا لله، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر؟ فقال: يا فلان، ائت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين، وادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار وادفع الدينار الآخر إليه، فدخلت السوق، وأوقرت بدينار من كل شيء، وتوجهت إليه، فدققت الباب، فقالت امرأته: من هذا؟ قلت: أنا أردت فلانًا، قالت: ليس هو هنا، قلت: فمُرِي بفتح الباب وتَنحَّي، ففتحت الباب، فأدخلت ما على البعير وألقيته في صحن الدار وناولتها الدينار، فقالت: على يدي من هذا؟ قلت: قولي: على يد أخيك إبراهيم بن أدهم، فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم. [حلية الأولياء ٣٨٢/٧]

❁ ❁ ❁

قال إسماعيل بن العلاء: دعاني الكلوذاني رزق الله بن موسى، فقدم إلينا طعامًا كثيرًا، وكان في القوم أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو خيثمة وجماعة، فقدم لوزينج، أنفق عليها ثمانين درهمًا، فقال أبو خيثمة: هذا إسراف، فقال أحمد: لا، لو أن الدنيا جمعت حتى تكون في مقدار لقمة، ثم أخذها امرؤ مسلم، فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفًا، فقال يحيى: صدقت يا أبا عبد الله. [طبقات الحنابلة ١٠٦/١]

❁ ❁ ❁

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: زرت أحمد بن حنبل، فلما دخلت عليه بيته قام فاعتنقني وأجلسني في صدر مجلسه، فقلت: يا أبا عبد الله، أليس يقال

صاحب البيت أو المجلس أحق بصدر بيته أو مجلسه؟ قال: نعم، يقعد ويُقعد من أراد، فقلت في نفسي: خذ إليك أبا عبيد فائدة. ثم قلت: يا أبا عبد الله، لو كنت آتيك على حق ما تستحق لأتيتك كل يوم، فقال: لا تقل ذاك، فإن لي إخوانًا ما ألقاهم في كل سنة إلا مرة أنا أوثق في مودتهم ممن ألقى كل يوم، قلت: هذه أخرى يا أبا عبيد. فلما أردت القيام قام معي، قلت: لا تفعل يا أبا عبد الله، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن يُمشَى معه إلى باب الدار، ويؤخذ بركابه، قلت: يا أبا عبد الله من عن الشعبي؟ قال: ابن أبي زائدة عن مجالد عن الشعبي، قلت: يا أبا عبيد، هذه ثالثة.

[طبقات الحنابلة ١/٢٥٩]



رأى الإمام أبو حنيفة على بعض جلسائه ثيابًا رثة، فأمره فجلس حتى تفرّق الناس وبقي وحده، فقال له: ارفع المصلى وخذ ما تحته، فرفع الرجل المصلى فكان تحته ألف درهم، فقال له: خذ هذه الدراهم فغيِّر بها من حالك، فقال الرجل: إني موسر وأنا في نعمةٍ ولست أحتاج إليها، فقال له: أما بلغك الحديث: «**إن الله يحب بأن يرى أثر نعمته على عبده**»؟ فينبغي لك أن تغير حالك حتى لا يغتمّ بك صديقك. [تاريخ بغداد ١٥/٤٩٤]



كان للحسن بيت إذا فتح بابه فهو إذنه، فمن جاءه من أصحابه فرأى الباب مفتوحًا دخل، فجاء رجل فرأى الباب مفتوحًا فدخل، فنظر فلم ير

الحسن في البيت، فنظر إلى سلٍّ تحت سريره فجرَّه إليه فإذا فيه طعام، فأقبل يأكل منه، وأقبل الحسن من مخرج له، فلما رأى ما يصنع الرجل قام ينظر إليه، ثم جعلت عينه تدمع وجعل يبكي، فقال له الرجل: ما يبكيك يا أبا سعيد؟ قال: ذكَّرتني أخلاق قوم مضوا.

[الزهد للإمام أحمد ص٥٢٥]



جاء فتحٌ الموصلي إلى صديقه عيسى التمار فلم يجده في المنزل فقال للخادم: أخرجي إليّ كيسَ أخي، فأخذ منه درهمين، وجاء عيسى إلى منزله فأخبرته الجارية بمجيء فتح وأخذِه الدرهمين، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة فنظر فإذا هي صادقة، فعتقت.

[حلية الأولياء ٨/٢٩٣]

كان أبو حنيفة يبيع الخزّ، فجاءه رجل فقال: يا أبا حنيفة، قد احتجتُ إلى ثوب خز، فقال: ما لونه؟ فقال: كذا وكذا، فقال له: اصبر حتى يقع وآخذه لك إن شاء الله، قال: فما دارت الجمعة حتى وقع، فمر به الرجل فقال له أبو حنيفة: قد وقعت حاجتك، فأخرج إليه الثوب فأعجبه فقال: يا أبا حنيفة، كم أزن للغلام؟ قال: درهمًا، قال: يا أبا حنيفة، ما كنتُ أظنك تهزأ؟ قال: ما هزأت، إني اشتريت ثوبين بعشرين دينارًا ودرهم، وإني بعت أحدهما بعشرين دينارًا، وبقي هذا بدرهم، وما كنت لأربح على صديق.

[تاريخ بغداد ١٥/٤٩٥]



قال محمد بن المثنى انصرفت مع بشر بن الحارث في يوم أضحى من المصلى فلقي خالد بن خداش المحدث فسلم عليه فقصر بشر في رد السلام فقال خالد: بيني وبينك مودة أكثر من ستين سنة ما تغيرت عليك فما هذا التغيير؟ فقال بشر: ما هنا تغيير ولا تقصير، ولكن هذا يوم تستحب فيه الهدايا وما عندي من عرض الدنيا شيء أهديه لك، وقد روي في الحديث أن المسلمين إذا التقيا كان أكثرهما ثوابًا أبشهما لصاحبه فتركتك لتكون أفضل ثوابًا. [المنهج الأحمد ١/٧٩]





محبة الخير للناس

احتكر المِسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طعامًا فرأى سحابًا من سحاب الخريف فكرهه، فلما أصبح أتى السوق فقال: مَن جاءَني ولَّيتُه -يعني: بعت له برأس المال-، فبلغ ذلك عمر فأتاه بالسوق فقال: أجُنِنتَ يا مِسوَر؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت سحابًا فكرهته، فكرهت ما ينفع الناس، فكرهت أن أربح فيه. فقال عمر: جزاك الله خيرًا. [صفة الصفوة ١/ ٣٠٥]

❁ ❁ ❁

قال الأصمعي: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به قام إليه، فسلم عليه وأجلسه على السرير، وقعد بين يديه، وقال له: يا أبا محمد، حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار؛ فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور؛ فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين؛ فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك. فقال له: أفعل، ثم نهض وقام، فقبض عليه عبد الملك، فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك؟ فقال: ما لي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج. فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد».

[المجالسة ٢/٢٩٠-٢٩١]

❁ ❁ ❁



أعطي الربيع بن خثيم فرسًا أو اشترى فرسًا بثلاثين ألفًا، فغزا عليها، قال: ثم أرسل غلامه يحتشّ وقام يصلي، وربط فرسه، فجاء الغلام، فقال: يا ربيع، أين فرسك؟ قال: سرقت يا يسار، قال: وأنت تنظر إليها؟ قال: نعم يا يسار، إني كنت أناجي ربي عَزَّوَجَلَّ، فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء، اللهم إنه سرقني ولم أكن لأسرقه، اللهم إن كان غنيًّا فاهده، وإن كان فقيرًا فأغنه، ثلاث مرات. [الزهد للإمام أحمد ص٥٥٣]



كان الحجاج بن دينار قد بعث طعامًا إلى البصرة مع رجل وأمره أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه، فأتاه كتابه: إني قدمت البصرة، فوجدت الطعام مبغضًا فحبسته، فزاد الطعام فازددت فيه كذا وكذا، فكتب إليه الحجاج: إنك قد خنتنا وعملت بخلاف ما أمرناك به، فإذا أتاك كتابي فتصدق بجميع ثمن الطعام على فقراء البصرة، فليتني أسلم إذا فعلت ذلك.

[جامع العلوم والحكم ص٩٤]



اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة فاستغْلَوها فاستقالوه، فأقالهم ثم دعا بخريطة فيها أكياس فأمر لهم بخمسين دينارًا، فقال له ابنه الحارث في ذلك، فقال: اللهم غفرًا، إنهم قد كانوا أملوا فيها أملًا، فأحببت أن أعوضهم من أملهم بهذا. [سير أعلام النبلاء ٨/١٤٩]



ترافع اثنان إلى القاضي خير بن نعيم فادعى أحدهما بعشرين دينارًا، فسكت المدعى عليه، فقال له: ما يخلصك السكوت، فناوله رقعة وقال: استرها فسترها خير بكمه، فإذا فيها: المبلغ في ذمتي، ولكن ليس له بها شاهد، وأنا اليوم لا أقدر على حق الرسول، فإن اعترفت عقلني، وإلا استحلفني، خفت الله، فبكى خير وأخرج منديلًا من كمه فوزن عشرين دينارًا للمدعي. فقال: ما هذه الدنانير؟ قال: خلاص هذا المسكين، فقال: ما أردتَ بهذا؟ قال: الأجر والثواب، قال: أنا أحقّ، والله لا طلبتها منه أبدًا، فقام المطلوب، فقال له خير: خذها فليس لي فيها رجعة، فأخذ عشرين، وتخلص من عشرين.

[رفع الإصر ص ١٥٥]

❁ ❁ ❁

وجّه عبد الله بن إدريس بابنه إلى البقال ليشتري له حاجة، فأبطأ ثم جاء، فقال له: يا بني، ما بطأك؟ قال: مضيت إلى السوق، قال: لِـم لم تشتر من هذا البقال الذي معنا في السكة؟ قال: هذا يغلي علينا، قال: اشترِ منه وإن أغلى عليك، فإنما جاورَنا لينتفع.

[تاريخ بغداد ١١/٦٩]

❁ ❁ ❁

قال عبد الله ابن أخت مسلم بن سعد: أردت الحج فدفع إلي خالي مسلم عشرة آلاف درهم وقال لي: إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطهم إياها، فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة، فدللت على أهل بيت، فطرقت الباب فأجابتني امرأة: من أنت؟ فقلت: أنا رجل من أهل بغداد، أودعت عشرة آلاف وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة،



وقد وصفتم لي فخذوها فقالت: يا عبد الله، إن صاحبك اشترط أفقر أهل بيت، وهؤلاء الذين بازائنا أفقر منا، فتركتهم وأتيت أولئك، فطرقت الباب فأجابتني امرأة، فقلت لها مثل الذي قلت لتلك المرأة، فقالت: يا عبد الله، نحن وجيراننا في الفقر سواء، فاقسمها بيننا وبينهم.

[صفة الصفوة ١/٤١١]





التواضع

لما بويع لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا يَـحلب لنا منائحنا، فسمعها أبو بكر فقال: بلى، لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية: أتحبين أن أرغي لكم أو أن أصرح؟ فربما قالت: أرغ، وربما قالت: صرح، فأي ذلك قالت فعل. [أسد الغابة ٣/ ٣٢٦]

❁ ❁ ❁

قال عروة بن الزبير: رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلى عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلتْ في نفسي نخوة فأحببتُ أن أكسرها، ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها. [الرسالة القشيرية ص٧٠]



قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد ذُبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صُبّ ماء بدم الفرخين فأصاب عمر فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابًا غير ثيابه ثم جاء فصلَّى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله إنه لَلموضعُ الذي وضعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال عمر للعباس: وأنا أعزم

عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففعل ذلك العباس. [صفة الصفوة ١/٢٨٥]



عن ثعلبة بن أبي مالك أن أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أقبل في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، فقلت: أصلحك الله، يكفي هذا، قال: وسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، والحزمة عليه. [الزهد لأبي داود ص٢٥٤]

قال عبد العزيز بن عمر: قال لي رجاء بن حَيْوَة: ما أكمل مروءةَ أبيك! سمَرْتُ عنده فعَشِيَ السِّراجُ وإلى جانبه وصيف نام، قلت: ألا أنبِّهه؟ قال: لا، دعه، قلت: أنا أقوم، قال: لا، ليس من مروءة الرجل استخدامُه ضيفَه، فقام إلى بطَّةِ الزيت وأصلح السِّراج، ثم رجع، وقال: قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز. [سير أعلام النبلاء ٥/١٣٦]





الاستشارة

طلب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأحنف بن قيس، فأبقاه عنده سنة يراقبه ثم قال له: يا أحنف، قد بلوتك وخبرتك فلم أر إلا خيرًا، ورأيت علانيتك حسنة، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك، فإنا كنا نتحدث: إنما أهلك هذه الأمة كل منافق عليم، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما بعد، فأدن الأحنف بن قيس وشاوِرْه واسمع منه.

[طبقات ابن سعد ٧/٩٤]



قال عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قُتل أبي وترك دينًا كبيرًا، فأتيتُ حكيم ابن حزام أستعين برأيه وأستشيره، فوجدته في سوق الظَّهْر، معه بعيرٌ آخذ بخطامه يدور به في نواحي السوق، فسلمت عليه وأخبرته بما جئته له، فقال: الْبث علي حتى أبيع بعيري هذا. فطاف وطفتُ معه حتى إني لأضع ردائي على رأسي من الشمس، ثم أتاه رجل فأربحه فيه درهمًا، فقال: هو لك، وأخذ منه الدرهم، فلم أملك أن قلت له: حبستَني ونفسك ندور في الشمس منذ اليوم من أجل درهم! فودِدتُ أني غرمت دراهم كثيرة ولم تبلغ هذا من نفسك، فلم يكلمني، وخرجت معه نحو منزله حتى انتهيت إلى هدم بالزوراء فيه عُجيزة من العرب، فدنا إليها فأعطاها ذلك الدرهم، ثم أقبل عليَّ فقال: يا ابن أخي، إني غدوت اليوم إلى السوق فرأيت مكان هذه العجوز، فجعلت لله لا أربح اليوم شيئًا إلا أعطيتُها إياه، فلو ربحت

كذا وكذا لدفعته إليها، وكرهتُ أن أنصرف حتى أصيب لها شيئًا فكان هذا الدرهم الذي رزقت. قال: فلما صرت إلى المنزل دعا بطعامه فأكل وأكلت معه، حتى إذا فرغ أقبل عليَّ، فقال: يا ابن أخي، ذكرت دين أبيك، فإن كان ترك مائة ألف فعليَّ نصفُها، قلت: ترك أكثر من ذلك، قال: فإن كان ترك مائتي ألف فعليَّ نصفها، قلت: ترك أكثر من ذلك، قال: فإن كان ترك ثلاثمائة ألف فعليَّ نصفها، قلت: ترك أكثر من ذلك. قال: لله أنت كم ترك أبوك؟ فأخبرته، أحسب أنه قال: ألفي ألف درهم. قال: ما أراد أبوك إلا أن يدعنا عالة، قلت: إنه ترك وفاء وأموالًا كثيرة، وإنما جئت أستشيرك فيها، منها سبع مئة ألف درهم لعبد الله بن جعفر بن أَبي طالب، وللزبير معه شِرْك في أرض بالغابة، قال: فاعمد لعبد الله بن جعفر فقاسمه، وإن سامك قبل المقاسمة فلا تَبِعه، ثم اعرض عليه فإن اشترى منك فبعه. فخرجت حتى جئت عبد الله بن جعفر، فقلت له: قاسمني الحق الذي معك، قال: أو أشتريه منك، قلت: لا، حتى تقاسمني، قال: فموعدك غدًا هنالك بالغداة. فغدوت فوجدته قد سبقني، ووضع سفرة وهو يأكل هو وأصحابه، قال: الغداء، قلت: المقاسمة قبل، فأمسك يده ثم قال: قل ما شئت، قلت: إن شئت فاقسم وأختار، وإن شئت قسمتُ واخترتَ، قال: هما لك جميعًا، فقمت إلى الأرض فصدعتها نصفين، ثم قلت: هذا لي، وهذا لك، قال: هو كذلك، قلت: اشتر مني إن أحببت، قال: كان لي على أبي عبد الله شيء وهو سبعمائة ألف درهم، وقد أخذتها منك بها. قلت: هي لك، قال: هلم إلى الغداء. فجلست فتغديت، ثم انصرفت وقد قضيته.



وبعث معاوية إلى عبد الله بن جعفر فاشترى منه ذلك الحق كله بألفي ألف درهم. [تهذيب الكمال ٧/ ١٨٧-١٨٩]



قال ابن جابر: وافيت أبا عبد ربّ ذات يوم على مِطهرة دمشق يتوضأ، فسلمت عليه فقال: يا طويل، لا تعجل، فانتظرته، فلما فرغ من وضوئه قال: إني أريد أن أستشيرك، قلت: اذكر، قال: حُرمت من صامت مالي وعقاري فلم يَبْق إلا داري هذه وقد أُعطيت بها كذا وكذا ألفًا فما ترى؟ قلت: والله ما أدري ما بقي من عُمرك وأخاف أن تحتاج إلى الناس، وفي غلَّتها قوام لمعيشتك، وتسكن في طائفة منها فيسترك ويغنيك عن منازل الناس. قال: وإن هذا لرأيك؟ قلت: نعم. قال: أصابك والله المثل، قلت: وما ذاك؟ قال: لا يخطئك من طويل حمق أو قرحة في رحله، أوَبالفقر تخوِّفني! قال ابن جابر: فباعها بمال عظيم وفرَّقه، فكان ذلك مع موته، فما وجدنا من ثمنها إلا قدرَ ثمن الكَفَن. [تاريخ دمشق ٦٧/٥٦]



لما ولي عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما ببيت، وكانا فيه شهرًا أو نحوه، ثم إن الخصي غدا عليهما ذات يوم، فقال: إن الأمير داخل عليكما فجاء عمر يتوكأ على عصًا له فسلم ثم جلس معظِّمًا لهما، فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ كتبًا أعرف أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله عَزَّوَجَلَّ، فهل تريا لي في متابعتي

إياه فرجًا؟ فقال الحسن: يا أبا عمرو أجب الأمير، فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبي ما قد سمعت، قال: ما تقوله أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أقول: يا عمر ابن هبيرة، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة، إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عَزَّوَجَلَّ، يا عمر بن هبيرة، لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت فيغلق فيها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة، لقد أدركت ناسًا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارًا من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة، إني أخوفك مقامًا خوفكه الله تعالى فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ يا عمر بن هبيرة، إن تك مع الله تعالى في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه. فبكى عمر وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما وكثر منه ما للحسن وكان في جائزته للشعبي بعض الإقتار، فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن منه شيئًا فجهلته ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه. [حلية الأولياء ٢/١٥٠-١٥١]



قال خارجة بن مصعب: أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم، فدعي ليقبضها، فشاورني، وقال: هذا رجل إن رددتها عليه غضب، وإن قبلتها دخل عليّ في ديني ما أكرهه؟ فقلت: إن هذا المال عظيم في عينه، فإذا دعيت لتقبضها فقل: لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين، فدعي ليقبضها فقال ذلك، فرفع إليه خبره، فحبس الجائزة، فكان أبو حنيفة لا يكاد يشاور في أمره غيري. [تاريخ بغداد ١٥/٤٩٢]



لما مرض سليمان بن عبد الملك بدابق قال لرجاء بن حيوة: من لهذا الأمر بعدي، أستخلف ابني؟ قال: ابنك غائب، قال: فابني الآخر، قال: صغير، قال: فمن ترى؟ قال: أرى أن تستخلف عمر بن عبد العزيز، قال: أتخوف إخوتي لا يرضون، قال: فول عمر ومِن بعده يزيد بن عبد الملك، وتكتب كتابًا وتختم عليه وتدعوهم إلى بيعته مختومًا، قال: لقد رأيت، ائتني بقرطاس، فدعا بقرطاس فكتب فيه العهد ودفعه إلى رجاء وقال: اخرج إلى الناس فليبايعوا على ما فيه مختومًا، فخرج فقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب، قالوا: ومن فيه؟ قال: هو مختوم لا تُخبَرون بمن فيه حتى يموت، قالوا: لا نبايع، فرجع إليه فأخبره، فقال: انطلق إلى صاحب الشرطة والحرس فاجمع الناس ومرهم بالبيعة، فمن أبى فاضرب عنقه، فبايَعوه على ما فيه. [تاريخ الإسلام ٦/٣٨٠]





الاشتغال بما يعني

دُخِل على أبي دجانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مريض، وكان وجهه يتهلَّل، فقيل: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين: أما إحداهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليمًا.

[صفة الصفوة ١/١٨٤]



قال رجل للأحنف بن قيس: بأي شيء بلغت ما بلغت؟ فوالله ما أنت بأشرف قومك ولا أشجعهم ولا أجودهم، فقال يا ابن أخي بخلاف ما أنت فيه، فقال وما خلاف ما أنا فيه؟ قال: تركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك. [الآداب الشرعية ١/٣٥٤]

❁ ❁ ❁

كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبر على باب منزله فتكبر امرأته فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته، فإذا بلغ إلى باب بيته كبر فتجيبه امرأته، فانصرف ذات ليلة فكبر عند باب داره فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبر فلم يجبه أحد، فلما كان في باب بيته كبر فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه، فدخل فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة منكسة تنكت بعود معها. فقال لها ما لك؟ فقالت: أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم

فلو سألته فأخدمَنا وأعطاك، فقال: اللهم من أفسد امرأتي فأعم بصره، قال: وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت: زوجك له منزلة من معاوية، فلو قلت له يسأل معاوية أن يخدمه ويعطيه عشتم، قال: فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها فقالت: ما لسراجكم طفئ؟ قالوا: لا، فعرفت ذنبها، فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عَزَّوَجَلَّ لها يرد عليها بصرها، قال: فرحمها أبو مسلم فدعا الله عَزَّوَجَلَّ لها فرد عليها بصرها، ورجعت امرأته إلى حالها الذي كانت عليه.

[صفة الصفوة ٢/ ٣٧١، مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٦٦]



أتى زيادَ بنَ عبد الرحمن القرطبي كتابٌ من بعض الملوك وعنده قوم جلوس، فكتب فيه ثم طبع الكتاب ونفذ به الرسول، وقال: أتدرون عم سأل صاحب هذا؟ سأل عن كفتي ميزان الأعمال يوم القيامة، من ذهب هي أم من ورِق؟ فكتبت إليه: حدثنا مالك عن ابن شهاب، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. وستَرِد فتعلم.

[ترتيب المدارك ٣/١١٦]

عن محمد بن سليمان القرشي قال: بينا أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقفٍ في الطريق وهو يمجِّد ربه بأبيات من الشعر، فسمعته يقول:

مليك في السماء به افتخاري … عزيز القدر ليس به خفاءُ

فدنوت منه فسلمت عليه فقال: ما أنا برادٍّ عليك حتى تؤدي من حقي

ما يجب لي عليك، قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ﷺ، لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير المِيل والميلين في طلب الضيف، فأجبته إلى ذلك فرحَّب بي، وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر، فلما قربنا من الخيمة صاح يا أختاه فأجابته جارية من الخيمة يا لبيكاه، فقال قومي إلى ضيفنا، فقالت الجارية حتى أبدأ بشكر المولى الذي سبب لنا هذا الضيف، فقامت فصلت ركعتين شكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، فأدخلني الخيمة وأجلسني، وأخذ الغلام الشفرة وأخذ عناقًا ليذبحها، فلما جلستُ في الخيمة نظرت إلى أحسن الناس وجهًا، فكنت أسارقها النظر ففطِنَت ببعض لحظاتي إليها فقالت لي: مه أما علمت أنه قد نُقل إلينا عنه ﷺ أن زنى العينين النظر! أمَا إني ما أردت بهذا أن أوبخك ولكني أردت أن أؤدِّبك لكي لا تعود إلى مثل هذا، فلما كان النوم بتُّ أنا والغلام خارجًا وباتت الجارية في الخيمة، وكنت أسمع دَوِيّ القرآن الليل كلَّه بأحسن صوت يكون وأرقِّه، فلما أصبحتُ قلت للغلام: صوتُ مَن كان ذلك؟ فقال: تلك أختي تحيي الليلَ كلَّه إلى الصباح، فقلت: يا غلام أنت أحقُّ بهذا العمل من أختك، أنت رجل وهي امرأة، قال فتبسَّم وقال لي: ويحك يا فتى أمَا علمت أنه موفَّق ومخذول!. [صفة الصفوة ٢/٣٠٣]





الحلم والأنـاة

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شُبّانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير؟ فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هِيه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافًا عند كتاب الله.

[صحيح البخاري ٦/ ٦٠]



قيل للأحنف بن قيس: ما أحلمَكَ! قال: تَعلّمتُ الحِلْمَ من قيس بن عاصم المِنْقَري، بينا هو قاعدٌ بِفِنائه مُحْتَبٍ بكسائه أتته جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ، وقيل له: هذا ابنك قتله ابن أخيك، فوالله ما حلَّ حَبْوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابنٍ له في المجلس فقال له: قم فأطلِقْ عن ابن عمك، ووارِ أخاك واحمِلْ إلى أمه مائةً من الإبل؛ فإنها غَريبةٌ، ثم أنشأ يقول:

إنـي امــرؤٌ لا شـائـنٌ حَـسَـبي	دنَـــسٌ يُـغـيـرّه ولا أَفْـــنُ
مِـنْ مِـنْـقَـرٍ في بـيـتِ مَـكـرُمـةٍ	والـغـصـن يـنـبُـت حـولـه الغصنُ

خطباءُ حين يقول قائلهم ... بِيضُ الوجوه أعِفَّةٌ لُسْنُ

لا يَفطَنون لعيبِ جارهمُ ... وهمُ لحفظِ جِواره فُطْنُ

ثم أقبل على القاتل فقال: قتلْتَ قرابتك وقطعْتَ رحِمَك وأقلْلْتَ عددك لا يبعد الله غيرك. [عيون الأخبار ١/٣٣١]

كان عند علي بن الحسين قومٌ فاستعجل خادمًا له بشواء كان له في التنور، فأقبل به الخادم مسرعًا وسقط السفود من يده على بني لعلي أسفل الدرجة فأصاب رأسه فقتله، فقال علي للغلام: أنت حر، لم تعمَّده وأخذ في جهاز ابنه. [صفة الصفوة ١/٣٥٧]

كان علي بن الحسين يومًا خارجًا من المسجد فلقيه رجلٌ فسبَّه، فثارت عليه العبيد والموالي فقال علي بن الحسين: مهلًا على الرجل، ثمَّ أقبل عليه فقال له: ما سُتر عنك مِن أمرِنا أكثر، ألكَ حاجةٌ نعينُك عليها؟ فاستحى الرجلُ ورجع إلى نفسِهِ، فألقى عليه ثوبًا كان عليه وأمر له بألفِ درهمٍ. فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنَّك مِن أولادِ الرسل.

[عين الأدب والسياسة ص١٩١]



كان بين حسن بن حسن وبين علي بن الحسين بعضُ الأمر، فجاء حسن إلى علي وهو مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئًا إلا قاله له وعليٌّ ساكت، فانصرف حسن، فلما كان في الليل أتاه في منزله، فقرَع عليه بابه، فخرج إليه،

فقال له علي: يا أخي إن كنت صادقًا فيما قلتَ لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفَر الله لك، السلام عليكم، وولّى، فاتّبعه حسن، فالتزمه مِن خلفه، وبكى حتى رثى له، ثم قال: لا جَرم لا عُدت في أمرٍ تكرهه، فقال علي: وأنت في حِلٍّ مما قلتَ لي. [صفة الصفوة ٢/٤٤٨]



جاء رجلٌ فشتم الأحنفَ بن قيس فسكت عنه، وأعاد فسكت، فقال: والهفاه! ما يمنعه مِن أن يرُدَّ عليّ إلا هواني عليه. [عيون الأخبار ١/٣٢٦]

❁ ❁ ❁

كان أبو بكر النحوي الملقب بالوجيه لا يغضب قط، فتراهن جماعة مع واحدٍ أنه إن أغضبه كان له كذا وكذا، فجاء إليه فسأله عن مسألة في العربية فأجابه فيها بالجواب، فقال له السائل: أخطأت أيها الشيخ، فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى، فقال: كذبت، وما أراك إلا قد نسيت النحو، فقال الوجيه: أيها الرجل، فلعلك لم تفهم ما أقول لك، فقال: بلى، ولكنك تخطئ في الجواب، فقال له: فقل أنت ما عندك لنستفيد منك، فأغلظ له السائل في القول، فتبسّم ضاحكًا وقال له: إن كنت راهنت فقد غُلبت، وإنما مَثَلُك مثل البقّة سقطت على ظهر الفيل فلما أرادت أن تطير، قالت له: استمسك فإني أحبّ أن أطير، فقال لها الفيل: ما أحسستُ بكِ حين سقطتِ، فما أحتاج أن أستمسك إذا طرتِ. [البداية والنهاية ١٣/١٤٤]





اللسان

قال رجل: إن لم أستخرج اليوم من الربيع بن خثيم سيئة لأحد لم أستخرجها أبدًا بحال، قلت: يا أبا يزيد، قُتل ابن فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، قال: فاسترجع ثم تلا هذه الآية ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾، قلت: ما تقول؟ قال: ما أقول؟ إلى الله إيابهم وعلى الله حسابهم. [الزهد للإمام أحمد ١/ ٥٥٣].

❁ ❁ ❁

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز فذكر عنده رجلًا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، إن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إلى مثل ذلك.

[تنبيه الغافلين ص١٧٣]

❁ ❁ ❁

قال الجنيد: كنت بين يدي السَّرِيّ السَّقَطيّ ألعب وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال لي: يا غلام، ما الشكر؟ فقلت: أن لا يعصى الله بنعمه، فقال لي: أخشى أن يكون حظك من الله لسانَك، قال الجنيد: فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السرى لي.

[تاريخ بغداد ٨/١٦٨]

❁ ❁ ❁



قال المطلب بن عكاشة المزني: قدمنا إلى أمير المؤمنين الهادي شهودًا على رجل منا شتم قريشًا، وتخطى إلى ذكر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجلس لنا مجلسًا أحضر فيه فقهاء زمانه ومن كان بالحضرة على بابه، وأحضر الرجل وأحضرنا، فشهدنا عليه بما سمعنا منه، فتغيّر وجه الهادي، ثم نكّس رأسه ورفعه، فقال: إني سمعت أبي المهدي يحدّث عن أبيه المنصور، عن أبيه محمد ابن علي، عن أبيه علي بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «من أراد هوان قريش أهانه الله»، وأنت يا عدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! اضربوا عنقه، فما برحنا حتى قتل. [تاريخ بغداد ١٥/٧]



دخل رجلٌ من الزهاد على هارون الرشيد يومًا، فقال: يا هارون، اتق الله، فأخذه فخلا به، وقال: يا هذا أنصفني، أنا شرٌّ أم فرعون؟ قال: بل فرعون، قال: فأنت خير أم موسى؟ قال: بل موسى، قال: أفما تعلم أن الله تعالى لما بعثه وأخاه إليه قال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾، وقد جبهتني بأغلظ الألفاظ فلا بأدب الله تأدّبتَ ولا بأخلاق الصالحين أخذتَ، قال: أخطأت وأنا أستغفر الله، فقال: غفر الله لك، وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يأخذها. [المنتظم ٣٢٨/٨]





الصــدق

دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال: يا سليمان، من الذي تولى كبره منهم؟ قال: عبد الله بن أبي ابن سلول، قال: كذبت، هو علي، فدخل ابن شهاب، فسأله هشام، فقال: هو عبد الله بن أبي، قال: كذبت، هو علي، فقال: أنا أكذب لا أبا لك! فوالله لو نادى مُنادٍ من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني سعيد وعروة وعبيد وعلقمة بن وقاص عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي. [سير أعلام النبلاء ٥/٣٣٩]

❁ ❁ ❁

قال أبو جعفر المنصور لهشام بن عروة حين دخل عليه: يا أبا المنذر، تذكرُ يوم دخلت عليك أنا وإخوتي الخلائف وأنتَ تشربُ سويقًا بقصبة يَرَاع، فلما خرجنا من عندك قال لنا أبونا: اعرفوا لهذا الشيخ حقّه؛ فإنه لا يزال في قومكم بقيةٌ ما بقي؟ قال: لا أذكرُ ذلك يا أمير المؤمنين، فلمّا خرج هشام قيل له: يذكِّرك أمير المؤمنين ما تَمُتُّ به إليه فتقول: لا أذكره! فقال: لم أكن أذكرُ ذلك، ولم يعوِّدني الله في الصدق إلا خيرًا. [تاريخ بغداد ١٦/٥٦]

❁ ❁ ❁

حُمِل إلى الإمام البخاري بضاعة أنفذها إليه فلان، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة

آلاف درهم، فردَّهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا - يعني الذين طلبوا أول مرة - ودفع بربح خمسة آلاف درهم، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي. [تاريخ بغداد ٢/٣٣٠]

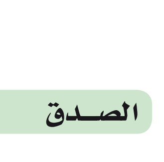


وجّه المتوكل إلى أحمد بن المعذل وغيره من العلماء بجمعهم في داره، ثم خرج عليهم فقام الناس كافة عدا أحمد، فقال المتوكل لعبيد الله: هذا لا يرى بيعتنا؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، ولكن في بصره سوء، يريد العذر عنه، فقال أحمد: يا أمير المؤمنين، ما في بصري سوء ولكن نزهتك من عذاب الله؛ قال النبي ﷺ: **«من أراد أن يمتثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»**. فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه. [ترتيب المدارك ٤/٧]



قال القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز الأنصاري: كنتُ مجاورًا بمكة حرسها الله تعالى، فأصابني يومًا من الأيام جوعٌ شديد لم أجد شيئًا أدفع به عني الجوع، فوجدتُ كيسًا من إبريسم مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحلَلْته فوجدتُ فيه عقدًا من لؤلؤ لم أرَ مثله، فخرجتُ فإذا الشيخ ينادي عليه، ومعَه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول: هذا لمن يَرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به وأرد عليه الكيس، فقُلت له: تعال إليَّ، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس وعلامة

الشرابة وعلامة اللؤلؤ وعَدَدَه والخيط الذي هو مَشدُود به، فأخرجته ودَفعته إليه. فسلم إليّ خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب علي أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاءً، فقال لي: لا بد أن تأخذ، ألح عليَّ كثيرًا فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى. وأما ما كان مني فإني خرجتُ من مكة وركبتُ البحر فانكسر المركب وغرق الناس وهلكت أموالهم وسلمتُ أنا على قطعة من المركب، فبقيت مُدّةً في البحر لا أدري أين أذهب، فوصَلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعَدتُ في بعض المساجد فسمعوني أقرأ فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال: علِّمني القرآن، فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال. ثم إني رأيتُ في ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لي: تحسن تكتب؟ فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنتُ أعلمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير، فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبيّةٌ يتيمة ولها شيء من الدنيا نريد أن تتزوج بها، فامتنعتُ، فقالوا: لا بد، وألزموني، فأجبتهم إلى ذلك، فلما زفوها إليَّ مددتُ عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلَّقًا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه، فقالوا: يا شيخ، كسرتَ قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد ولم تنظر إليها، فقصصتُ عليهم قصة العقد فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلتُ: ما بكم؟ فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدتُ في الدنيا مسلمًا إلا هذا الذي رد عليَّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت، فبقيتُ معها



مدة ورزقتُ منها بولدين. ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة ألف دينار، وهذا المال الذي ترون معي من بقايا ذلك المال. [ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٤٤٣]





المعاصي

سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكانت هممهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وإيثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلًا منهم باستدراج الله وأمنًا لمكره، فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة. فقال له صالح بن علي: يا أمير المؤمنين، إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربًا فيمن معه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر، فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك، فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال: يا أمير المؤمنين، قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لي فافترشته بها وأقمت ثلاثًا، فأتاني ملك النوبة وقد خُبِّر أمرنا، فدخل علي رجل طوال أقنى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب، فقلت: ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟ قال: لأني ملك، وحق على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه. ثم قال لي: لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم؟ قلت: اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأن الملك زال عنا. قال: فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم؟ قلت: يفعل ذلك جهالنا. قال: فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم؟ قلت: ذهب الملك منا وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا. قال: فأطرق مليًّا وجعل

يقلب يديه وينكت في الأرض ويقول: عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا! يردده مرارًا ثم قال: ليس ذلك كما ذكرت، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم، فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم إليه وارتحلوا عن بلدي، ففعلت ذلك. [عيون الأخبار ١/٢٠٤-٢٠٥]



دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك، فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدًا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات، قال: باطل يا أمير المؤمنين، أنبيّ خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ قال بل نبي خليفة، قال: فإن الله يقول لنبيه داود: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾، فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة؛ فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال: إن الناس ليغروننا عن ديننا.

[العقد الفريد ١/٥٧]



وشى رجل ببسر بن سعيد إلى الوليد بن عبد الملك أنه يطعن على الأمراء ويعيب بني مروان، فأرسل إليه والرجل عنده، فجيء به والرجل ترعد

فرائصه، فأدخل عليه، فسأله عن ذلك، فأنكره وقال: ما فعلت، فالتفت إلى الرجل فقال: يا بسر، هذا يشهد عليك فنظر إليه بسر وقال: هكذا؟ فقال: نعم، فنكس رأسه وجعل ينكت في الأرض، ثم رفع رأسه فقال: اللهم قد شهد بما قد علمت أني لم أقله، فإن كنتُ صادقًا فأرني به آية، قال: فانكب الرجل على وجهه، فلم يزل يضطرب حتى مات. [تهذيب الكمال ٧٤/٤]

❁ ❁ ❁

سار الأعمش والنخعي في أحد طرقات الكوفة يريدان الجامع، وبينما هما يسيران في الطريق قال النخعي: يا سليمان، هل لك أن تأخذ طريقًا وآخذ آخر؟ فإني أخشى إن مررنا سويًّا بسفهائها ليقولون: أعور ويقود أعمش!، فيغتابوننا فيأثمون، فقال الأعمش: يا أبا عمران، وما عليك في أن نؤجر ويأثمون؟ فقال إبراهيم النخعي: يا سبحان الله! بل نَسلم ويَسلمون خيرٌ من أن نؤجرَ ويأثمون. [المنتظم ٢٢/٧]



قال عيسى بن حازم: كنا مع إبراهيم بن أدهم في بيتٍ ومعه أصحابٌ له، فأَتَوْا ببطيخ، فجعلوا يأكلون ويمزحون ويترامون بينهم، فدقّ رجل الباب، فقال لهم إبراهيم: لا يتحركن أحد، قالوا: يا أبا إسحاق، تعلّمنا الرياء؟ نفعل في السر شيئًا لا نفعله في العلانية؟ فقال: اسكتوا؛ إني أكره أن يعصى الله فيّ وفيكم. [حلية الأولياء ٩/٨]





قال رجل للحسن البصري: إن فلانًا قد اغتابك!، فبعث إليه طبقًا من الرُّطَب، وقال: بلغني أنك أهديتَ لي حسناتك فأردتُ أن أكافئك عليها، فاعذُرني؛ فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام!. [تنبيه الغافلين ص١٦٤]





الحقائق والأوهام

لما قدم عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الشام عرضت له مخاضة، فنزل عمر عن بعيره ونزع خفيه، ثم أخذ بخطام راحلته وخاض المخاضة، فقال له أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لقد فعلت يا أمير المؤمنين فعلًا عظيمًا عند أهل الأرض: نزعت خفيك وقدمت راحلتك وخضت المخاضة، قال: فصكَّ عمر بيده في صدر أبي عبيدة، فقال: أوّه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، أنتم كنتم أقل الناس فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يُذِلَّكم الله تعالى.

[المستدرك ٣/٨٨]

❁ ❁ ❁

قال جبير بن نفير: لما فتحت قبرص وفرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعضٍ رأيتُ أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يُبكيك في يومٍ أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلقَ على الله إذا هم تركوا أمرَه! بينا هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ لهم الملكُ تركوا أمرَ الله عَزَّوَجَلَّ فصاروا إلى ما ترى. [الزهد للإمام أحمد ١/٢٦٦]



عن الصلت المخزومي قال: قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: دعيت إلى عرس فأتيتهم في ثيابي هذه، فردني البواب فرجعت وأبدلت ثيابي ثم جئت فدخلت،

قال: فأرسل كمه، فقال: كل، كل! فقيل له: سبحان الله، الكم يأكل؟! غفر الله لك، فقال: إنما دُعيَتْ ثيابي هذه. [إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص١٣٠]

❁ ❁ ❁

قال فيض بن إسحاق: كنت عند الفضيل بن عياض إذ دخل رجلٌ فسأله حاجةً وألحَّ في السؤال عليه، فقلتُ: لا تؤذِ الشيخَ، فقال لي الفضيل: اسكت يا فيض، أما علمتَ أنَّ حوائج الناسِ إليكم نعمةٌ مِن الله عليكم، فاحذروا أنْ تملُّوا النعم فتتحوَّل نقمًا، ألا تحمد ربَّك أن جعلك موضعًا تُسْأل، ولم يجعلك موضعًا تَسأل؟!. [عين الأدب والسياسة ص١٨٨]

❁ ❁ ❁

قال معاوية بن قرة: دخلت على مسلم بن يسار، فقلت: ما عندي من كثير عمل، إلا أني أرجو الله عَزَّوَجَلَّ وأخاف منه، فرفع رأسه إليَّ كالمذعور، فقال لي: كيف قلت؟ قال: قلت: ما عندي من كبير عمل، إلا أني أرجو الله عَزَّوَجَلَّ وأخاف منه، قال: فقال: ما شاء الله، ما شاء الله، من خاف من شيء حذر منه، ومن رجا شيئًا طلبه، وما أدري ما حَسْبُ خوفِ عبدٍ عرضت له شهوةٌ فلم يدعها لما يخاف أو ابتلي ببلاء فلم يصبر عليه لما يرجوه؟! قال معاوية: فإذا أنا زكيت نفسي وأنا لا أعلم. [الزهد للإمام أحمد ص٤٢٨]

❁ ❁ ❁

اشترى أصحاب الإمام الشافعي له جارية، فلما كان الليل أقبل على الدرس والجارية تنتظر اجتماعه معها، فلم يلتفت إليها، فلما أصبحت سارت

إلى النخاس وقالت: حبسوني مع مجنون، فبلغ الشافعيَّ قولها، فقال: المجنون من عرف قدر العلم ثم ضيعه، أو توانى فيه حتى فاته.

[الحث على طلب العلم ص ٧٨]



قرأ السري السقطي على مؤدبه: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ فقال: يا أستاذ، ما الورد؟ فقال: لا أدري، فقطع السري القراءة وقال: إذا كنت لا تدري فلم غررت بالناس؟ فضربه المؤدب، فقال السري: يا أستاذ ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى؟ فاستحمله المؤدب وتاب إلى الله تعالى من التأديب، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعتقني من رق الجهل.

[أنباء نجباء الأبناء ص ١٤٦]



قال محمد بن غسان بن عبد الرحمن صاحب صلاة الكوفة: دخلت على والدتي يوم نحر فوجدت عندها امرأة بَرْزة في ثياب رثة، فقالت والدتي: أتعرف هذه؟ قلت: لا، قالت: هذه عتابة أم جعفر البرمكي، فأقبلت عليها بوجهي وأكرمتها، وتحادثنا ساعة ثم قلت: يا أماه، ما أعجب ما رأيت؟ قالت: لقد أتى علي عيد مثل هذا وعلى رأسي أربعمئة وصيفة وإني لأعد ابني عاقًّا لي ولقد أتى علي هذا العيد وما مناي إلا جلد شاتين أفترش أحدهما وألتحف الآخر، قال: فدفعت لها خمسمئة درهم فكادت تموت فرحًا، ولم تزل تختلف إلينا حتى فرق الدهر بيننا.

[الوافي بالوفيات ١١/ ١٢٦]



قال أحمد بن محمد أمير البصرة: حدثني أبي قال: كنت أحد من مرَّض الواثق في علته التي مات فيها، فكنت قائمًا بين يدي الواثق أنا وجماعة من الأولياء والموالي والخدم إذ لحقته غشية فما شككنا أنه قد مات، فقال بعضنا لبعض: تقدموا فاعرفوا خبره، فما جسر أحد منهم يتقدم فتقدمت أنا، فلما صرت عند رأسه وأردت أن أضع يدي على أنفه أعتبر نفسه لحقته إفاقة ففتح عينيه، فكدت أن أموت فزعًا من أن يراني قد مشيت في مجلسه إلى غير رتبتي، فتراجعت إلى خلف وتعلقت قبيعة سيفي بعتبة المجلس وعثرتُ به، فاتكأت عليه فاندق سيفي وكاد أن يدخل في لحمي ويجرحني، فسلمت وخرجت، فاستدعيت سيفًا ومنطقة أخرى فلبستها وجئت حتى وقفت في مرتبتي ساعة، فتلف الواثق تلفًا لم تشك جماعتنا فيه، فتقدمت فشددت لحييه وغمضته وسجيته ووجهته إلى القبلة، وجاء الفراشون فأخذوا ما تحته في المجلس ليردوه إلى الخزائن؛ لأن جميعه مثبت عليهم، وترك وحده في البيت، وقال لي ابن أبي دؤاد القاضي: إنا نريد أن نتشاغل بعقد البيعة ولا بد أن يكون أحدنا يحفظ الميت إلى أن يدفن، فأحب أن تكون أنت ذلك الرجل وقد كنت من أخصهم به في حياته، وذلك أنه اصطنعني واختصني حتى لقبني الواثقيَّ باسمه، فحزنت عليه حزنًا شديدًا، فقلت: دعوني وامضوا، فرددت باب المجلس وجلست في الصحن عند الباب أحفظه، وكان المجلس في بستان عظيمِ أجربة وهو بين بستانين، فحسست بعد ساعة في البيت بحركة أفزعتني، فدخلت أنظر ما هي، فإذا بجرذون من دواب البستان قد جاء حتى

استل عين الواثق فأكلها، فقلت: لا إله إلا الله، هذه العين التي فتحها منذ ساعة فاندق سيفي هيبة لها صارت طعمة لدابة ضعيفة.

[تاريخ بغداد ١٦/ ٢٢]



بعث هارون الرشيد إلى محمد بن السماك في آخر شعبان فأحضره، فقال له يحيى بن خالد: أتدري لم بعث إليك أمير المؤمنين؟ قال: لا أدري، قال له يحيى بن خالد: بعث لما بلغه عنك من حسن دعائك للخاصة والعامة، فقال له ابن السماك: أما ما بلغ أمير المؤمنين عني من ذلك فبستر الله الذي ستره علي، ولولا ستره لم يبق لنا ثناء ولا التقاء على مودة، فالستر هو الذي أجلسني بين يديك يا أمير المؤمنين، إني والله ما رأيت وجهًا أحسن من وجهك، فلا تحرق وجهك بالنار، قال: فبكى هارون بكاء شديدًا، ثم دعا بماء فاستسقى، فأتي بقدح فيه ماء، فقال: يا أمير المؤمنين، أكلمك بكلمة قبل أن تشرب هذا الماء؟ قال: قل ما أحببت، قال: يا أمير المؤمنين، لو منعت هذه الشربة إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتديها بالدنيا وما فيها حتى تصل إليك؟ فقال: نعم، قال: فاشرب ريًّا بارك الله فيك، فلما فرغ من شربه قال له: يا أمير المؤمنين، أرأيت لو منعت إخراج هذه الشربة منك إلا بالدنيا وما فيها، أكنت تفتدي ذلك بالدنيا وما فيها؟ قال: نعم، قال: يا أمير المؤمنين، فما تصنع بشيء شربة ماء خير منه؟ قال: فبكى هارون واشتد بكاؤه، قال: فقال يحيى بن خالد: يا ابن السماك قد آذيت أمير المؤمنين، فقال له: وأنت يا يحيى فلا يغرنك رَفاهِيَة.

[تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٧]



قدم رجل من بني تميم يقال له: صبيغ بن عِسل المدينة وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبعث له وقد أعدَّ له عراجين النخل، فلما دخل عليه جلس، فقال له: من أنت؟ قال: أنا صبيغ، فقال عمر: وأنا عمر عبد الله، ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي. [الإبانة ٢/٦٠٩ – ٦١٠]

❁ ❁ ❁

بلغ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن معضدًا وأصحابًا له خرجوا من الكوفة ونزلوا قريبًا يتعبدون، فأتاهم، فقال لهم: ما حملكم على ما صنعتم؟ قالوا: أحببنا أن نخرج من غُمار الناس نتعبد، فقال عبد الله: لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو؟ وما أنا ببارح حتى ترجعوا.
[الزهد لابن المبارك ص٣٩٠]



قال عمرو بن سلمة الكوفي: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أَخَرَج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت

في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصًى، فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظارَ رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدّوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصًى نَعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدّوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبلَ وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلَى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو بابِ ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا الا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه! إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله، ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج. [سنن الدارمي ١/ ٤٤]



مر خباب بن الأرتّ رضي الله عنه بابنه وهو مع أناس يجادلون في القرآن، فانقلب غضبان فأعد له سوطًا أو خطامًا أو نسعةً، فلما انقلب الفتى وثب

عليه من غير أن يأتيه فضربه ضربًا عنيفًا، فلما رأى الجد من أبيه قال: قد علمت، إنما تريد نفسي، فعلى ماذا؟ فما رد عليه شيئًا فجعل يضربه، فقال: يا أبت، إني لا أعود، فكان إذا مر بهم يدعونه يقول: لا.

[البدع لابن وضاح ١/ ٤٦]



قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه: يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غدًا إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها، أو سنة فلم تحيها؟ فقال له: يا بُنيّ، إن قومك قد شدّوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليّ فتقًا تكثر فيه الدماء، والله لزوالُ الدنيا أهونُ عليّ من أن يهراق في سببي محجمة من دم، أوَما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين؟

[صفة الصفوة ٢/١٣٢]



قال محمد بن علي بن حرب: سمعت أبا داود الطيالسي قال: جهد وكيع أن يسمع من زائدة بن قدامة حديثًا واحدًا، فلم يسمع حتى خرج من الدنيا، قال: فقلت لأبي داود: وكيف سمعت أنت؟ قال: كان يستشهد رجلين عدلين على أن هذا صاحب جماعة وليس بصاحب بدعة، فإذا شهد عدلان حدثه، قال أبو داود: وكنت بمنى وحضر سفيان، فكان يكرمني ويقول: ذاكرني بحديث أبي بسطام، فقلت لسفيان: أحب أن تكلم زائدة في أمري

حتى يحدثني، فجاء إلى زائدة، فقال: يا أبا الصلت، حدث صاحبي هذا؛ فإنه صاحب سنة وجماعة، فقال: نعم يا أبا عبد الله. [الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٣٣]



انصرف الإمام مالك يومًا فلحقه رجل يقال له أبو الجويرية متّهمٌ بالإرجاء، فقال: اسمع مني، قال: احذر أن أشهد عليك، قال: والله ما أريد إلا الحق، فإن كان صوابًا فقل به، أو فتكلم، قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعني، قال: فإن غلبتك؟ قال: اتبعتك، قال: فإن جاء رجل فكلَّمَنا فغلبَنا؟ قال: اتبعناه. فقال مالك: يا هذا، إن الله بعث محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدينٍ واحد وأراك تتنقّل. [سير أعلام النبلاء ٨/١٠٦]

قال المزني: قلت: إن كان أحدٌ يُخرِج ما في ضميري وما تعلّق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرتُ إليه وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد فعلمت أن أحدًا لا يعلم علمَك، فما الذي عندك؟ فغضب ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلت: نعم، قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبَلَغَك أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا، قال: تدري كم نجمًا في السماء؟ قلت: لا، قال: فكوكب منها تعرف جنسه طلوعه أفوله، ممّ خلق؟ قلت: لا، قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟! ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت

فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شيء منه، فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه وتتكلف علم الخالق! إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، فاستدِلّ بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك، فتبتُ.

[سير أعلام النبلاء ١٠/٣١]



قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: كنا نأتي زيد بن صوحان وكان يقول: يا عباد الله، أكرموا وأجملوا، فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين: الخوف والطمع، فأتيته ذات يومٍ وقد كتبوا كتابًا فنسقوا كلامًا من هذا النحو: إن الله ربنا ومحمدًا نبينا والقرآن إمامنا، ومن كان معنا كنا وكنا له، ومن خالفنا كانت يدنا عليه، وكنا وكنا، قال: فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلًا رجلًا، فيقولون: أقررت يا فلان، حتى انتهوا إليّ، فقالوا: أقررت يا غلام؟ قلت: لا، قال: لا تعجلوا على الغلام، ما تقول يا غلام؟ قلت: إن الله قد أخذ علي عهدًا في كتابه، فلن أحدث عهدًا سوى العهد الذي أخذه الله عَزَّوَجَلَّ عليّ! فرجع القوم من عند آخرهم، ما أقرّ به أحدٌ منهم. قال قائل لمطرف: كم كنتم؟ قال: زهاء ثلاثين رجلًا.

[حلية الأولياء ٢/٢٠٤]





فضل العلم وتعظيم العلماء

ركب زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ بركابه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال له: لا تفعل يا ابن عم رسول الله، فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال زيد: أرني يدك، فأخرج يده فقبَّلها زيد وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [المجالسة وجواهر العلم ٤/١٤٧]

❁ ❁ ❁

قال عبد الله بن المبارك: كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا، فجاءت عقربٌ فلدغته ستّ عشرة مرة، ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما فرغ من المجلس وتفرَّق الناس قلت له: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك عجبًا، قال: نعم، أنا صبرتُ إجلالًا لحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [تاريخ دمشق ٣٦/٣١٣]

❁ ❁ ❁

قال الوليد بن مسلم: شيَّعَنا الأوزاعيُّ وقت انصرافنا من عنده فأبعد في تشييعنا حتى مشى معنا فرسخين أو ثلاثة، فقلنا له: أيها الشيخ يصعب عليك المشي على كبر السن، قال: امشوا واسكتوا، لو علمت أن لله طبقةً أو قومًا يباهي الله بهم أو أفضل منكم لمشيت معهم وشيعتهم، ولكنكم أفضل الناس. [تاريخ دمشق ٣٥/١٩١]

❁ ❁ ❁



كان عطاء بن أبي رباح عبدًا أسود لامرأة من أهل مكة، وجاء سليمان ابن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاءٍ هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حوّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما فقال: يا ابنيّ لا تَنِيا في طلب العلم؛ فإني لا أنسى ذلّنا بين يدي هذا العبد الأسود. [صفة الصفوة ٢/٥٢٥]



قال أبو يوسف القاضي: توفي أبي وخلفني صغيرًا في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصّارٍ أخدمه، فكنت أدع القصَّار وأمرّ إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس فأستمع، وكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصَّار، وكان أبو حنيفة يُعنى بي لما يرى من حرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبيّ يتيم لا كسب له وأنا أطعمه من مغزلي، وآمل أنه يكسب دانقًا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُرِّي يا رعناء، ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فانصرفت وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك. ثم لزمته، فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلَّدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدَّم إليَّ هارون فالوذجة بدهن فقال لي هارون: يا يعقوب، كل منه، فليس كل يوم يعمل لنا مثله، فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: ممّ تضحك؟ فقلت: خيرًا، أبقى الله أمير المؤمنين، فقال: لتخبرني وألحَّ عليَّ،

فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فتعجّب من ذلك، وقال: لعمري إن العلم يرفع وينفع دنيا وآخرة، وترحَّم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يرى بعين رأسه. [المنتظم ٩/٧٣]



قدم هارون الرشيد الرّقة، فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك، وتقطَّعت النِّعال وارتفعت الغبرة، وأشرفت أمّ ولد أمير المؤمنين من برجٍ من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالمٌ من أهل خراسان قدِم الرّقة يقال له: عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَطٍ وأعوان. [سير أعلام النبلاء ٨/٣٨٤]

كان مجلس الحسن بن علي بن العباس الملقب نظام الملك عامرًا بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل التديُّن حتى كانوا يشغلونه عن مهمات الدولة، فقال له بعض كتابه: هذه الطائفة من العلماء قد بسطتهم في مجلسك حتى شغلوك عن مصالح الرعية ليلًا ونهارًا، فإن تقدّمتَ أن لا يوصل أحد منهم إلا بإذن، وإذا وصل جلس بحيث لا يضيق عليك مجلسك، فقال: هذه الطائفة أركان الإسلام، وهم جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلست كلًّا منهم على رأسي لاستقللت لهم ذلك. [المنتظم ١٦/٣٠٣]



قال حماد بن الإمام أبي حنيفة: رأيت الحسن بن عمارة وأبي انتهيا إلى قنطرة، فقال له أبي: تقدم، فقال: أتقدم؟ تقدم أنت فإنك أفقهنا وأعلمنا وأفضلنا. [الجامع لأخلاق الراوي ١/١٧١]

❁ ❁ ❁

قال الحسين بن منصور: كنت مع يحيى بن يحيى وإسحاق ابن راهويه يومًا نعود مريضًا، فلما حاذينا الباب تأخر إسحاق، وقال ليحيى: تقدم، فقال يحيى لإسحاق: تقدم أنت، قال: يا أبا زكريا، أنت أكبر مني، قال: نعم أنا أكبر منك، وأنت أعلم مني، فتقدم إسحاق. [الجامع لأخلاق الراوي ١/١٧١]

❁ ❁ ❁

قال أبو عبد الله المعيطي: رأيت أبا بكر ابن عياش بمكة فأتاه سفيان بن عيينة، فبرك بين يديه، فجعل أبو بكر يقول له: يا سفيان، كيف أنت؟ يا سفيان، كيف عيال أبيك؟ قال: فجاء رجل يسأل سفيان عن حديث، فقال سفيان: لا تسألني ما دام هذا الشيخ قاعدًا. [الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٢٠]

❁ ❁ ❁

قال أبو بكر ابن عياش: مات عُمَر بن سعيد أخو سفيان فأتيناه نعزيه، فإذا المجلس غاصٌّ بأهله وفيهم عبد الله بن إدريس، إذ أقبل أبو حنيفة في جماعة معه، فلما رآه سفيان تحرّك من مجلسه ثم قام فاعتنقه، وأجلسه في موضعه وقعد بين يديه، قال أبو بكر: فاغتظت عليه، وقال ابن إدريس: ويحك، ألا ترى؟ فجلسنا حتى تفرق الناس، فقلت لعبد الله بن إدريس: لا تقم حتى

نعلم ما عنده في هذا، فقلت: يا أبا عبد الله، رأيتك اليوم فعلتَ شيئًا أنكرتُه وأنكره أصحابنا عليك، قال: وما هو؟ قلت: جاءك أبو حنيفة فقمت إليه وأجلسته في مجلسك، وصنعت به صنيعًا بليغًا، وهذا عند أصحابنا منكر، فقال: وما أنكرتَ من ذلك؟ هذا رجل من العلم بمكان، فإن لم أقم لعلمه قمتُ لسنه، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه، فأحجمني فلم يكن عندي جواب. [تاريخ بغداد ١٥/٤٦٧]



قال الإمام الشافعي: خرجت من مكة فلزمت هذيلًا في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرتحل برحلتهم وأنزل بنزولهم، فلما أن رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فمر بي رجل من بني عثمان من الزبيريين فقال: يا أبا عبد الله، عز علي أن لا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه فتكون قد سدت أهل زمانك، قال: فقلت: ومن بقي يُقصَد إليه؟ فقيل لي: هذا مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذٍ، قال الشافعي: فوقع في قلبي، فعمدت إلى الموطأ فاستعرتُه من رجلٍ بمكة فحفظته في تسع ليالٍ ظاهرًا، ثم دخلت إلى والي مكة فأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس، فقدمتُ المدينة، وأبلغتُ الكتاب إلى الوالي، فلما أن قرأه قال: والله يا فتى، إنّ مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيًا راجلًا أهونُ عليّ من المشي إلى باب مالك بن أنس؛ فإني لست أرى الذل حتى أقف على بابه، فقلت: أصلح الله الأمير، إن رأى الأمير أن يوجه إليه ليحضر، فقال: هيهات! ليتني

إذا ركبت أنا معك ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا حاجتنا، قال: فواعدته العصر وركبنا جميعًا، فوالله لقد كان كما قال، لقد أصابنا من تراب العقيق، قال: فتقدم رجلٌ فقرع الباب، فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك: إني بالباب، فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقرئك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف، فقال لها: قولي له: معي كتاب والي مكة إليه في حاجةٍ مهمةٍ، قال: فدخلت ثم خرجت وفي يدها كرسيّ، فوضعت، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طُوال مسنون اللحية، فجلس وهو متطلِّس، فدفع الوالي الكتاب من يده، ثم قال: يا سبحان الله، وصار علم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤخذ بالرسائل؟! قال: فرأيتُ الوالي وقد تهيَّبه أن يكلمه، فتقدمتُ إليه فقلتُ له: أصلحك الله إني رجل مطَّلبي ومِن حالي ومِن قصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إليّ ساعةً وكان لمالك فراسة فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: محمد، فقال لي: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي؛ فإنه سيكون لك شأن من الشأن، ثم قال: نعم وكرامة إذا كان غدًا تجيء ويجيء من يقرأ لك الموطأ، فقلت: فإني أقوم بالقراءة، فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهرًا والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكًا وأريد أن أقطع القراءة أعجبه حسن قراءتي وإعرابي، يقول لي: بالله يا فتى زد! حتى قرأته في أيام يسيرة.

[تاريخ دمشق ٥١/٢٨٥]

❁ ❁ ❁

كان إسماعيل بن إسحاق القاضي يشتهي رؤية إبراهيم الحربي، وكان إبراهيم لا يدخل عليه، ويقول: لا أدخل دارًا عليها بواب، فأخبر إسماعيل بذلك، فقال: أنا أدع بابي كبابة الجامع، فجاء إبراهيم إليه، فلما دخل عليه خلع نعليه، فلفهما القاضي في منديل دَبيقيّ وجعلهما في كمه، وجرى بينهما بحث كثير، فلما قام إبراهيم التمس نعليه، فأخرج القاضي النعل من كمه، فقال إبراهيم: غفر الله لك كما أكرمت العلم؛ فلما مات القاضي رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال أجيبت فيّ دعوة إبراهيم الحربي.

[معجم الأدباء ٤٨/١]



عزم علاء الدين الكاساني على العود من حلب إلى بلاده، لأنّ زوجته حثّته على ذلك، فلما علم الملك العادل نور الدّين محمود استدعاه وسأله أن يقيم بحلب، فعرّفه سبب السّفر، وأنه لا يقدر أن يخالف زوجته ابنة شيخه، فاجتمع رأْي الملك وزوجِها الكاسانيِّ على إرسال خادم بحيث لا تحتجب منه ويخاطبها عن الملك فى ذلك، فلما وصل الخادم إلى بابها استأذن عليها، فلم تأذن له، واحتجبت وأرسلت إلى زوجها تقول له: بعُد عهدك بالفقه إلى هذا الحد؟! أما تعلم أنه لا يحل أن ينظر إليّ هذا الخادم؟! وأيّ فرقٍ بينه وبين غيره من الرّجال فى جواز النّظر؟! فعاد الخادم وذكر ذلك لزوجها بحضرة الملك، فأرسلوا إليها امرأة برسالة الملك نور الدين، فخاطبتها فأجابته إلى ذلك، وأقامت بحلب إلى أن ماتت، ثمّ مات زوجها الكاسانيّ بعدها، ودفن عندها.

[طبقات الحنفية ٢٧٨/٢]





قال محمد بن رافع: كنت مع أحمد وإسحاق عند عبد الرزاق، فجاءنا يوم الفطر فخرجنا مع عبد الرزاق إلى المصلى ومعنا ناس كثير، فلما رجعنا دعانا عبد الرزاق إلى الغداء، ثم قال لأحمد وإسحاق: رأيت اليوم منكما عجبًا، لم تكبِّرا! فقال أحمد وإسحاق: يا أبا بكر! كنا ننتظر هل تكبر فنكبر، فلما رأيناك لم تكبر أمسكنا، قال: وأنا كنت أنظر إليكما، هل تكبران فأكبر.

[سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٦]





الإنصــاف

دخل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على غلامٍ له يعلف ناقة، فرأى في علفها شيئًا كرهه، فأخذ بأذن غلامه فعركها، ثم ندم فقال له: خذ بأذني فاعركها فأبى الغلام فلم يدعه حتى أخذ بأذنه، فجعل عثمان يقول له: شد، شد، حتى ظنّ أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ منه، قال عثمان: واهًا لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة. [التبصرة ٢/١٧٣]



قال ابن المبارك: قدمتُ الشام على الأوزاعي، فرأيته ببيروت، فقال لي: يا خراساني، من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يُكنى أبا حنيفة؟ فرجعتُ إلى بيتي، فأقبلتُ على كتب أبي حنيفة، فأخرجتُ منها مسائل من جياد المسائل، وبقيتُ في ذلك ثلاثة أيام، فجئتُ يوم الثالث وهو -أي الأوزاعي- مؤذن مسجدهم وإمامهم والكتاب في يدي، فقال: أي شيء هذا الكتاب؟ فناولته، فنظر في مسألة منها وقَّعتُ عليها قاله النعمان، فما زال قائمًا بعد ما أذَّن حتى قرأ صدرًا من الكتاب ثم وضع الكتاب في كُمِّه ثم أقام وصلى ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها، فقال لي: يا خراساني، مَن النعمان بن ثابت هذا؟ قلتُ: شيخ لقيته بالعراق، فقال: هذا نبيل من المشايخ، اذهب فاستكثر منه، قلتُ: هذا أبو حنيفة الذي نهيتَ عنه، ثم لما اجتمع -الأوزاعي- بأبي حنيفة بمكة جاراه في تلك المسائل، فكشفها له بأكثر مما كتبها ابن المبارك عنه، فلما



افترقا قال الأوزاعي لابن المبارك: غبطتُ الرجل بكثرة علمه ووفور عقله، وأستغفر الله تعالى، لقد كنتُ في غلطٍ ظاهرٍ، الزم الرجل؛ فإنه بخلاف ما بلغني عنه. [تاريخ بغداد ١٣/٣٣٨]



قال عبد الرحمن بن مهدي: كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن وهو على القضاء، فلما وضع السرير جلس وجلس الناس حوله، فسألته عن مسألة فغلط فيها، فقلت: أصلحك الله، القول في هذه المسألة كذا وكذا، إلا أني لم أرد هذه، إنما أردت أن أرفعك إلى ما هو أكبر منها، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه، فقال: إذن أرجع وأنا صاغر إذن أرجع وأنا صاغر، لَأن أكون ذنبًا في الحق أحبُّ إليّ من أن أكون رأسًا في الباطل. [تاريخ بغداد ١٢/٧]

❁ ❁ ❁

قال أبو بكر ابن العربي: أخبرني محمد بن قاسم العثماني غير مرة قال: وصلت الفسطاط مرة، فجئت مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري وحضرت كلامه على الناس، فكان مما قال في أول مجلس جلست إليه: إن النبي ﷺ طلق وظاهر وآلى، فلما خرج تبعته حتى بلغت معه إلى منزله في جماعة، فجلس معنا في الدهليز وعرفهم أمري؛ فإنه رأى إشارة الغربة ولم يعرف الشخص قبل ذلك في الواردين عليه، فلما انفض عنه أكثرهم قال لي: أراك غريبًا، هل لك من كلام؟ قلت: نعم. قال لجلسائه: أفرجوا له عن كلامه، فقاموا وبقيت وحدي معه، فقلت له: حضرت المجلس اليوم متبركًا

بك، وسمعتك تقول: آلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدقت، وطلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدقت، وقلت: وظاهر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا لم يكن ولا يصح أن يكون؛ لأن الظهار منكر من القول وزور، وذلك لا يجوز أن يقع من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فضمني إلى نفسه وقبَّل رأسي، وقال لي: أنا تائب من ذلك، جزاك الله عني من معلم خيرًا. ثم انقلبت عنه وبكرت إلى مجلسه في اليوم الثاني، فألفيته قد سبقني إلى الجامع وجلس على المنبر، فلما دخلت من باب الجامع ورآني نادى بأعلى صوته: مرحبًا بمعلمي، افسحوا لمعلمي، فتطاولت الأعناق إلي وحدَّقَت الأبصار نحوي، وتعرفني يا أبا بكر، يشير إلى عظيم حيائه؛ فإنه كان إذا سلم عليه أحد أو فاجأه خجل لعظيم حيائه واحمرّ حتى كأن وجهه طلي بجُلَّنار، وتبادر الناس إليَّ يرفعونني على الأيدي ويتدافعوني حتى بلغت المنبر، وأنا لعظم الحياء لا أعرف في أي بقعة أنا من الأرض والجامع غاصٌّ بأهله، وأسال الحياء بدني عرقًا، وأقبل الشيخ على الخلق فقال لهم: أنا معلمكم وهذا معلمي؛ لما كان بالأمس قلت لكم: آلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطلق وظاهر، فما كان أحد منكم فقه عني ولا ردّ علي، فاتبعني إلى منزلي وقال لي كذا وكذا -وأعاد ما جرى بيني وبينه-، وأنا تائب عن قولي بالأمس وراجع عنه إلى الحق، فمن سمعه ممن حضر فلا يعول عليه، ومن غاب فليبلغه من حضر، فجزاه الله خيرًا؛ وجعل يحفل في الدعاء والخلق يؤمنون.

[أحكام القرآن ١/٢٤٨-٢٤٩]



قال صاحب أخبار الدول المنقطعة: ومن جملة ما سعى تاج الملك في نظام الملك الوزير أن قال للسلطان: إنه ينفق في كل سنة على أرباب المدارس والرباطات ثلاثمائة ألف دينار، ولو جيّش بها جيشًا لبلغ باب القسطنطينية، فاستحضر النظام واستفسره على الحال، فقال: يا سلطان العالم، إني أنا رجل شيخ، ولو نودي علي لما زادت قيمتي على ثلاثة دنانير، وأنت حدث لو نودي عليك ما زادت قيمتك على ثلاثين دينارًا، وقد أعطاك الله تعالى وأعطاني بك ما لم يعطه أحدًا من خلقه، أفلا نعوضه عن ذلك في حملة دينه وحفظة كتابه ثلاثمائة ألف دينار؟ ثم إنك تنفق على الجيوش المحاربة في كل سنة ستة أضعاف هذا المال، مع أن أقواهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلًا ولا يضرب بسيفه إلا ما قرب منه، وأنا أجيّش لك بهذا المال جيشًا تصل من الدعاء سهامه إلى الغرض لا يحجبها شيء عن الله تعالى، فبكى السلطان وقال: يا أبت، استكثر من الجيش، والأموال مبذولة لك، والدنيا بين يديك.

[وفيات الأعيان ٥/٢٨٧]





قال الحسين بن حربويه: سألت أبا عبيد القاسم بن سلام قلت: أسأل عن مسألتين، قال: ما هما؟ قلت: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ما الأيد؟ قال: القوة، قلت: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ قال: القوة، والأبصار العقول، هكذا يروى في التفسير، قلت: ما بال إحداهما ثبتت فيه الياء والأخرى حذفت؟ قال: عمل الكاتب، فاندفعت أسأل عن مسألة أخرى، قال: قلتَ مسألتين يرحمك الله، قلت: ما أحسب حضر المجلس أحد أبعد منزلًا مني، قال: وإن كان، يرحمك الله، فالصدق. [الجامع لأخلاق الراوي ٣٠٤/١]

❁ ❁ ❁

قال عبدالله بن الإمام أحمد: قلتُ لأبي: ما لك لم تسمع من إبراهيم بن سعد وقد نزل بغداد في جوارك؟ فقال: اعلم يا بني أنه جلس مجلسًا واحدًا وأملى علينا، فلما كان بعد ذلك خرج وقد اجتمع الناس فرأى الشباب تقدموا بين المشايخ فقال: ما أسوأ أدبكم تتقدمون بين يدي المشايخ! لا أحدثكم سنة، فمات ولم يحدث. [أدب الإملاء والاستملاء ص١٢٠]

❁ ❁ ❁

قال الربيع صاحب الإمام الشافعي: جئنا عبد الله بن وهب للسماع واجتمع على بابه خلق كثير، فقام ليفتح، فلما فتح ازدحمنا للدخول فسقط وشج وجهه، فقال: ما هذا إلا الخفّة وقلة الوقار ونحو هذا، والله أسمعتكم



اليوم حرفًا، ثم قعد وقعدنا، فلما رأى ما بنا من الهدوء قال: أين سكينة العلم؟ إنما أنا أكفِّر عن يميني وأسمعكم، فكفّر وأسمعنا. [ترتيب المدارك ٣/ ٢٣٨]



قال محمد بن جعفر من ذرية جعفر بن أبي طالب: كلم صديق لأبي مالكًا في أن أسمع منه، فقال: قل له فليأت، فكنت أختلف إليه، فآتي وأنا مُدِلٌّ بموضعي ونسبي من النبي ﷺ، فأتخطى الناس إلى وسادة مالك وهو عليها متكئ، فما يتزحزح ويريني أنه لم يرني احتقارًا لي، فساءني ذلك منه حتى شكوته بذلك إلى أبي وإلى جماعة أصحابي، فبعثوا إليه يستبطونه في ذلك، ويسألونه إكرامي وأثرتي في المجلس، فقال للرسول: ما هو عندنا وغيره إلا سواء، إنما هي عافاك الله مجالس العلم السابق إليها أحق بها، قال: فجريت والله على ذلك حتى كنت آتي وقد أخذوا المجالس، فما يوسع لي أحد، فأستدني حيث وجدت. [الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٠٥]



قال إسماعيل ابن ابنة السدّي: كنت في مجلس مالكٍ أكتب عنه، فسئل عن فريضةٍ فيها اختلاف بين أصحاب النبي ﷺ فأجاب فيها بجواب زيد بن ثابت، فقلت: فما قال فيها علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود؟ فأومأ إلى الحجبة، فلما هموا بي حاضرتهم وحاضروني فأعجزتهم، وبقيت محبرتي وكتبي بين يدي مالك، فلما أراد أن ينصرف قال له الحجبة: ما نعمل بكتب الرجل ومحبرته؟ قال: اطلبوه ولا تهيجوه بسوء حتى تأتوني به،

فجاؤوا إليّ ورفقوا بي حتى جئت معهم، فقال لي: من أين أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال لي: إن أهل الكوفة قومٌ معهم معرفة بأقدار العلماء، فأين خلّفت الأدب؟ قلت: إنما ذاكرتك لأستفيد، فقال: إن عليًّا وعبد الله لا ينكر فضلهما، وأهل بلدنا على قول زيد، وإذا كنت بين ظهراني قوم فلا تبدأهم بما لا يعرفون فيبدأك منهم ما تكرهه. [تاريخ دمشق ٣١٨/٧١]



قال إدريس بن عبد الكريم: قال لي سلمة بن عاصم: أريد أن أسمع كتاب العدد من خلف، يعني الأحمر، فقلت لخلف، قال: فليجئ، فلما دخل رفعه لأن يجلس في الصدر، فأبى وقال: لا أجلس إلا بين يديك، وقال: هذا حق التعليم، فقال له خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدت أن أرفعه، فأبى وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أُمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه. [الجامع لأخلاق الراوي ١٩٨/١]



قال حمدان ابن الأصبهاني: كنت عند شريك، فأتاه بعض ولد المهدي، فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه، فأعاد عليه فلم يلتفت إليه، فقال: كأنك تستخف بأولاد الخلافة، قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه، فجثا على ركبتيه ثم سأله، فقال شريك: هكذا يطلب العلم. [الجامع لأخلاق الراوي ١٩٨/١]



وكل المأمون الفراء يلقن ابنيه النحو، فلما كان يومًا أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يقدمه ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردًا، فقدماها، وكان المأمون له على كل شيء صاحب، فرُفع ذلك إليه في الخبر، فوجه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له: من أعز الناس؟ قال: ما أعرف أعز من أمير المؤمنين، قال: بلى! من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى رضي كل واحد أن يقدم له فردًا. قال: يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصَا عليها، وقد يروى عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين ركابيهما حين خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر: أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسن منهما؟ قال له: اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل، قال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لومًا وعتبًا، وألزمتك ذنبًا، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما وبيَّنَ عن جوهرهما، وقد ثبتت لي مخيَّلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل -وإن كان كبيرًا- عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه، ووالده، ومعلمه العلم.

[تاريخ بغداد ١٤/١٥٥-١٥٦]





الجد في التعلم

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لما قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم اليوم كثير، قال: واعجبًا لك يا ابن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فيهم؟ قال: فترك ذاك، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تَسفي الريح علي من التراب فيخرج فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك، فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث. فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني. [الجامع لأخلاق الراوي ١/١٥٨-١٥٩]



قال أحمد بن بقي بن مخلد: رحل أبي من مكة إلى بغداد، وكان جل بغيته ملاقاة أحمد بن حنبل، قال: فلما قربت بلغتني المحنة وأنه ممنوع، فاغتممت غمًّا شديدًا فاحتللت بغداد واكتريت بيتًا في فندق ثم أتيت الجامع وأنا أريد أن أجلس إلى الناس، فدفعت إلى حلقة نبيلة، فإذا برجل يتكلم في الرجال، فقيل لي: هذا يحيى بن معين، ففرجت لي فرجة فقمت إليه فقلت: يا أبا زكريا - رحمك الله - رجل غريب ناءٍ عن وطنه يحب السؤال فلا تستجفني، فقال:

قل، فسألت عن بعض من لقيته فبعضًا زكى وبعضًا جرح، فسألته عن هشام بن عمار، فقال لي: أبو الوليد صاحب صلاة دمشق ثقة وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كبر أو متقلدًا كبرًا ما ضره شيئًا لخيره وفضله، فصاح أصحاب الحلقة: يكفيك - رحمك الله - غيرك له سؤال، فقلت وأنا واقف على قدم: اكشف عن رجل واحد: أحمد بن حنبل، فنظر إلي كالمتعجب، فقال لي: ومثلنا نحن نكشف عن أحمد؟ ذاك إمام المسلمين وخيرهم وفاضلهم. فخرجت أستدل على منزل أحمد فدللت عليه، فقرعت بابه، فخرج إلي، فقلت: يا أبا عبد الله رجل غريب نائي الدار، هذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث ومقيد سنة، ولم تكن رحلتي إلا إليك، فقال: ادخل الأصطوان ولا يقع عليك عين، فدخلت، فقال لي: وأين موضعك؟ قلت: المغرب الأقصى، قال: إفريقية؟ فقلت له: أبعد من إفريقية، أجوز من بلدي البحر إلى إفريقية؛ الأندلس، قال: إن موضعك لبعيد، وما كان شيء أحب إلي من أن أحسن عون مثلك، غير أني ممتحن بما لعله قد بلغك، فقلت له: بلى لقد بلغني، وهذا أول دخولي وأنا مجهول العين عندكم، فإن أذنت لي أن آتي كل يوم في زي السُّؤَّال، فأقول عند الباب ما يقوله السؤال فتخرج إلى هذا الموضع، فلو لم تحدثني كل يوم إلا بحديث واحد لكان لي فيه كفاية، فقال لي: نعم، على شرط أن لا تظهر في الحلق ولا عند المحدثين، فقلت: لك شرطك. فكنت آخذ عودًا بيدي وألف رأسي بخرقة مدنسة وآتي بابه فأصيح: الأجر رحمكم الله، والسؤال هناك كذلك، فيخرج إلي ويغلق الباب ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر، فالتزمت ذلك حتى مات الممتحن له

وولي بعده من كان على مذهب السنة، فظهر أحمد وعلت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل، فكان يعرف لي حق صبري، فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي ويقص على أصحاب الحديث قصتي معه، فكان يناولني الحديث مناولة ويقرؤه علي وأقرؤه عليه، واعتللت فعادني في خَلْقٍ معه.

[تاريخ الإسلام ٦/ ٥٢٦-٥٢٧]



ذكر عبد الرزاق أحمدَ بن حنبل، فدمعت عيناه فقال: بلغني أن نفقته نِفدت، فأخذت بيده، فأقمته خلف هذا الباب وأشار إلى بابه وما معي ومعه أحد، فقلت: إنه لا يجتمع عندنا دنانير، وإذا بعنا الغلة شغلناها في شيء، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها، فأرجو أن لا تنفقها حتى يتهيأ عندنا شيء، فقال لي: يا أبا بكر، لو قبلت شيئًا من الناس قبلت منك.

[صفة الصفوة ١/ ٤٨١]



لما قرأ أبو الحسين أحمد بن محمد النوري القرآن ألزمه أبوه أن يكون معه في الدكان، فكان إذا أصبح أخذ روز مانجا ودواة، وذهب يسأل عن علم ما جهل من كتاب الله تعالى، ويكتب ما يقال له، ثم يأتي أباه فيزجره عن غيابه، ويتهدده وربما ضربه، وإذا بعثه في حاجة أخذ ألواحه معه، فيسأل من مرّ به من أهل العلم، وربما ضربه أبوه على ذلك أحيانًا. فقال له أبوه يومًا: ليت شعري ما تريد بعلمك هذا؟ قال: أريد أن أعرف الله تعالى، وأتعرف عليه. فقال: كيف تعرفه؟ قال: أعرفه بتفهم أمره ونهيه! قال: وكيف تتعرف إليه؟

قال: أتعرف إليه بالعمل بما علمني. فقال له أبوه: لا أعرض لك في أمرك ما بقيت.

[أنباء نجباء الأبناء ص١٥٦]



جمعت الرحلة بين محمد بن جرير ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم وأضرّ بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزلٍ كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة، قال: فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع وخصيّ من قِبَل والي مصر يدقّ الباب، ففتحوا الباب فنزل عن دابته، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو هذا، فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا يصلي، فلما فرغ دفع إليه الصرة، وفيها خمسون دينارًا، ثم قال: إن الأمير كان قائلًا بالأمس فرأى في المنام خيالًا قال: إن المحامد طووا كشحهم جياعًا، فأنفذ إليكم هذه الصرار، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليّ أمدكم.

[تاريخ بغداد ٢/٥٤٨]

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعتُ أبي يقول: بقيت بالبصرة في سنة أربع عشرة ومائتين ثمانية أشهر، وكان في نفسي أن أقيم سنة فانقطع نفقتي، فجعلت أبيع ثيابي شيئًا بعد شيء حتى بقيت بلا نفقة، ومضيتُ أطوف مع صديقٍ لي إلى المشيخة وأسمع منهم إلى المساء، فانصرف رفيقي ورجعتُ إلى بيتٍ خالٍ، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت من الغد، وغدا عليّ رفيقي، فجعلتُ أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، فانصرف عني وانصرفت جائعًا، فلما كان من الغد غدا عليّ، فقال: مر بنا إلى المشايخ، فقلت: أنا ضعيف لا يمكنني، قال: ما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمري قد مضى يومان ما طعمت فيهما، فقال لي رفيقي: معي دينار فأنا أواسيك بنصفه، وتجعل النصف الآخر في الكراء، فخرجنا من البصرة، وقبضت منه النصف دينار.

[تاريخ بغداد ٢/٤١٤]



قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: كنا بمصرَ سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، كُلُّ نهارِنا مقسّم لمجالس الشّيوخ وبالليل النَّسْخ والمقابلة، فأتينا يومًا أنا ورفيق لي شيخًا، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتْنا فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت حضر وقتُ مجلسٍ فلم يُمْكِنَّا إصلاحُه ومضَيْنا إلى المجلس، فلم نَزَلْ حتى أتى عليه ثلاثة أيام وكاد أن يتغير، فأكلناه نيًّا، لم يكن لنا فراغٌ أن نعطيه من يشويه. ثم قال: لا يُستطاعُ العلمُ براحةِ الجسد.

[سير أعلام النبلاء ١٣/٢٦٦]



قال أبو حاتم الرازي: سألنا عبد الله بن مسلمة القعنبي أن يقرأ لنا الموطأ، فقال: ائتوا بالغداة، فقلنا: إنا نجلس عند الحجاج ابن الشاعر، قال: فإذا فرغتم، قلنا: نأتي مسلم بن إبراهيم، قال: فإذا فرغتم، قلنا: يكون وقت الظهر ونأتي أبا حذيفة النهدي، قال: فبعد العصر، قلنا: نأتي حازم بن محمد الغفاري، قال: فبعد المغرب، فكنا نأتيه ليلًا فيخرج وعليه لبد ماتحته شيء في الصيف في الحر الشديد، فيقرأ لنا وهو على جسده، ولو أراد لأُعطي الكثير.

[ترتيب المدارك ٣/١٩٩]



قال الحافظ ابن القيسراني: أقمت بتنيس مدة على أبي محمد ابن الحداد ونظرائه، فضاق بي فلم يبق معي غير درهم، وكنت أحتاج إلى حبر وكاغد، فترددت في صرفه في الحبر أو الكاغد أو الخبز، ومضى على هذا ثلاثة أيام لم أطعم فيها، فلما كان بكرة اليوم الرابع قلت في نفسي: لو كان لي اليوم كاغد لم يمكني أن أكتب من الجوع، فجعلت الدرهم في فمي وخرجت لأشتري خبزًا، فبلعته ووقع علي الضحك، فلقيني صديق وأنا أضحك، فقال: ما أضحكك؟ قلت: خير، فألح علي وأبيت أن أخبره فحلف بالطلاق لتصدقني فأخبرته، فأدخلني منزله وتكلف أطعمة، فلما خرجنا لصلاة الظهر اجتمع به بعض وكلاء عامل تنيس ابن قادوس، فسأله عني فقال: هو هذا، قال: إن صاحبي منذ شهر أمر بي أن أوصل إليه كل يوم عشرة دراهم قيمتها ربع دينار وسهوت عنه، فأخذ منه ثلاث مائة وجاء بها.

[سير أعلام النبلاء ١٩/٣٦٧]



قال القاضي أبو الحسن الدامغاني: كنت في صبوتي متشاغلًا بالبطالة غير ملتفت إلى العلم، فأحضرني أبي وقال لي: يا بني، لست أبقى لك أبدًا، فخذ عشرين دينارًا وافتح لك دكان خباز وتكسب، فقلت له: ما هذا الكلام؟ قال: فافتح دكان بزاز، فقلت: كيف تقول لي هذا وأنا ابن قاضي القضاة عبد الله الدامغاني؟ قال: فما أراك تطلب العلم، فقلت: اذكر لي الدرس الساعة، فذكر لي فأقبلت على الاشتغال بالعلم، واجتهدت ففتح الله تعالى عليّ.

[نصيحة الولد لابن الجوزي ص٧]



قال أبو بكر ابن العربي: كان أبو الفضل المراغي يقرأ بمدينة السلام، فكانت الكتب تأتي إليه من بلده فيضعها في صندوق ولا يقرأ منها واحدًا مخافة أن يطلع فيها على ما يزعجه أو يقطع به عن طلبه، فلما كان بعد خمسة أعوام وقضى غرضًا من الطلب وعزم على الرحيل شد رحله وأبرز كتبه وأخرج تلك الرسائل وقرأ منها ما لو أن واحدة منها قرأها في وقت وصولها ما تمكن بعدها من تحصيل حرف من العلم، فحمد الله تعالى ورحَّل على دابته قُماشهُ وخرج إلى باب الحلبة طريق خراسان، وتقدمه الكري بالدابة، وأقام هو على فامي يبتاع منه سفرته؛ فبينما هو يحاول ذلك معه إذ سمعه يقول لفامي آخر: أي فُلُ، أما سمعت العالم يقول يعني الواعظ: إن ابن عباس يُجوِّز الاستثناء ولو بعد سنة، لقد اشتغل بالي بذلك منه منذ سمعته يقوله وظللت فيه متفكرًا؛ ولو كان ذلك صحيحًا لما قال الله تعالى لأيوب: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾، وما الذي كان يمنعه من أن يقول حينئذ: قل



إن شاء الله؟ فلما سمعته يقول ذلك قلت: بلد يكون الفاميون به من العلم في هذه المرتبة أخرج عنه إلى المراغة؟ لا أفعله أبدًا؛ واقتفى أثر الكري وحلله من الكراء وصرف رحله، وأقام بها حتى مات. [أحكام القرآن ٢/١٥٤]



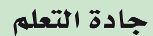


جادة التعلم

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: قدم على عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رجل فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقلت: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، فزبرني عمر ثم قال: مه، فانطلقت إلى منزلي مكتئبًا حزينًا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا بمنزلة ولا أراني إلا قد سقطت من نفسه، فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، فبينا أنا على ذلك قيل لي: أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو قائم على الباب يتنظرني، فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفًا؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إن كنت أسأت فإني أستغفر الله وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت، قال: لتخبرني، قلت: متى ما يسارعوا هذه المسارعة يحتقُّوا ومتى ما يحتقوا يختصموا ومتى ما اختصموا يختلفوا ومتى ما يختلفوا يقتتلوا، قال: لله أبوك، لقد كنت أكتمها الناس حتى جئت بها. [سير أعلام النبلاء ٣ /٣٤٩]



قال رؤبة بن العجاج: أتيت النسابة البكري، فقال لي: من أنت؟ قلت: رؤبة بن العجاج، قال: قصرت وعرّفت، فما جاء بك؟ قلت: طلب العلم، قال: لعلك من قومٍ أنا بين أظهرهم إن سكتُّ لم يسألوني وإن تكلمت لم يعوا عني؟ قلت: أرجو أن لا أكون منهم، قال: أتدري ما آفة المروءة؟



قلت: لا، فأخبرني، قال: جيران السوء إن رأوا حسنًا دفنوه وإن رأوا سيئًا أذاعوه، ثم قال لي: يا رؤبة، إن للعلم آفة وهُجنة ونكدًا، فآفته النسيان، وهجنته أن تضعه عند غير أهله، ونكده الكذب فيه.

[جامع بيان العلم وفضله ١/٤٤٩-٤٥٠]



قال أبو العيناء محمد بن القاسم: أتيتُ عبد الله بن داود الخريبي، فقال: ما جاء بك؟ قلت: الحديث، قال: اذهب فتحفَّظ القرآن، قلت: قد حفظتُ القرآن، قال: اقرأ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾، فقرأتُ العشر حتى أنفدته، فقال لي: اذهب الآن فتعلم الفرائض، قلت: قد تعلمتُ الصُّلبَ والجدَّ والكبر، قال: فأيما أقرب إليك: ابن أخيك أو ابن عمك؟ قلت: ابن أخي، قال: ولِمَ؟ قال: لأن أخي من أبي، وعمى من جدي، فقال: اذهب الآن فتعلم العربية، قلت: علمتها قبل هذين، قال: فلم قال عمر بن الخطاب، يعني حين طعن: يا لَله لِلمسلمين لم فتح تلك وكسر هذه؟ قلت: فتح تلك اللام على الدعاءِ وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار، فقال: لو حدثتُ أحدًا حدثتُك.

[تاريخ بغداد ٤/٢٨٤]



قال ابن أبي الحواري: أتينا فضيل بن عياض سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة، فوقفنا على الباب فلم يأذن لنا بالدخول، فقال بعضهم: إن كان خارجًا لشيءٍ فسيخرج لتلاوة القرآن، فأمَرْنا قارئًا فقرأ، فاطَّلع علينا من كَوّة، فقلنا: السلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليكم السلام، فقلنا: كيف

أنت يا أبا علي؟ وكيف حالك؟ فقال: أنا من الله في عافية ومنكم في أذى، وإن ما أنتم فيه حدثٌ في الإسلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما هكذا يطلب العلم، ولكنا كنَّا نأتي المسجد فلا نرى أنفسنا أهلًا للجلوس معهم في الحِلَق فنجلس دونهم ونسترق السمع، فإذا مرَّ الحديث سألناهم إعادته وقيدناه، وأنتم تطلبون العلم بالجهل، وقد ضيَّعتم كتاب الله، ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون. قلنا: قد تعلمنا القرآن. قال: إن في تعليمكم القرآن شغلًا لأعماركم وأعمار أولادكم، قلنا: كيف يا أبا علي؟ قال: لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة. ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾.

[التذكار لأفضل الأذكار للقرطبي ص٦٩]



كان أبو يوسف مريضًا شديد المرض، فعاده الإمام أبو حنيفة مرارًا، فصار إليه آخر مرة فرآه ثقيلًا فاسترجع ثم قال: لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين، ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير، ثم رزق العافية وخرج من العلة، فأخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه، فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلسًا في الفقه وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة، فسأل عنه فأخبر أنه قد عقد لنفسه مجلسًا وأنه قد بلغه

كلامك فيه، فدعا رجلًا كان له عنده قدر، فقال: صر إلى مجلس يعقوب فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوبًا ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: ما لك عندي شيء وأنكره، ثم إن رب الثوب رجع إليه فدفع إليه الثوب مقصورًا، أله أجرة؟ فإن قال: له أجرة، فقل: أخطأت، وإن قال: لا أجرة له، فقل: أخطأت، فصار إليه، فسأله فقال أبو يوسف: له الأجرة، فقال: أخطأت، فنظر ساعة، ثم قال: لا أجرة له، فقال: أخطأت، فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة، فقال له: ما جاء بك إلا مسألة القصار؟ قال: أجل، قال: سبحان الله، من قعد يفتي الناس وعقد مجلسًا يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات؟ فقال: يا أبا حنيفة، علّمني، فقال: إن كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة له؛ لأنه قصره لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة؛ لأنه قصره لصاحبه، ثم قال: من ظن أنه يستغني عن التعلّم فليبك على نفسه.

[تاريخ بغداد ١٥/٤٧٨-٤٧٩]



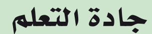
قال أبو جعفر القطيعي: دخلت على أبي عبد الله -يعني الإمام أحمد-، فقلت: أتوضأ بماء النورة؟ قال: ما أحب ذلك، قلت: أتوضأ بماء الباقِلَاء؟ قال: ما أحب ذلك، قلت: أتوضأ بماء الورد؟ قال: ما أحب ذلك، قال: فقمت، فتعلق بثوبي ثم قال: أيش تقول إذا دخلت المسجد؟ فسكتُّ، فقال: وأيش تقول إذا خرجت من المسجد؟ فسكت، فقال: اذهب فتعلم هذا.

[طبقات الحنابلة ١/٤١]

قال المزني: كنت أنظر في الكلام قبل أن يَقدَم الشافعي، فلما قدم أتيته فسألته عن مسألةٍ من الكلام، فقال لي: تدري أين أنت؟ قلت: نعم، في مسجد الفسطاط، قال لي: أنت في تاران -تاران موضع في بحر القلزم لا تكاد تسلم منه سفينة- ثم ألقى عليّ مسألة في الفقه فأجبتُ، فأدخل شيئًا أفسد جوابي، فأجبتُ بغير ذلك، فأدخل شيئًا أفسد جوابي، فجعلتُ كلما أجبتُ بشيء أَفسَده، ثم قال لي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا، فكيف الكلام في رب العالمين، الذي فيه الزلل كثير؟ فتركت الكلام، وأقبلت على الفقه. [سير أعلام النبلاء ١٠/٢٥]



قال ياقوت الحموي: وإليها -يعني مدينة مرو- ينسب عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله أبو بكر القفّال المروزي وحيد زمانه فقهًا وعلمًا، رحل إلى الناس وصنّف وظهرت بركته، وهو أحد أركان مذهب الشافعي، وتخرّج به جماعة وانتشر علمه في الآفاق، وكان ابتداء اشتغاله بالفقه على كبر السن، حدثني بعض فقهاء مرو بفنين من قراها أن القفّال الشاشي صنع قفلًا ومفتاحًا وزنه دانق واحد، فأعجب الناس به جدًّا وسار ذكره وبلغ خبره إلى القفّال هذا، فصنع قفلًا مع مفتاحه وزنه طسّوج، وأراه الناس فاستحسنوه ولم يشع له ذكر، فقال يومًا لبعض من يأنس إليه: ألا ترى كلّ شيء يفتقر إلى الحظ؟ عمل الشاشي قفلًا وزنه دانق وطنّت به البلاد، وعملت أنا قفلًا بمقدار ربعه ما ذكرني أحد! فقال له: إنما الذكر بالعلم لا بالأقفال، فرغب



في العلم واشتغل به وقد بلغ من عمره أربعين سنة، وجاء إلى شيخ من أهل مرو وعرّفه رغبته فيما رغب فيه، فلقّنه أول كتاب المزني، وهو: «هذا كتاب اختصرته»، فرقي إلى سطحه وكرّر عليه هذه الثلاثة ألفاظ من العشاء إلى أن طلع الفجر، فحملته عينه فنام ثم انتبه وقد نسيها، فضاق صدره وقال: أيش أقول للشيخ؟ وخرج من بيته فقالت له امرأة من جيرانه: يا أبا بكر لقد أسهرتنا البارحة في قولك: «هذا كتاب اختصرته»، فتلقّنها منها وعاد إلى شيخه وأخبره بما كان منه، فقال له: لا يصدّنّك هذا عن الاشتغال؛ فإنك إذا لازمت الحفظ والاشتغال صار لك عادة، فجدّ ولازم الاشتغال حتى كان منه ما كان، فعاش ثمانين سنة أربعين جاهلًا وأربعين عالمًا.

[معجم البلدان ٥/١١٦]





لغة العرب

دخل رجل على عبد العزيز بن مروان يشكو صهرًا له، فقال: إنّ ختني فعل بي كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: من خَتَنَك؟ فقال له: خَتَنَني الختّان الذي يختن الناس، فقال عبد العزيز لكاتبه: ويحك، ما أجابني، فقال له: أيها الأمير، إنك لحنتَ وهو لا يعرف اللحن، كان ينبغي أن تقول له: من خَتَنُك، فقال عبد العزيز: أراني أتكلم بكلامٍ لا يعرفه العرب، لا شاهدتُ الناس حتى أعرفَ اللحن. فأقام في البيت جمعة لا يظهر ومعه من يعلّمه العربية، فصلى بالناس الجمعة وهو من أفصح الناس. [المنتظم ٦/٢٦٤]



يحكى عن الأصمعي أنه قال: مررت بالبادية، فوجدت امرأة حسنة تنزع من بئر وتنشد: [من الرجز]

أستغفر الله لذنبي كلِّهِ	قتلت إنسانا لغير حِلِّهِ
مثل غزال كانس في ظلِّهِ	وقد مضى الليل ولم أملِّهِ

والخمر مفتاح لهذا كُلِّهِ

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك وأبلغك! فقالت: وهل ترك القرآن لذي فصاحة بلاغة؟! فقلت لها: أتقرءين القرآن؟ قالت: نعم، وأعرف آية جمعت أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، فقلت: وما هي؟ قالت: قوله تعالى:



﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾. [قلادة النحر ٢/ ٤٢٣]



قال ابن بكير النحوي: لما قدم الحسن بن سهل العراق أحب أن يجمع بين جماعة من أهل الأدب، فأحضر أبا عبيدة والأصمعي ونصر بن علي الجهضمي وحضرت معهم، فابتدأ الحسن فنظر في رقاع كانت بين يديه للناس في حاجاتهم فوقَّع عليها، وكانت خمسين رقعة، ثم أمر فدفعت إلى الخازن، ثم أفضنا في ذكر الحفاظ، فذكرنا جماعة، فالتفت أبو عبيدة وقال: ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى؟! هاهنا من يقول: إنه ما قرأ كتابًا قط فاحتاج إلى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء وخرج عنه! فالتفت الأصمعي، فقال: إنما يريدني بهذا القول، والأمر في ذلك على ما حكى، وأنا أقرب إليه: قد نظر الأمير في خمسين رقعة، وأنا أعيد ما فيها وما وقَّع به على رقعة رقعة، فأحضرت الرقاع، فقال الأصمعي: سأل صاحب الرقعة الأولى كذا واسمه كذا ووقع له بكذا، والرقعة الثانية والثالثة، حتى مر في نيف وأربعين رقعة! فالتفت إليه نصر بن علي الجهضمي، وقال: أيها الرجل، أبق على نفسك من العين، فكف الأصمعي. [نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١/ ٩٨]

❁ ❁ ❁

قال الوزير أبو بكر ابن الوزير أبي مروان ابن زهر: بينا أنا قاعد في دهليز دارنا وعندي رجل ناسخ أمرته أن يكتب لي كتاب الأغاني، فجاء الناسخ

بالكراريس التي كتبها؛ فقلت له: أين الأصل الذي كتبت منه لأقابل معك به؟ قال: ما أتيت به معي؛ فبينا أنا معه في ذلك إذ دخل الدهليز علينا رجل بَذُّ الهيئة، عليه ثياب غليظة أكثرها صوف، وعلى رأسه عمامة قد لاثها من غير إتقان لها، فحسبته لما رأيته من بعض أهل البادية، فسلم وقعد وقال لي: يا بني، استأذن لي على الوزير أبي مروان، فقلت له: هو نائم -هذا بعد أن تكلفت جوابه غاية التكلف، حملني على ذلك نزوة الصِّبا وما رأيت من خشونة هيئة الرجل- ثم سكت عني ساعة وقال: ما هذا الكتاب الذي بأيديكما؟ فقلت له: ما سؤالك عنه؟ فقال: أحب أن أعرف اسمه؛ فإني كنت أعرف أسماء الكتب، فقلت: هو كتاب الأغاني، فقال: إلى أين بلغ الكاتب منه؟ قلت: بلغ موضع كذا، وجعلت أتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قالبه، فقال: وما لكاتبك لا يكتب؟ قلت: طلبت منه الأصل الذي يكتب منه لأعارض به هذه الأوراق فقال: لم أجئ به معي، فقال: يا بني، خذ كراريسك وعارض، قلت: بماذا؟ وأين الأصل؟ قال: كنت أحفظ هذا الكتاب في مدة صباي، فتبسمت من قوله، فلما رأى تبسمي قال: يا بني، أمسك علي، فأمسكت عليه وجعل يقرأ، فوالله إن أخطأ واوًا ولا فاء، قرأ هكذا نحوًا من كراستين، ثم أخذت له في وسط السِّفْر وآخره، فرأيت حفظه في ذلك كله سواء فاشتد عجبي، وقمت مسرعًا حتى دخلت على أبي، فأخبرته بالخبر ووصفت له الرجل، فقام كما هو من فوره وكان ملتفًّا برداء ليس عليه قميص وخرج حاسر الرأس حافي القدمين لا يرفُق على نفسه وأنا بين يديه وهو يوسعني لومًا، حتى ترامى على الرجل وعانقه، وجعل يقبل

رأسه ويديه ويقول: يا مولاي، اعذرني، فوالله ما أعلمني هذا الجِلْفُ إلا الساعة، وجعل يسبني والرجل يُخفِّض عليه ويقول: ما عرفني، وأبي يقول: هَبْهُ ما عرفك فما عذره في حسن الأدب؟ ثم أدخله الدار وأكرم مجلسه وخلا به فتحدثا طويلًا، ثم خرج الرجل وأبي بين يديه حافيًا حتى بلغ الباب، وأمر بدابته التي يركبها فأسرجت، وحلف عليه ليركبنَّها ثم لا ترجع إليه أبدًا، فلما انفصل قلت لأبي: من هذا الرجل الذي عظمته هذا التعظيم؟ قال لي: اسكت ويحك! هذا أديب الأندلس وإمامها وسيدها في علم الآداب، هذا أبو محمد عبد المجيد ابن عبدون، أيسر محفوظاته كتاب الأغاني، وما حِفظه في ذكاء خاطره وجودة قريحته؟!

[المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص٦٩-٧٠]



قال ابن مرزوق التلمساني: حضرت مجلس شيخنا العلّامة نخبة الزمان ابن عرفة أول مجلس حضرته، فقرأ ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ فجرى بيننا مذاكرة رائقة وأبحاث حسنة فائقة، منها: أنه قال: قرئ «يعشو» بالرفع و«نقيِّض» بالجزم، ووجهها أبو حيان بكلام ما فهمته، وذكر في النسخة خللًا وذكر بعض ذلك الكلام، فاهتديت إلى تمامه فقلت: يا سيدي، معنى ما ذكر أن جزم «نقيِّض» بمَن الموصولة لشبهها بالشرطية لما تضمنتها من معنى الشرط، وإذا كانوا يعاملون الموصول الذي لا يشبه لفظه لفظ الشرط بذلك فما يشبه لفظه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة، فوافق وفرح، كما أن الإنصاف كان طبعه، وعند ذلك أنكر عليّ جماعة من أهل المجلس وطالبوني بإثبات

معاملة الموصول معاملة الشرط، فقلت لهم: نصهم على دخول الفاء في خبر الموصول في نحو الذي يأتيني فله درهم من ذلك، فنازعوني في ذلك، وكنت حديث عهد بحفظ التسهيل، فقلت: قال ابن مالك فيما يشبه المسألة: وقد يجزمه متسبب عن صلة الذي تشبيهًا بجواب الشرط. وأنشدت من شواهد المسألة قول الشاعر:

كذاك الذي يبغي على الناس ظالمًا　　تصبه على رغمٍ عواقب ما صنع

فجاء الشاهد موافقًا للحال.

[نيل الابتهاج ص٥٠٨-٥٠٩]





التفقــه

قال الحسن البصري: بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا ﷺ إذ قال له رجل: يا أبا نجيد، حدثنا بالقرآن، فقال له عمران: أنت وأصحابك يقرؤون القرآن، أكنت محدثي عن الصلاة وما فيها وحدودها؟ أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟ ولكن قد شهدتُ وغبت أنت، ثم قال: فرض علينا رسول الله ﷺ في الزكاة كذا وكذا، وقال الرجل: أحييتني أحياك الله. قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين. [المستدرك على الصحيحين ١/١٩٢]



قال محمد بن كثير بن مروان الفهري: رأيتُ الأوزاعي في صحن بيت المقدس وقد أتى جُبًّا من جِبابه فاستقى دلوًا من ماء، فوضعه وجلس يتوضأ منه، فقال له بعض المارة: يا شيخ أما تخاف الله، تتوضأ في المسجد؟ فقال له الأوزاعي: تفقه في الدين ثم أفت. [تاريخ بغداد ٤/٣١٦]



قال الإمام أبو حنيفة: كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغًا يُشار إليّ فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان، فجاءتني امرأة يومًا فقالت لي: رجل له امرأة أمة أراد أن يطلقها للسنة، كم يطلقها؟ فلم أدرِ ما أقول، فأمرتها أن تسأل حمادًا ثم ترجع تخبرني، فسألته

فقال: يطلّقها وهي طاهرٌ من الحيض والجماع تطليقة ثم يتركها حتى تحيض حيضتين فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج، فرجعت فأخبرتني، فقلت: لا حاجة لي في الكلام، وأخذت نعلي فجلست إلى حماد، فكنت أسمع مسائله، فأحفظ قوله، ثم يعيدها من الغد، فأحفظها ويخطئ أصحابه، فقال: لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة، فصحبته عشر سنين، ثم نازعتني نفسي الطلب للرياسة، فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقةٍ لنفسي فخرجت يومًا بالعشي وعزمي أن أفعل، فلما دخلت المسجد فرأيته لم تطب نفسي أن أعتزله، فجئت فجلست معه، فجاءه في تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة، وترك مالًا وليس له وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه، فما هو إلا أن خرج حتى وردت عليّ مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين ثم قدم، فعرضت عليه المسائل وكانت نحوًا من ستين مسألة، فوافقني في أربعين وخالفني في عشرين، فآليت على نفسي أن لا أفارقه حتى يموت، فلم أفارقه حتى مات. [سير أعلام النبلاء ٦/٣٩٧]

❁ ❁ ❁

كان الإمام الشافعي في مجلس الإمام مالك بن أنس وهو غلام، فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه، فقال: إني حلفت بالطلاق الثلاث إن هذا البلبل لا يهدأ من الصياح، فقال له مالك: قد حنثت، فمضى الرجل، فالتفت الشافعي إلى بعض أصحاب مالك فقال: إن هذه الفتيا خطأ، فأُخبر مالك بذلك، وكان مالك مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يرادّه، وربما جاء صاحب

الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس في مجلسه، فقالوا لمالك: إن هذا الغلام يزعم أن هذه الفتيا إغفال وخطأ! فقال له مالك: من أين قلت هذا؟ فقال له الشافعي أليس أنت الذي رويت لنا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أبا جهم ومعاوية خطباني، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له**». فهل كانت عصا أبي جهم دائمًا على عاتقه؟ وإنما أراد من ذلك الأغلب، فعرف مالك محل الشافعي ومقداره. قال الشافعي: فلما أردت أن أخرج من المدينة جئت إلى مالك فودعته، فقال لي مالك حين فارقته: يا غلام، اتق الله تعالى ولا تطفئ هذا النور الذي أعطاكه الله بالمعاصي.

[حياة الحيوان الكبرى١/٢٢٦]



قال محمد بن سماعة: كنت أدعو عيسى بن أبان أن يأتي محمد بن الحسن، فيقول: هؤلاء قوم يخالفون الحديث، وكان عيسى حسن الحفظ للحديث، فصلى معنا يومًا الصبح، وكان يومَ مجلس محمد، فلم أفارقه حتى جلس في المجلس، فلما فرغ محمد أدنيته إليه وقلت: هذا ابن أخيك أبانِ بنِ صدقة الكاتب ومعه ذكاءٌ ومعرفة بالحديث، وأنا أدعوه إليك فيأبى ويقول: إنا نخالف الحديث، فأقبل عليه وقال له: يا بني، ما الذي رأيتنا نخالفه من الحديث؟ لا تشهد علينا حتى تسمع منا، فسأله يومئذ عن خمسة وعشرين بابًا من الحديث، فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ويخبره بما فيها من المنسوخ ويأتي بالشواهد والدلائل، فالتفت إليَّ بعد ما خرجنا، فقال: كان بيني وبين

النور ستر فارتفع عني، ما ظننتُ أن في ملك الله مثل هذا الرجل يظهره للناس، ولزم محمد بن الحسن لزومًا شديدًا حتى تفقه به. [تاريخ بغداد ١٢/٤٧٩]



لما أن اطمأنت بالأمير عبد المؤمن الدار جمع الفقهاء، إما لاختبار مذهبهم أو حملهم على مذهب ابن حزم، فحُكي عن أبي عبد الله ابن زرقون جامع الاستذكار والمنتقى قال: كنت فيمن جمعهم، فقام على رأسه كاتبُه ووزيره أبو جعفر ابن عطية فخطب خطبة مختصرة، ثم رد رأسه إلى الفقهاء وقال لهم: بلغ سيدنا أن قومًا من أولي العلم تركوا كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصاروا يحكمون بين الناس ويفتون بهذه الفروع والمسائل التي لا أصل لها في الشرع، أو كلامًا هذا معناه، وقد أَمَر أن من فعل ذلك بعد هذا اليوم ونَظَر في شيء من الفروع والمسائل عوقب العقاب الشديد وفُعِل به كذا وكذا، وسكت، ورفع الأمير عبد المؤمن رأسه إليه وأشار عليه بالجلوس فجلس، وقال: سمعتم ما قال؟ فقال له الطلبة: نعم، قال: وسمعنا أن عند القوم تأليفًا من هذه الفروع يسمونه الكتاب -يعني المدونة- وأنهم إذا قال لهم قائل مسألة من السنة ولم تكن فيه أو مخالِفة له قالوا: ما هي في الكتاب أو ما هو مذهب الكتاب، وليس ثم كتاب يرجع إليه إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: وأرعد وأبرق في التخويف والتحذير من النظر في هذه الكتب، والفقهاءُ سكوت، ثم قال: ومن العجب أنهم يقولون أقوالًا برأيهم وليست من الشرع، أو قال من الدين، فيقولون: من طرأ عليه خلل

في صلاته يعيد في الوقت، فيتحكمون في دين الله تعالى؛ لأنها إما صحيحة فلا إعادة أو باطلة فيعيد أبدًا، فيا ليت شعري من أين أخذوه! فصمت القوم ولم يجبه أحد لحدة الأمر والإنكار.

قال ابن زرقون: فحملتني الغيرة على أن تكلمت وتلطفت في الكلام لهم وأن الله تعالى أحيى بهم الحق وأهله وأمات الباطل وأهله وذكرت نحو هذا المنحى، وقلت: إن أُذن لي في الجواب تكلمت وأديت نصيحتي، وهي السنة، فقال كالمنكِرِ عليَّ: وهي السنة أيضًا! وكررها فقلت: ثبت في الصحيح «أن رجلًا دخل على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصلى ثم جاء وسلم عليه فرد عليه وقال: ارجع فصلِّ فإنك لم تصل حتى فعل ذلك ثلاث مرات ثم قال له: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني، فقال له: إذا افتتحت الصلاة...» إلى آخر الحديث فأمره بإعادة الوقتية ولم يأمره بإعادة ما خرج وقته من الصلوات، فعلى هذا بنى الفقهاء أمرهم فيمن دخل عليه خلل في الصلاة، فلما أصغى إلي اتسع لي القول فقلت له: يا سيدي، جميع ما في هذا الكتاب مبنيّ على الكتاب والسنة وأقوال السلف والإجماع، وإنما اختصره الفقهاء تقريبًا لمن ينظر فيه من المتعلمين والطالبين، فانطلقت ألسنة الفقهاء الحاضرين حينئذ ووافقوني على ما قلت، ثم دعا فقال: اللهم وفقنا يا رب العالمين، وقام إلى منزله فقال الوزير: أقدمت على سيدنا اليوم يا فقيه، فقلت لو سكتُّ للحقتني عقوبة الله تعالى، فكنت أدخل بعد ذلك على عبد المؤمن فأرى منه البر التام والتكرمة. [فتح العلي المالك ١/ ١٠٢- ١٠٣]

❁ ❁ ❁

أراد الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن حملَ الناس على كتب ابن حزم فعارضه فقهاء وقته، وفيهم أبو يحيى ابن المواق وكان أعلمهم بالحديث والمسائل، فلما سمع ذلك لزم داره وعارض وأكب على جمع المسائل المنتقدة على ابن حزم حتى أتمها، وكان لا يغيب عنه، فلما أتمها جاء إليه فسأله عن حاله وغيبته وكان ذا جلالة عنده ومنزلة، فقال له: يا سيدنا قد كنت في خدمتكم لما سمعتكم تذكرون حمل الناس على كتب ابن حزم وفيها أشياء أعيذكم بالله من حمل الناس عليها، وأخرجت له دفترًا، فلما أخذه الأمير جعل يقرؤه ويقول: أعوذ بالله أن أحمل أمة محمد ﷺ على هذا، وأثنى على ابن المواق ودخل منزله، ثم سكت الحال بعد في الفروع وظهرت وقويت، والحمد لله. [فتح العلي المالك ١/ ١٠٣]



قال عبد الله بن المبارك: سأل رجل أبا حنيفة عن خوخة أراد أن يفتحها في حائط له في داره، فقال: افتح ما شئت ولا تطلع على جارك، فأتى به جاره إلى ابن أبي ليلى فمنعه منه، فشكا إلى أبي حنيفة، قال: فافتح فيه بابًا فجاء ليفتح الباب، فأتى به إلى ابن أبي ليلى فمنعه، فقال: كم قيمة حائطك؟ قال: ثلاثة دنانير، قال: هي لك علي واذهب فاهدم الحائط من أوله إلى آخره، فجاءه يهدمه، فمنعه فأتى به إلى ابن ابي ليلى، فقال: يهدم حائطه وتسألني أن أمنعه من ذلك! اذهب فاهدمه واصنع ما شئت! قال: فلم عَنَّيتني ومنعتني من فتح خوخة وكان ذلك أهون علي؟ قال: إذا كان يذهب إلى من يدله على خطئي فكيف أصنع إذا تبين الخطأ؟! [أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٣١]

قال عبيد الله بن عمرو: كنت في مجلس الأعمش، فجاءه رجل فسأله عن مسألة فلم يجبه فيها، ونظر فإذا أبو حنيفة، فقال: يا نعمان، قل فيها، قال: القول فيها كذا، قال: من أين؟ قال: من حديث كذا أنت حدثتناه، قال: فقال الأعمش: نحن الصيادلة وأنتم الأطباء. [جامع بيان العلم وفضله ٢/١٠٣٠]



حكى الفقيه أبو عبد الله القوري أن السلطان أبا الحسن المُرَيني دعا فقهاء وقته إلى وليمة وكانوا أهل علم ودين، فكان منهم من قال: أنا صائم، ومنهم من أكل وقلّل، ومنهم من أكل من الغلات كالسمن فقط، ومنهم من شمّر للأكل بكله، ومنهم من قال: هاتوا من طعام الأمير على وجه البركة فإني صائم، فسألهم الشيخ وأظنه أبو إبراهيم الأعرج عن ذلك، فقال الأول: طعام شبهة تسترت منه بالصوم، وقال الثاني: كنت آكل بمقدار ما أتصدق؛ لأنه مجهول الأرباب، والمباشر كالغاصب، وقال الثالث: اعتمدت القول بأن الغلات للغاصب؛ إذ الخراج بالضمان، وقال الرابع: طعام مستهلك ترتبت القيمة في ذمة مستهلكه، فحلّ لي تناوله، وقد مكنني منه فحل لي، وقال الخامس: طعام مستحَق للمساكين قدرت على استخلاص بعضه فاستخلصته وأوصلته إلى أربابه، فكان قد تصدق بها أخذ.

[حاشية العدوي على الخرشي ٦/١٣٣-١٣٤]





الكتب والكتابة

بيعت كتب ابن الجواليقي في بغداد، فحضرها الحافظ أبو العلاء الهمذاني، فنادوا على قطعة منها ستين دينارًا، فاشتراها الحافظ أبو العلاء بستين دينارًا، والإنظار من يوم الخميس إلى يوم الخميس، فخرج الحافظ واستقبل طريق همذان، فوصل فنادى على دار له، فبلغت ستين دينارًا، فقال: بيعوا، قالوا: تبلغ أكثر من ذلك! قال: بيعوا، فباعوا الدار بستين، فقبضها ثم رجع إلى بغداد، فدخلها يوم الخميس فوفى ثمن الكتب ولم يشعر أحد بحاله إلا بعد مدة. [طبقات الحنابلة مع الذيل ٣/٣٢٨]



بعث الوزير أبو أيوب أحمد بن محمد بن شجاع غلامه إلى أبي عبد الله ابن الأعرابي يسأله المجيء إليه، فعاد إليه الغلام فقال: قد سألته ذلك فقال لي: عندي قومٌ من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت، قال الغلام: وما رأيتُ عنده أحدًا إلا أني رأيت بين يديه كتبًا ينظر فيها، فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة، ثم ما شعرنا حتى جاء، فقال له أبو أيوب: إنه ما رأى عندك أحدًا وقد قلتَ له: أنا مع قوم من الأعراب فإذا قضيتُ أربي معهم أتيت! فأنشد:

لنا جلساءٌ ما نملّ حديثهم ... ألبّاء مأمونون غيبًا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعقلًا وتأديبًا ورأيًا مسدّدا

فلا فتنةً نخشى ولا سوء عِشرةٍ ولا نتقي منهم لسانًا ولا يدا
فإن قلت أموات فما أنت كاذبٌ وإن قلت أحياء فلست مفنَّدا

[معجم الأدباء ٦/٢٥٣٣]



قال أبو زكرياء التبريزي: رأيت نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد باعها أبو الحسن الفالي بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر ابن بديل التبريزي وحملها إلى تبريز، فنسخت أنا منها نسخة، فوجدت في بعض المجلدات رقعة بخط الفالي فيها:

أنست بها عشرين حولًا وبعتها فقد طال شوقي بعدها وحنيني
وما كان ظنّي أنني سأبيعها ولو خلّدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية صغار عليهم تستهلّ شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرة مقالة مشويّ الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أمّ مالك كرائم من ربّ بهنّ ضنينِ

فأريت القاضي أبا بكر الرقعة والأبيات، فتوجع وقال: لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه، وكان الفالي قد مات.

[معجم الأدباء ٤/ ١٦٤٧]

❁❁❁

ذكر أبو بكر ابن الخاضبة أنه كان ليلة من الليالي قاعدًا ينسخ شيئًا من الحديث بعد أن مضى قطعة من الليل، قال: وكنت ضيق اليد، فخرجت فأرة كبيرة وجعلت تعدو في البيت، وإذا بعد ساعة قد خرجت أخرى، وجعلا

يلعبان بين يديّ ويتقافزان إلى أن دنوَا من ضوء السراج، وتقدمت إحداهما إليّ وكانت بين يديّ طاسة فأكببتها عليها، فجاء صاحبها فدخل سربه، وإذا بعد ساعة قد خرج وفي فيه دينار صحيح وتركه بين يدي، فنظرت إليه وسكتُّ واشتغلت بالنسخ، ومكث ساعة ينظر إليّ، فرجع وجاء بدينار آخر ومكث ساعة أخرى وأنا ساكت انظر وأنسخ، فكان يمضي ويجيء إلى أن جاء بأربعة دنانير أو خمسة، وقعد زمانًا طويلًا أطول من كلّ نوبة ورجع ودخل سربه وخرج وإذا في فيه جليدة كانت فيها الدنانير وتركها فوق الدنانير، فعرفت أنه ما بقي معه شيء، فرفعت الطاسة فقفزا فدخلا البيت، وأخذت الدنانير وأنفقتها في مهمّ لي، وكان في كل دينار دينار وربع.

[معجم الأدباء ١٧/ ٢٢٦-٢٢٧]



قال محمد بن سليمان الجوهري: كنا نصحب الجاحظ على سائر أحواله من جد وهزل، فخرجنا يومًا لنزهة، فبينا نحن على باب جامع البصرة ننتظر شيئًا أردناه إذ عارضتنا امرأة معها أوراق مقطعة، فعرضت ذلك علينا فلم نجد فيها طائلًا فتركناها وانصرفنا، وتخلف معها الجاحظ ونحن ننتظره، فأطال ثم رأيناه قد وزن لها شيئًا وأخذ الأوراق وقال: انتظروني، ومضى بها إلى منزله، فلما عاد أخذنا نهزأ به ونقول: فزت بقطعة من العلم وافرة، وضحكنا، فقال: أنتم حمقى، والله إن فيها ما لا يوجد إلا فيها، ولكنكم جهال لا تعرفون النفيس من الخسيس.

[تقييد العلم ص ١٣٧]





استعار رجل من أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفرائيني الفقيه كتابًا، فرآه أبو حامد يومًا وقد أخذ عليه عنبًا، ثم إن الرجل سأله بعد ذلك أن يعيره كتابًا، فقال تأتيني إلى المنزل، فأتاه فأخرج الكتاب إليه في طبق وناوله إياه، فاستنكر الرجل ذلك وقال: ما هذا؟ فقال له أبو حامد: هذا الكتاب الذي طلبته، وهذا طبق تضع عليه ما تأكله. فعلم بذلك ما كان من ذنبه.

[تقييد العلم ص١٤٩]





الرسوخ في العلم

ذُكِر عند عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبكى، وقال: وَدِدْتُ أن عملي كلَّه مثلُ عمله يومًا واحدًا من أيامه، وليلة واحدة من لياليه، أما ليلتُه فالليلةُ التي سار مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الغار، فلما انتهيا إليه قال: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخل فكسَحه، فوجد في جانبه ثُقبًا فشَقَّ إزاره وسدَّها به، فبقي منها اثنان فألقمهما رِجْليه، ثم قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ادخل، فدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووضع رأسه في حجره ونام، فلُدِغَ أبو بكر في رِجْله من الجُحر، ولم يتحرَّكْ مخافةَ أن ينتبه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسقطت دموعه على وجه النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما لك يا أبا بكر؟ قال: لُدِغتُ فِداك أَبي وأُمِّي، فتفل عليه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهب ما يجده، ثم انتقض عليه، وكان سبب موته. وأما يومُه فلما قُبض النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتدت العرب، وقالوا: لا نُؤَدِّي زكاة، فقال: لو منعوني عِقالًا لجاهدتُهم عليه، فقلتُ: يا خليفةَ رسولِ الله، تألَّفِ الناسَ وارْفُقْ بهم، فقال لي: أجَبَّار في الجاهلية وخَوَّار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحيُ وتمَّ الدِّينُ، أينْقُصُ وأنا حَيّ؟». [جامع الأصول ٨/٦٠٥]



أُتي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمال فوضع في المسجد، فخرج إليه يتصفحه وينظر إليه ثم هملت عيناه، فقال له عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير

المؤمنين، ما يبكيك؟ فوالله إن هذا لمن مواطن الشكر، قال عمر: إن هذا والله ما أُعْطِيَهُ قومٌ يومًا إلا أُلقي بينهم العداوة والبغضاء.

[الزهد لأبي داود ص٨١]



جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل، فسلم، فقالا: اجلس وتغدّ، فجلس وأكل معهما واستووا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال: خذاها عوضًا مما أكلت لكما، ونلته من طعامكما، فتنازعا، فقال صاحب الخمسة أرغفة: لي خمسة دراهم، ولك ثلاثة، وقال صاحب الأرغفة الثلاثة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين، فارتفعا إلى أمير المؤمنين علي، فقصّا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارضَ بالثلاثة، فقال: والله لا رضيت عنه إلا بمُرّ الحق، فقال علي: ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد، وله سبعة دراهم، فقال الرجل سبحان الله قال: هو ذلك، قال: فعرفني الوجه في مر الحق حتى أقبله، فقال علي: أليس للثمانية أرغفة أربعة وعشرون ثلثًا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلم الأكثر منكم أكلا ولا الأقل؟ فتحملون في أكلكم على السواء، قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث، وإنما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث، وله خمسة عشر ثلثًا،

وأكل منها ثمانية، وبقى له سبعة أكلها صاحب الدراهم وأكل لك واحدة من تسعة، فلك واحد بواحدك، وله سبعة، فقال الرجل رضيت الآن.

[تاريخ الخلفاء ص١٣٩]



غاب عن امرأة زوجها، ثم جاء وهي حامل، فرفعها إلى عمر فأمر برجمها، فقال معاذ: إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها، فقال عمر: احبسوها حتى تضع، فوضعت غلامًا له ثنيتان، فلما رآه أبوه قال: ابني ابني، فبلغ ذلك عمر، فقال: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ هلك عمر.

[مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٥٤٣]



قال محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: أُلهِمتُ حفظَ الحديث وأنا في الكُتّاب، قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخليّ وغيره، وقال يومًا فيما كان يقرأ للناس: «سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم»، فقلت له: يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يروه عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي بن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأحكم كتابه، فقال: صدقت، فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟

فقال: ابن إحدى عشرة، فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظتُ كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفتُ كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنفتُ كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليالي المقمرة، وقال: قلَّ اسمٌ في التاريخ إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب. [تاريخ بغداد ٢/٣٢٤]



قال أبو بكر ابن زنجويه: قدمت مصر، فأتيت أحمد بن صالح فسألني: من أين أنت؟ قلت: من بغداد، قال: أين منزلك من منزل أحمد بن حنبل؟ قلت: أنا من أصحابه، فقال: تكتب لي موضع منزلك؛ فإني أريد أن أوافي العراق حتى تجمع بيني وبين أحمد بن حنبل، فكتبت له، فوافى أحمد بن صالح سنة اثنتي عشرة إلى عفان، فسأل عني فلقيني، فقال: الموعد الذي بيني وبينك، فذهبت به إلى أحمد بن حنبل، فاستأذنت له فقلت: أحمد بن صالح بالباب، فأذن له فقام إليه ورحَّب به وقرَّبه وقال له: بلغني عنك أنك جمعت حديث الزهري فتعال حتى نتذاكر ما روى الزهري عن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعلا يتذاكران لا يُغْرِب أحدهما على الآخر حتى فرغا، وما رأيت أحسن من مذاكرتهما، ثم قال أحمد بن حنبل لأحمد بن صالح: تعال حتى نتذاكر ما روى الزهري عن أولاد أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعلا يتذاكران

ولا يغرب أحدهما على الآخر، إلى أن قال أحمد بن حنبل لأحمد بن صالح: عند الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما يسُرني أن لي حُمْرَ النعم وأن لي حلف المطيبين»**، فقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل: أنت الأستاذ، وتذكر مثل هذا؟ فجعل أحمد يبتسم ويقول: رواه عن الزهري رجل مقبول أو صالح عبد الرحمن بن إسحاق فقال: من رواه عن عبد الرحمن؟ فقال: حدثناه رجلان ثقتان: إسماعيل بن علية وبشر بن المفضل، فقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل: سألتك بالله إلا ما أمليته عليّ، فقال أحمد: من الكتاب، فقام فدخل وأخرج الكتاب وأملى عليه، فقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل: لو لم أستفد بالعراق إلا هذا الحديث كان كثيرًا، ثم ودّعه وخرج. [طبقات الحنابلة ١/٤٨-٤٩]



قال حاشد بن إسماعيل: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل -يعني البخاري- يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما معناك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشر يومًا: إنكما قد أكثرتما عليّ وألححتما فاعرضا عليّ ما كتبتما، فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نُحكِم كتبنا على حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدرًا وأضيع أيامى؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد. قال: وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يَعْدُون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه،

ويجلسونه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان أبو عبد الله عند ذلك شابًّا لم يخرج وجهه. [تاريخ بغداد ٢/٣٣٤]



ذكر ابن حيان أن طاغية الروم وعد القاضي أبا بكر الباقلاني بالاجتماع معه في محفل من محافل النصرانية ليومٍ سماه، فحضر القاضي أبو بكر وقد احتفل المجلس وبولغ في زينته، فأدناه الملك وألطف سؤاله، وأجلسه على كرسي دون سريره بقليل، والملك في أبّهته وخاصته ورجال مملكته على مراتبهم، وجاء البطرك قيِّم ديانتهم آخر الناس وحوله أتباعه يتلون الأناجيل ويبخرون بالعود الرطب في زي حسن، فلما توسط المجلس قام الملك ورجاله تعظيمًا له، فقضوا حقه ومسحوا أعطافه، وأجلسه إلى جنبه، وأقبل على القاضي أبي بكر فقال له: يا فقيه: البطرك قيم الديانة وولي النِّحلة، فسلم القاضي عليه أحفل سلام، وسأله أحفى سؤال، وقال له: كيف الأهل والولد؟ فعظم قوله هذا عليه وعلى جميعهم وطبقوا على وجوههم، وأنكروا قول أبي بكر عليه، فقال: يا هؤلاء، تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ الصاحبة والولد وتربأون به عن ذلك ولا تستعظمونه لربكم عز وجهه فتضيفون إليه ذلك؟ سبة لهذا الرأي ما أبين غلطه! فسقط في أيديهم ولم يردوا جوابًا، وتداخلتهم له هيبة عظيمة وانكسروا. ثم قال الملك للبطرك: ما ترى في أمر هذا الرجل؟ قال: تقضى حاجته وتلاطف صاحبه وتخرج هذا العراقي عن بلدك من يومك إن قدرت، وإلا لم تأمن الفتنة على النصرانية منه، ففعل الملك

ذلك وأحسن جواب عضد الدولة وهداياه وعجَّل تسريح الرسول، وبعث معه عدة من أسرى المسلمين، ووكل به من جنده من يحفظه حتى يصل إلى مأمنه. [تاريخ قضاة الأندلس ١/٤٠]



قال القاضي أحمد بن بديل الكوفي: بعث إليَّ المعتز رسولًا بعد رسول، فلبست كُمّتِي ولبست نعلَي طاقٍ فأتيت بابه، فقال الحاجب: يا شيخ، نعليك! فلم ألتفت إليه ودخلت الباب الثاني، فقال الحاجب: نعليك، فلم ألتفت إليه فدخلت إلى الثالث، فقال: يا شيخ، نعليك، فقلت: أبالواد المقدس أنا فأخلعَ نعلي؟! فدخلت بنعلي فرفع مجلسي وجلست على مصلاه، فقال: أتعبناك أبا جعفر، فقلت: أتعبتني وأذعرتني، فكيف بك إذا سئلت عني؟ فقال: ما أردنا إلا الخير، أردنا نسمع العلم، فقلت: وتسمع العلم أيضًا؟ ألا جئتني؟ فإن العلم يؤتى ولا يأتي، قال: نعتب أبا جعفر، فقلت له: غلبتني بحسن أدبك، اكتب، فأخذ الكاتب القرطاس والدواة، فقلت له: أتكتب حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قرطاس بمداد؟ قال: فيم يكتب؟ قلت: في رق بحبر، فجاءوا برق وحبر، فأخذ الكاتب يريد أن يكتب، فقلت: اكتب بخطك، فأومأ إلي أنه لا يكتب، فأمليت عليه حديثين أسخن الله بهما عينيه! فسئل: أي حديثين؟ فقال: قلت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة**»، والثاني: «**ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولًا**». [تاريخ بغداد ٥/٨٠]



شدّ عبد الله المعروف بالمحتال صاحب القيروان الفاطمي في طلب أهل العلم ليشرقهم، فطلب الشيخ أبا سعيد ابن أخي هشام وأبا محمد التبان وأبا القاسم بن شبلون وأبا محمد ابن أبي زيد وأبا الحسن القابسي، فاجتمعوا في مسجد ابن اللجام واتفقوا على الفرار، فقال لهم ابن التبان: أنا أمضي إليه وأكفيكم مؤونة الاجتماع ويكون كل واحد منكم في داره. ويقال إنهم أرادوا السير إلى عبد الله، فقال لهم: أنا أمضي إليه أبيع روحي من الله دونكم؛ لأنكم إن أُتي عليكم وقع على الإسلام وهن. ويقال إنه قال لعبد الله لما دخل عليه: جئتك عن قوم إيمانهم مثل الجبال أقلهم يقينًا أنا. فحدث بعض من حضر قال: كنت مع عبد الله وقد احتفل مجلسه بأصحابه وفيهم الداعيان أبو طالب وأبو عبد الله، لعنهم الله، وقد وجه إلى ابن التبان فإذا به داخل وعيناه تَوقّدان كأنهما عينا شجاع، فدخل وسلم فقال: أبطأت عنا يا أبا محمد، فقال: في شغلك، كتاب ألفته في فضائل أهل البيت الساعة أتاني به المجلد ودفعه إلي، فقال: يا أبا محمد، ناظر هؤلاء الدعاة، قال: في ماذا؟ قال: في فضائل أهل البيت، فقال لهما: ما تحفظان في ذلك؟ فقال له أبو طالب: أنا أحفظ حديثان - ولحن - ثم سأل الآخر، فقال له: وأنا أحفظ حديثان، فقال: فما ذان الحديثان اللذان تحفظ أنت؟ فقال له: هما يحفظان حديثان - ونطق بلحنهما - وأنا أحفظ في ذلك تسعين حديثًا، فأولى بهما الرجوع إلي. ثم قال عبد الله: يا أبا محمد، من أفضل أبو بكر أو علي؟ قال: ليس هذا موضعه. فقال: لا بد، فقال: أبو بكر أفضل من علي، فقال عبد الله: أيكون أبو بكر أفضل من خمسة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ سادسهم؟ فقال أبو محمد: أيكون علي أفضل من اثنين الله

ثالثهما؟ إني أقول لك ما بين الوجهين وأنت تأتيني بأخبار الآحاد! فضاق عبد الله وقال: فمن أفضل عائشة أو فاطمة؟ فقال له: هذا آخر سؤالك الأول، قال: لا بد، قال: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وسائر أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من فاطمة، قال: من أين؟ فقال له قال الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾، فيقال إن بعض الدعاة قال له في هذه المسألة: أيهما أفضل امرأة أبوها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمها خديجة الكبرى وزوجها علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وولداها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة أو امرأة أمها أم رومان وأبوها عبد الله ابن أبي قحافة؟ فقال له أبو محمد: أيهما أفضل عندك امرأة إذا طلقها زوجها أو مات عنها تزوجها عشرون زوجًا أو امرأة إذا مات عنها زوجها أو طلقها لم تحل لأحد؟ فيحكى أن أبا عبد الله قال له: يا أبا محمد، أنت شيخ المؤمنين ومن يوثق بك، ادخل العهد وخذ البيعة، فعطف عليه أبو محمد وقال له: شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه ويرد على اثنتين وسبعين فرقة يقال له هذا؟ لو نشرت بين اثنين ما فارقت مذهب مالك. فلم يعارضه وقال لمن حوله: امضوا معه، فخرجوا ومعهم سيوف مصلتة، فمر بجماعة من الناس ممن أحضر لأخذ الدعوة، فوقف عليهم فقال: تثبتوا، ليس بينكم وبين الله عَزَّوَجَلَّ إلا الإسلام، فإذا فارقتموه هلكتم. فترك عبد الله طلب بقية الشيوخ بعد ذلك المجلس.

[ترتيب المدارك ٦/ ٢٥٢-٢٥٥]





تبليغ العلم

قال أبو ربيعة فهد بن عوف: جئنا إلى حماد بن سلمة في يوم حارٍّ شديد الحر، وصلينا معه الظهر، وكان حماد صاحب ليل، وظننا أنه صائم فرحمناه مما به من الجهد، وأجمعنا على أن ننصرف عنه لا نسأله عن شيء، فتفرقنا وبقي من بقي، فركع بعد الفريضة وخرج من المسجد، وسار في الطريق في الشمس، فانبرى له غلام حدث، فسأله عن شيء معه، فوقف في الشمس معه يسائله ويحدثه، فقال له بعض مشيخة المسجد: يا أبا سلمة، انصرف أصحابنا عنك لما رأوا بك من الضعف ووقفت مع هذا الغلام في الشمس تحدثه! قال: رأيت في هذه الليلة كأني أسقي فسيلة أصب الماء في أصلها، فتأولت رؤياي هذا الغلام حين سألني. [الجامع لأخلاق الراوي ١/٣١٣]

❁ ❁ ❁

قال إسماعيل بن عياش: كان ابن أبي حسين المكي يدنيني، فقال له أصحاب الحديث: نراك تقدم هذا الغلام الشامي وتؤثره علينا، فقال: إني أؤمله، فسألوه يومًا عن حديث حدث به عن شهر: «إذا جمع الطعام أربعًا فقد كمل»، فذكر ثلاثًا ونسي الرابعة، فسألني عن ذلك، فقال لي: كيف حدثتكم؟ فقلت: حدثتنا عن شهر «أنه إذا جمع الطعام أربعًا فقد كمل: إذا كان أوله حلالًا، وسمي عليه الله حين يوضع، وكثرت عليه الأيدي، وحمد الله حين يرفع»، فأقبل على القوم فقال: كيف ترون؟ [الجامع لأخلاق الراوي ١/٣١٢]

❁ ❁ ❁



قال إبراهيم بن الجراح تلميذ القاضي أبي يوسف: أتيت أبا يوسف أعوده فوجدته مغمى عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم، أيما أفضل في رمي الجمار أن يرميها الرجل راجلًا أو راكبًا؟ فقلت: راجلًا، فقال: أخطأت، فقلت: راكبًا، فقال لي: أخطأت،ثم قال: أما ما كان يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راجلًا، وأما ما كان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه راكبًا، ثم قمت من عنده، فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه، وإذا هو قد مات. [طبقات الحنفية ١/٣٦]

❁ ❁ ❁

لما حمل أبو داود السجستاني ابنه إلى أحمد بن صالح ليسمع منه وكان إذ ذاك أمردَ أنكر أحمد بن صالح على أبي داود إحضاره ابنه المجلس، فقال له أبو داود: هو وإن كان أمرد أحفظ من أصحاب اللحى، فامتحنه بما أردت، فسأله عن أشياء أجابه ابن أبي داود عن جميعها، فحدَّثه حينئذٍ ولم يحدِّث أمرد غيره. [تاريخ بغداد ٥/٣١٩]

❁ ❁ ❁

قال محمد بن فراس العطار: كان الوليد بن عتبة يقرأ علينا في مسجد باب الجابية مصنفات الوليد بن مسلم، وكان رجل يجيء وقد فاته ثُلث المجلس، رُبع المجلس أو أقل أو أكثر، وكان الشيخ يعيده عليه، فلما كثر ذلك على الوليد بن عتبة منه قال له: يا هذا، أي شيء بليت بك، الله محمود، لئن لم تجئ مع الناس من أول المجلس لا أعدت عليك شيئًا، قال: يا أبا العباس،

أنا رجل معيل، ولي دكان في بيت لهيا، فإن لم أشتر لها حويجاتها من غدوة ثم أغلق وأجيء أعدو وإلا خشيت أن يفوتني معاشي، فقال له الوليد بن عتبة: لا أراك ههنا مرة أخرى، فكان الوليد بن عتبة يقرأ علينا المجلس، ويأخذ الكتاب ويمر إلى بيت لهيا حتى يقرأ عليه المجلس في دكانه.

[الجامع لأخلاق الراوي ١/٢٠٣-٢٠٤]



قال هارون بن عبد الله الحمال: جاءني أحمد بن حنبل بالليل، فدق علي الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا أحمد، فبادرت أن خرجت إليه، فمساني ومسيته، قلت: حاجة يا أبا عبد الله؟ قال: نعم، شغلت اليوم قلبي، قلت: بماذا يا أبا عبد الله؟ قال: جزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى، إذا قعدت فاقعد مع الناس.

[الجامع لأخلاق الراوي ١/٤١١]



أتى رجل الأعمش فجعل يحدثه، فقال الرجل: زدني في السماع؛ فإني أصم، قال: ليس ذاك لك، فقال: بيني وبينك أول طالع، فطلع رَقَبة بن مسقلة فأخبراه القصة، فقال للأعمش: عليك أن تزيده، قال: ولم؟ قال: لأنك تقدر أن تزيد في صوتك وهو لا يقدر أن يزيد في سمعه، فقال الأعمش: صدقت.

[الجامع لأخلاق الراوي ١/٤١٣]





قال عمير بن سعيد: سألت علقمة عن مسألة، فقال: ائت عَبيدة فاسأله، فأتيت عبيدة فقال: ائت علقمة، فقلت: علقمة أرسلني إليك، فقال: ائت مسروقًا فاسأله، فأتيت مسروقًا، فسألته فقال: ائت علقمة فاسأله، فقلت: علقمة أرسلني إلى عبيدة، وعبيدة أرسلني إليك، فقال: ائت عبد الرحمن بن أبي ليلى، فأتيت عبد الرحمن بن أبي ليلى، فسألته فكرهه، ثم رجعت إلى علقمة فأخبرته، قال: كان يقال: أجرؤ القوم على الفتيا أدناهم علمًا.

[أخلاق العلماء للآجري ص ١٠٣]



قال أبو عقيل يحيى بن المتوكل: كنت جالسًا عند القاسم بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ويحيى بن سعيد، فقال يحيى للقاسم: يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك عظيم أن تُسأل عن شيء من أمر هذا الدين فلا يوجد عندك منه علم ولا مخرج، فقال له القاسم: وعَمّ ذاك؟، قال: لأنك ابن إمامَي هدى، ابن أبي بكر وعمر، فقال له القاسم: أقبح من ذاك عند من عقل عن الله أن أقول بغير علم أو آخذ عن غير ثقة. فسكت فما أجابه.

[مقدمة صحيح مسلم ١٦/١]



قال أبو بكر الأثرم: سمعت أحمد وقد عاوده السائل في عشرة دنانير ومائة درهم، فقال أبو عبد الله: برأيي أستعفي منها، وأخبرك أن فيها اختلافًا؛

فإن من الناس من قال: يزكي كل نوع على حدة، ومنهم من يرى أن يجمع بينهما، وتلحُّ عليَّ تقول: فما تقول أنت فيها؟ ما تقول أنت فيها؟ وما عسى أن أقول فيها وأنا أستعفي منها، كلٌّ قد اجتهد، فقال له رجل: لا بد أن نعرف مذهبك في هذه المسألة لحاجتنا إليها، فغضب وقال: أيُّ شيءٍ بد؟ إذا هاب الرجل شيئًا يحمل على أن يقول فيه؟ ثم قال: وإن قلتُ فإنما هو رأي وإنما العلم ما جاء من فوق، ولعلنا أن نقول القول ثم نرى بعده غيره. ثم ذكر أبو عبد الله حديث عمرو بن دينار عن جابر بن زيد أنه قيل له: يكتبون رأيك، قال: يكتبون ما عسى أن أرجع عنه غدًا. قال أبو بكر الأثرم: ولم يزل به السائل حتى جعل يجنح لقول من لا يرى الجمع بينهما، وكأني رأيت مذهبه أن يزكى كل نوع منهما على حدته. [جامع بيان العلم وفضله ١/٧٧٤]

❁ ❁ ❁

قال أبو إسحاق ابن شاقْلا: لما جلست في جامع المنصور رويت عن أحمد أن رجلًا سأله فقال: إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث يكون فقيهًا؟ قال: لا، قال: فمائتي ألف؟ قال: لا، قال: فثلاثمائة ألف؟ قال: لا، قال: فأربعمائة ألف حديث؟ قال: فقال بيده هكذا -وحرك يده- فقال لي رجل: فأنت هو ذا تحفظ هذا المقدار حتى هو ذا تفتي الناس؟ فقلت: عافاك الله، إن كنت أنا لا أحفظ هذا المقدار فإني هو ذا أُفتي بقول من كان يحفظ هذا المقدار وأكثر منه. [طبقات الحنابلة ٢/١٦٤]

❁ ❁ ❁



قال الليث بن سعد: كنت أسمع بذكر أبي حنيفة فأتمنى أن أراه، فإني لبمكة إذ رأيت الناس متقصّفين على رجل، فسمعت رجلًا يقول: يا أبا حنيفة، فقلت: إنه هو، فقال: إني ذو مالٍ وأنا من خراسان ولي ابن أزوِّجه المرأة وأنفق عليه المال الكثير فيطلّقها فيذهب مالي، وأشتري له الجارية بالمال الكثير فيعتقها فيذهب مالي، فهل من حيلة؟ قال أبو حنيفة: أدخله سوق الرقيق، فإذا وقعت عينه على جاريةٍ فاشترِها لنفسك، ثم زوّجها إياه، فإن طلّقها رجعت مملوكة لك، وإن أعتقها لم يجز عتقه، قال الليث: فوالله ما أعجبني صوابه كما أعجبني سرعة جوابه.

[مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه ص ٣٦-٣٧]



قال عبد الله بن مسلمة القعنبي: دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست، فرأيته يبكي فقلت: يا أبا عبد الله، ما الذي يبكيك؟ فقال لي: يا ابن قعنب، وما لي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني؟ والله لوددت أني ضربت لكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط، وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت إليه، وليتني لم أفت بالرأي، أو كما قال.

[وفيات الأعيان ٤/١٣٨]



قال الحارث بن أسد: لما أردنا وداع مالك دخلت عليه أنا وابن القاسم وابن وهب، فقال له ابن وهب: أوصنا، فقال: اتق الله وانظر عن من تنقل، وقال لابن القاسم: اتق الله وانشر ما سمعت، وقال لي: اتق الله وعليك بتلاوة

القرآن. قال الحارث: لم يرني أهلًا للعلم، وقال محمد بن حارث: رأيت في بعض الروايات أنه كان يستفتى فلا يفتي ويقول: لم يرني مالك أهلًا للعلم.

[ترتيب المدارك ٣/ ٣٢٢]



ذكر الأوزاعي الخردل وكان يحبّه أو يتداوى به، فقال رجل من أهل صفورية: أنا أبعث إليك منه يا أبا عمرو؛ فإنه ينبت عندنا كثير بري، فبعث إليه منه بصرة وبعث بمسائل، فبعث الأوزاعي بالخردل الى السوق، فباعه وأخذ ثمنه فلوسًا، فصرَّها في رقعته وأجابه في المسائل، وكتب إليه: إنه لم يحملني على ما صنعت شيء تكرهه، ولكن كانت معه مسائل فخفت أن يكون كهيئة الثمن لها.

[تاريخ دمشق ٣٥/١٩٨]



أرسل أسد بن الفرات وهو قاض إلى سحنون وعون وابن رشيد وموسى الصمادحي، فسألهم عن مسألة في الأحكام، فأجاب فيها ابن رشيد وعون، وأبى فيها سحنون عن الجواب. فلما أخرجوا عذلاه في تركه، فقال لهما: منعني أنكما بدرتما بالجواب فأخطأتما، وكرهت أن أخالفكما فندخل عليه إخوانًا ونخرج أعداء، وبين لهما وجه خطأهما، فجزَّياه خيرًا واعترفا، ورجعا إلى أسد فأخبراه برجوعهما.

[ترتيب المدارك ٤/٧٥]



أتى رجل من صطفورة فسأل سحنون عن مسألة، وتردد عليه، فقال له: أصلحك الله، مسألتي في ثلاثة أيام، فقال له: وما أصنع لك؟ ما حيلتي في مسألتك؟ نازلة معضلة وفيها أقاويل وأنا أتخير في ذلك، فقال الرجل الصطفوري: وأنت أصلحك الله لكل معضلة، فقال: هيهات، ليس يا ابن أخي لقولك أبذل لك لحمي ودمي إلى النار، ما أكثر ما لا أعرف، إن صبرت رجوت أن تنقلب بمسألتك، وإن أردت غيري فامض، تجاب عن ساعة، فقال: إنما جئت إليك ولا أبتغي غيرك، قال: فاصبر عافاك الله، ثم أجابه بعد ذلك.

[ترتيب المدارك ٤/٧٤-٧٥]





القضاء

كان على قضاء المدائن سعدُ بن حذيفة بن اليمان، فكلّمه ابنُ جعدة بن هبيرة في شيءٍ من الحكم وبين يديه نارٌ، فقال له سعد بن حذيفة: ضع إصبعك هذه في هذه النار، قال: سبحان الله، تأمرني أن أُحرق بعض جسدي؟ قال: فأنت تأمرني أن أحرق جسدي كله. [تاريخ بغداد ١٠/١٧٨]

❁ ❁ ❁

قال أبو يوسف: اجتمعنا عند أبي حنيفة في يوم مطير في نفر من أصحابه، منهم داود الطائي والقاسم بن معن وعافية بن يزيد وحفص بن غياث ووكيع بن الجراح ومالك بن مغول وزفر، فأقبل علينا بوجهه وقال: أنتم مسارّ قلبي وجَلاء حزني وأسرجت لكم الفقه وألجمته، وقد تركت الناس يطؤون أعقابكم ويلتمسون ألفاظكم، ما منكم واحد إلا وهو يصلح للقضاء، فسألتكم بالله وبقدر ما وهب الله لكم من جلالة العلم ما صنتموه عن ذلك الاستئجار، وإن بُلي أحد منكم بالقضاء فعلم من نفسه خربة سترها الله عن العباد لم يجز قضاؤه ولم يطب له رزقه، فإن دفعته ضرورة إلى الدخول فيه فلا يحتجبن عن الناس، وليصلّ الخمس في مسجده وينادي عند كل صلاة: من له حاجة؟ فإذا صلى العشاء نادى ثلاثة أصوات: من له حاجة؟ ثم دخل إلى منزله، فإن مرض مرضًا لا يستطيع الجلوس معه أسقط من رزقه بقدر مرضه، وأيما إمامٍ غلّ فيئًا أو جار في حكم بطلت إمامته ولم يجز حكمه.

[مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه ص٢٨]

❁ ❁ ❁

استودع رجل رجلًا من أمناء إياس مالًا وخرج المستودع إلى مكة، فلما رجع طلبه فجحده، وأتى إياسًا فأخبره، فقال له إياس: أعَلِمَ بك أنك أتيتني؟ قال: لا، قال: فنازعته عند أحد؟ قال: لا، لم يعلم بهذا أحد، قال: فانصرف واكتم أمرك ثم عد إلي بعد يومين. فمضى الرجل، فدعا إياس أمينه ذلك وقال: قد اجتمع عندي مال كثير أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم، قال: فأَعِدّ موضعًا للمال وقومًا يحملونه. وعاد الرجل إلى إياس فقال له: [قل له:] إني أخبر القاضي. فأتى الرجل صاحبه فقال: مالي وإلا أتيت القاضي وشكوت إليه حالي وأخبرته بأمري، فدفع إليه ماله، فرجع الرجل إلى إياس فقال: قد أعطاني المال. وجاء الأمين إلى إياس لوعده فزبره وانتهره وقال: لا تقربني، خائن. [وفيات الأعيان ١/٢٦٦]



قال محمد بن خلف المعروف بوكيع: كنتُ أتقلَّد لأبي خازم -يعني القاضي عبد الحميد- وقوفًا في أيام المعتضد، منها وقوفُ الحسن بن سهل، فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالحسني أدخل إليه بعض وقوف الحسن بن سهل التي كانت في يدي ومجاورةً للقصر، وبلغت السنة آخرها وقد جبيت مالها الا ما أخذه المعتضد، فجئتُ إلى أبي خازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنته في قسمته في سبله وعلى أهل الوقف، فقال لي: فهل جبيتَ ما على أمير المؤمنين؟ فقلت له: ومن يجسر على مطالبة الخليفة؟! فقال: والله لا قسمت الارتفاع أو تأخذَ ما عليه، والله لئن لم يُزِح العلة لا وليت له عملًا،

ثم قال: امض إليه الساعة وطالِبْه، فقلت: من يوصلني؟ فقال: امض إلى صافي الحرمي وقل: إنك رسولٌ أنفذتك في مُهمٍّ، فإذا وصلتَ فعرِّفه ما قلت لك، فجئت فقلت لصافي ذلك، فأوصلني وكان آخر النهار، فلما مثلتُ بين يدي الخليفة ظنَّ أن أمرًا عظيمًا قد حدث، وقال: هيه قل، كأنه متشوِّفٌ، فقلت له: إني ألي لعبد الحميد قاضي أمير المؤمنين وقوفَ الحسن بن سهل، وفيها ما قد أدخله أميرُ المؤمنين إلى قصره، ولما جبيتُ مال هذه السنة امتنع من تفرقته إلى أن أجبي ما على أمير المؤمنين، وأنفذني الساعةَ قاصدًا بهذا السبب، وأمرني أن أقول: إني حضرت في مُهمٍّ لأَصِلَ، قال: فسكت ساعة مفكرًا، ثم قال: أصاب عبد الحميد، يا صافي هات الصندوق، قال: فأحضره صندوقًا لطيفًا، فقال: كم يجب لك؟ فقلت: الذي جبيت عام أول من ارتفاع هذه العقارات أربعُمائة دينار، قال: كيف حِذْقُك بالنقد والوزن؟ قلت: أعرفهما، قال: هاتوا ميزانًا، فجاءوا بميزان حراني حسن عليه حلية ذهب وأخرج من الصندوق دنانير عينًا، فوزن منها أربع مائة دينار، فوزنتها بالميزان وقبضتها وانصرفت إلى أبي خازم بالخبر، فقال: أضفها إلى ما اجتمع من الوقف عندك وفرِّقه في غدٍ في سبله، ولا تؤخِّرْ ذلك، ففعلتُ ذلك، فكثر شكر الناس لأبي خازم بهذا السبب وإقدامه على الخليفة بمثل ذلك وشكرهم للمعتضد في إنصافه.

[تاريخ بغداد ١٢/٣٣٨]

❁ ❁ ❁

دعا أبو جعفر المنصور الإمام أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع، فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح للقضاء، قال له: كذبت، قال: قد حكم

علـيّ أمـير المؤمنـين أني لا أصلح؛ لأنـه نسبنـي إلى الكذب، فإن كنـت كاذبًا فلا أصلح، وإن كنت صادقًا فقد أخبرتك أني لا أصلح، فحبسه.

[مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه ص ٢٦]



قال القاضي أبو معاوية: أدركت صدرًا من الناس يحكون أن أيام هشام هذا -يعني الأمير ابن عبد الرحمن- كانت من الدعة والعافية والهدوء بحيث لم يعلم لها مثل. وكان يحضر الجنائز ويزاحم فيها كأنه أحد من الناس تواضعًا. وكان لبعض رجال هشام خصومة في دار عند القاضي مصعب بن عمران فسجل عليه القاضي فيها وأخرجه منها، فنهض الرجل إلى هشام وقال له: إن القاضي سجل علي في داري التي كنت أسكنها وأخرجني عنها! فقال له هشام: وماذا تريد مني؟ والله لو سجل علي القاضي في مقعدي هذا لخرجت عنه!

[البيان المغرب ٢/٦٦]



حضر اثنان إلى القاضي خير بن نعيم عند أذان المغرب، فتحاكما في جمل، فصرفهما، وتشاغل بصلاة المغرب، فحضرا إليه في اليوم الثاني، فقال أحدهما: اشتريت من هذا جملًا باثني عشر دينارًا، فخرج به عيب واضح فقال: ما أردّه إلا بحكم حاكم، فلم تحكم بيننا أمس، فمات الجمل بالمناخ، فيكون في كيسي أو كيسه؟ فقال خير: بل في كيسي؛ لكوني لم أبتَّ الحكم بينكما. ووزن له ثمن الجمل.

[رفع الإصر ص١٥٥]



قال محمد بن محمد بن سليمان الباغندي: كنتُ بسُرَّ مَنْ رأى، وكان عبد الله بن أيوب المخرمي يقرب إليَّ، فخرج توقيع الخليفة بتقليده القضاء، فانحدرتُ في الحال من سر من رأى إلى بغداد حتى دققتُ على عبد الله بن أيوب بابَه، فخرج إليَّ، فقلتُ له: البشرى، فقال: بشَّرك الله بخيرٍ، وما هي؟ قلت: خرج توقيعُ السلطان بتقليدك القضاء لأحد البلدين، إما سر من رأى أو بغداد، قال: فأطبق البابَ وقال: بشَّرك الله بالنار، وجاء أصحاب السلطان إليه فلم يَظهر لهم، فانصرفوا. [تاريخ بغداد ٢٧٩/١١]



قال وكيع بن الجراح: قدمنا على هارون أنا وعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث، فأقعدَنا بين السريرين، فكان أول ما دعا به أنا، فقال لي هارون: يا وكيع، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إن أهل بلدك طلبوا مني قاضيًا وسمَّوْك لي فيمن سمَّوْا، وقد رأيتُ أن أُشْرِكَك في أمانتي وصالحِ ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك وامض، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير، وإحدى عيني ذاهبة والأخرى ضعيفة، فقال هارون: اللهم غفرًا، خذ عهدك أيها الرجل وامض، فقلت: يا أمير المؤمنين والله لئن كنتُ صادقًا إنه لينبغي أن تقبل مني، ولئن كنت كاذبًا فما ينبغي أن تولي القضاء كذابًا، فقال: اخرج، فخرجتُ ودخل ابن إدريس، وكان هارون قد وسم له من ابن إدريس وسم، يعني خشونة جانبه، فدخل فسمعنا صوت ركبتيه على الأرض حين برك، وما سمعناه يسلم إلا سلامًا خفيًّا، فقال له هارون: أتدري

لم دعوتك؟ قال: لا، قال: إن أهل بلدك طلبوا مني قاضيًا وإنهم سمَّوْك لي فيمن سمَّوْا، وقد رأيتُ أن أشركك في أمانتي وأدخلك في صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك وامض، فقال له ابن إدريس: ليس أصلح للقضاء، فنكت هارون بإصبعه، وقال له: وددت أني لم أكن رأيتك، قال ابن إدريس: وأنا وددت أني لم أكن رأيتك، فخرج، ثم دخل حفص بن غياث فقال له كما قال لنا، فقبل عهده وخرج. فأتانا خادم معه ثلاثة أكياس في كل كيس خمسة آلاف، فقال لي: إن أمير المؤمنين يقرئكم السلام، ويقول لكم: قد لزمتْكم في شُخوصكم مؤونةٌ فاستعينوا بهذه في سفركم. قال وكيع: فقلت له: أقرئ أمير المؤمنين السلام وقل له: وقعت مني بحيث يحب أمير المؤمنين وأنا عنها مستغنٍ وفي رعية أمير المؤمنين مَنْ هو أحوج إليها مني، فإن رأى أمير المؤمنين أن يصرفها إلى من أحبَّ، وأما ابن إدريس فصاح به: مر من هاهنا! وقبلها حفص.

وخرجت الرقعة إلى ابن إدريس من بيننا: عافانا الله وإياك، سألناك أن تدخل في أعمالنا فلم تفعل، ووصلناك من أموالنا فلم تقبل، فإذا جاءك ابني المأمون فحدثه إن شاء الله، فقال للرسول: إذا جاءنا مع الجماعة حدثناه إن شاء الله.

ثم مضينا، فلما صرنا إلى الياسرية حضرت الصلاة، فنزلنا نتوضأ للصلاة، قال وكيع: فنظرتُ إلى شرطي محموم نائمٍ في الشمس عليه سواده، فطرحت كسائي عليه، وقلت: يدفأ إلى أن أتوضأ، فجاء ابن إدريس فاستلبه،

ثم قال لي: رحمتَه لا رحمك الله، في الدنيا أحد يرحم مثل ذا؟ ثم التفت إلى حفص، فقال له: يا حفص قد علمتُ حين دخلتَ إلى سوق أسدٍ فخضبتَ لحيتك ودخلتَ الحمام أنك ستلي القضاء، لا والله لا كلمتك حتى تموت، فما كلمه حتى مات. [تاريخ بغداد ١١/٦٩]



قال عمر بن الهياج بن سعيد: أتت امرأة يومًا شريكًا القاضي وهو في مجلس الحكم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي، امرأة من ولد جرير بن عبد الله صاحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردّدت الكلام، فقال: إيهًا عنك الآن، من ظلمك؟ فقالت: الأمير موسى بن عيسى، كان لي بستانٌ على شاطئ الفرات، لي فيه نخل ورثته عن آبائي، وقاسمت إخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطًا، وجعلتُ فيه فارسيًّا في بيتٍ يحفظ النخل ويقوم ببستاني، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من إخوتي جميعًا، وساومني وأرغبني فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة بعث بخمسمائة فاعل فاقتلعوا الحائط، فأصبحتُ لا أعرف من نخلي شيئًا، واختلط بنخل إخوتي، فقال: يا غلام، طينة، فختم، ثم قال لها: امضي إلى بابه حتى يحضر معك، فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجب ودخل على موسى، فقال: أعدى شريك عليك، قال: ادع لي صاحب الشرط، فدعا به، فقال: امض إلى شريك، فقل: يا سبحان الله، ما رأيتُ أعجب من أمرك، امرأة ادّعت دعوى لم تصحّ أعديتَها عليّ، قال: يقول له صاحب الشرط: إن رأى الأمير أن يعفيني فليفعل، فقال: امض ويلك، فخرج فأمر غلمانه أن يتقدموا

إلى الحبس بفراش وغيره من آلة الحبس، فلما جاء فوقف بين يدي شريك فأدى الرسالة قال: خذ بيده فضعه في الحبس، قال: قد والله يا أبا عبد الله عرفتُ أنك تفعل بي هذا فقدّمتُ ما يصلحني إلى الحبس، وبلغ موسى ابن عيسى الخبر، فوجّه الحاجب إليه، فقال: هذا من ذاك رسول، أيّ شيء عليه؟ فلما وقف بين يديه وأدى الرسالة، قال: ألحِقه بصاحبه، فحبس، فلما صلى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن الصباح الأشعثي وجماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك، فقال: امضوا إليه فأبلغوه السلام وأعلموه أنه قد استخفّ بي وأني لست كالعامّة، فمَضَوْا وهو جالس في مسجده بعد العصر فدخلوا فأبلغوه الرسالة، فلما انقضى كلامهم قال لهم: ما لي لا أراكم جئتم في غيره من الناس كلّمتموني؟ مَن ههنا من فتيان الحيّ فيأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس؟ لا ينم والله إلا فيه! قالوا: أجادٌّ أنت؟ قال: حقًّا حتى لا تعودوا برسالة ظالم، فحبسهم، وركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب الحبس، ففتح الباب وأخرجهم جميعًا، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء جاء السجّان فأخبره فدعا بالقمطر فختمها ووجه بها إلى منزله وقال لغلامه: ألحقني بثقلي إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه إذ تقلدناه لهم، ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد، وبلغ موسى بن عيسى الخبر فركب في موكبه فلحقه، وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله، تثبّت، انظر، إخوانك تحبسهم دع أعواني؟ قال: نعم، لأنهم مَشَوْا لك في أمرٍ لم يجب عليهم المشي فيه، ولستُ ببارحٍ أو يُرَدُّوا جميعًا إلى الحبس، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين فاستعفيته مما قلّدني،

وأمر بردّهم جميعًا إلى الحبس وهو والله واقف في مكانه حتى جاءه السجّان فقال: قد رجعوا إلى الحبس، فقال لأعوانه: خذوا بلجامه، قودوه بين يديّ جميعًا إلى مجلس الحكم، فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد، وجلس مجلس القضاء، ثم قال: الجويرية المتظلمة مِن هذا، فجاءت، فقال: هذا خصمكِ قد حضر وهو جالس معها بين يديه، فقال: أولئك يخرجون من الحبس قبل كل شيء، قال: أما الآن فنعم، أخرجوهم، قال: ما تقول فيما تدّعيه هذه؟ قال: صدقَتْ، قال: فرُدّ جميع ما أُخِذَ منها، وتبني حائطها في وقت واحد سريعًا كما هدم، قال: أفعل، قال: بقي لك شيء؟ قال: تقول المرأة: بيت الفارسي ومتاعه، قال: يقول موسى بن عيسى: ويرد ذلك، بقي لكِ شيء تدعينه؟ قالت: لا، وجزاك الله خيرًا، قال: قومي، وزبرها، ثم وثب من مجلسه فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه في مجلسه ثم قال: السلام عليك أيها الأمير، تأمر بشيء؟ قال: أي شيء آمر؟ وضحك. [تاريخ بغداد ١٠/٣٨٤]

❁ ❁ ❁

قال ابن أخي القاضي بكار: قدم على عمي رجل من البصرة له علم وزهادة ونسك فأكرمه وقرّبه وأدناه، وذكر أنه كان معه في المكتب، فمضت به الأيام فجاء في شهادة ومعه شاهدان من شهود مصر، فأديا عند عمي فما قبل شهادته، فقلت لعمي: هذا رجل زاهد وأنت تعرفه، قال: يا ابن أخي ما رددت شهادته إلا أنه كنا صغارًا وكنا على مائدة عليها أرز وفيه حلوى، فنقبت الأرز بإصبعي فقال لي: أخرقتها لتغرق أهلها؟ فقلت له: أتهزأ

بكتاب الله تعالى على الطعام! ثم أمسكت عن كلامه مدة، وما أقدر على قبوله وأنا أذكر ذلك منه. [وفيات الأعيان ١/٢٨١]



قال أبو القاسم عبيد الله بن سليمان: كنت أكتب لموسى بن بغا، وكنّا بالري وقاضيها إذ ذاك أحمد بن بديل الكوفي، فاحتاج موسى أن يجمع ضيعةً هناك كان له فيها سهام ويعمرها، وكان فيها سهم ليتيم، فصرت إلى أحمد بن بديل أو فاستحضرت أحمد بن بديل وخاطبته في أن يبيع علينا حصة اليتيم ويأخذ الثمن، فامتنع، وقال: ما باليتيم حاجة إلى البيع، ولا آمن أن أبيع ماله وهو مستغن عنه فيحدث على المال حادثة فأكون قد ضيعته عليه، فقلت: إنا نعطيك في ثمن حصته ضعف قيمتها، فقال: ما هذا لي بعذر في البيع، والصورة في المال إذا كثر مثلُها إذا قلّ، فأدرته بكل لون وهو يمتنع، فأضجرني، فقلت له: أيها القاضي، ألا تفعل؟ فإنه موسى بن بغا! فقال لي: أعزك الله، إنه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فاستحييت من الله أن أعاوده بعد ذلك وفارقته، فدخلت على موسى، فقال: ما عملت في الضيعة؟ فقصصت عليه الحديث، فلما سمع إنه الله بكى، وما زال يكررها، ثم قال: لا تعرض لهذه الضيعة، وانظر في أمر هذا الشيخ الصالح، فإن كانت له حاجة فاقضها، فأحضرته، وقلت له: إن الأمير قد أعفاك من أمر الضيعة، وذلك أني شرحت له ما جرى بيننا، وهو يعرض عليك قضاء حوائجك، فدعا له، وقال: هذا الفعل أحفظ لنعمته

وما لي حاجة إلا إدرار رزقي؛ فإنه تأخر منذ شهور وأضرني ذلك، فأطلقتُ له جاريَهُ. [تاريخ بغداد ٥/٨٠]



لما شاور إبراهيم بن الأغلب أمير القيروان العلماء فيمن يلي القضاء اختلفوا عليه، فذُكر له عيسى بن مسكين، فقال أحمد بن ناجي: والله أيها الأمير، صاحبنا عند سحنون جمع الله فيه خلال الخير بأسرها، فوجه فيه إلى الساحل فأتي به وفي المجلس حمديس وغيره، فقال له ابراهيم: أتدري لمَ بعثت إليك؟ فقال: لا، قال: لأشاورك في رجل قد جمع خلال الخير أردت أن أوليه القضاء وألمّ به شعث هذه الأمة فامتنع؟ قال: ألزِمه أن يلبي، قال: تمنّع، قال يُجبر على ذلك، قال: امتنع، قال: يُجلد، قال: قم فأنت هو، قال: ما أنا بالذي وصفت، وتمنع، فأخذ الأمير بمجامع ثيابه وقرب السيف من نحره، فتقدم إليه عيسى بنحره، فخوّفه ابراهيم وحلف له بغليظ الأيمان لئن لم تلِ لأقتلنّك، فلما رأى منه ما رأى أي: ما لا قدرة له عليه أراد أن يشدد عليه في الشرط، قال: اشترِط ما أحببت، قال: أستعفيك في كل شهر، قال: نعم، قال: اكتبه ففعل، قال: وأحملك وبني عمك وجندك وفقهاء المسلمين وأغنيائهم في درجة واحدة، قال: اكتب ففعل، قال: ولا توجه ورائي ولا أعزّي ولا أهنّي ولا أشيّع ولا ألتقي، فمتى لم توفِ لي بشرط عزلت نفسي، قال: نعم، وعرض عليه الصلة، والكسوة فامتنع. [ترتيب المدارك ٤/ ٣٣٤-٣٣٧]

❁ ❁ ❁

كتب يوسف بن تاشفين إلى قاضي الـمرية محمد بن يحيى عرف بابن البكراء يأمره بفرض المعونة ويرسل إليه بها، فامتنع محمد بن يحيى من فرضها، وكتب إليه يخبره أنه لا يجوز له فرضها، فجاوبه الأمير يخبره بأن القضاة عنده والفقهاء قد أباحوا له فرضها وأن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد فرضها في زمانه، فراجعه القاضي: الحمد لله الذي إليه مآبنا وعليه حسابنا، وبعد فإنه بلغني كتابك تذكر فيه ما كان من تأخري عن المعونة وقبضها وأن القضاة والفقهاء أفتَوْك بقبضها وأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اقتضاها، فالقضاة والفقهاء إلى النار دون زبانية؛ فإنْ عمرُ قد اقتضاها فكان صاحبَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووزيره وضجيعَه في قبره، ولا شك في عدله، وأنت لست مصاحبًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا وزيره ولا ضجيعًا له في قبره، وقد يُشك في عدلك، وما اقتضاها عمر حتى دخل المسجد بحضرة من كان معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وحلف أن ليس عنده درهمٌ في بيت مال المسلمين ينفقه عليهم، فإن كان الفقهاء والقضاة قد أنزلوك كمنزلته في العدل فالله حسيبهم وسائلهم على تقلُّدهم ذلك فلتدخل المسجد بحضرة مَن هناك من أهل العلم وتحلف أن ليس عندك في بيت مال المسلمين درهم تنفقه عليهم، وحينئذٍ تجب تقويتك، والله تعالى على ذلك كله الحق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلما بلغ ذلك أبا يعقوب وعظه الله بقوله ولم يُعِدْ عليه في ذلك أمرًا.

[المعيار المعرب ١١/١٣٢]





صيانة العلم

بعث عامل من العمال إلى سعيد بن المسيب بخمسة آلاف درهم، فقال له الرسول: بعث بهذا إليك -أصلحك الله- لتنفقها وتجعلها في حاجتك، قال: وسعيد جادٌّ مجدٌّ يحاسب غلامه في نصف درهم يدعيه قِبَله، والغلام يقول: ليس لك عندي شيء، قال سعيد للرسول: اذهب إلى عملك، ثم عرضها عليه الرسول أيضًا، فقال: اغرب عني، وأبى أن يأخذها منه، وكلمه إنسان في تركه أن يأخذها، فقال له ابن المسيب: هذا النصف درهم أحبُّ إليَّ منها. [الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٦١]



قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وعمر بن عبد العزيز عامله عليها، فصلى بالناس الظهر ثم فتح باب المقصورة واستند إلى المحراب واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم عن غير معرفة، فقال: يا عمر، من هذا الرجل؟ ما رأيت سمتًا أحسن منه، قال: يا أمير المؤمنين، هذا صفوان بن سليم، قال: يا غلام، كيسًا فيه خمسمائة دينار، فأتي بكيس فيه خمسمائة دينار، فقال لخادمه: ترى هذا الرجل القائم يصلي، فوصفه للغلام حتى أثبته، فخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان، فلما نظر إليه صفوان ركع وسجد ثم سلم فأقبل عليه، فقال: ما حاجتك؟ قال: أمرني أمير المؤمنين -وهو ذا ينظر إليك- إلى أن أدفع إليك هذا الكيس فيه خمسمائة دينار وهو يقول: استعن بهذه على زمانك وعلى عيالك، فقال صفوان للغلام: ليس أنا

بالذي أرسلت إليه، فقال له الغلام: ألست صفوان بن سليم؟ قال: بلى، أنا صفوان بن سليم، قال: وإليك أرسلت، قال: اذهب فاستثبت فإذا استثبت فهلم، فقال الغلام: فأمسك الكيس معك وأذهب، قال: لا، إن أمسكت فقد أخذت، ولكن اذهب فاستثبت وأنا ههنا جالس، فولى الغلام، وأخذ صفوان نعليه وخرج، فلم ير بها حتى خرج سليمان من المدينة.

[حلية الأولياء ٣/ ١٦٠]



بعث محمد بن يوسف وأيوب بن يحيى إلى طاوس بخمسمائة دينار، وقالوا للرسول: إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك، فخرج بها حتى قدم على طاوس الجَنَد، فقال: يا أبا عبد الرحمن، نفقة بعث بها إليك الأمير، فقال: ما لي بها حاجة، قال: فأراده على قبضها فأبى، فغفل طاوس فرمى بها في كوة البيت ثم ذهب، فقال لهم: قد أخذها، فلبثوا حينًا ثم بلغهم عن طاوس شيء كرهوه، قال: ابعثوا إليه، فليبعث إلينا بمالنا، فجاءه الرسول فقال: المال الذي بعث به إليك الأمير، قال: ما قبضت منه شيئًا، فرجع الرسول فأخبرهم فعرفوا أنه صادق، قيل: الرجل الذي ذهب بها فابعثوه إليه، فقال: المال الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن، قال: هل قبضتُ منك شيئًا؟ قال: لا، قال: فهل تدري أين وضعتَه؟ قال: نعم، في تلك الكوة، قال: فأبصِره حيث وضعته، قال: فيمد يده فإذا هو بالصرة قد بنت عليها العنكبوت، قال: فأخذها فذهب بها إليهم.

[الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٣٦١-٣٦٢]



لما حج هارون وقدم المدينة بعث إلى مالك بكيس فيه خمسمائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف وقدم المدينة بعث إليه أن أمير المؤمنين يحب يزامل مالكًا إلى مدينة السلام، فقال للرسول: قل له إن الكيس بخاتمه، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**»، فتركه.

[الجرح والتعديل ١/ ٣٠]



قال أبو عبيد: كنا مع محمد بن الحسن إذ أقبل الرشيد فقام الناس كلهم إلا محمد بن الحسن فإنه لم يقم، وكان الحسن بن زياد معتل القلب على محمد ابن الحسن، فقام ودخل، ودخل الناس من أصحاب الخليفة، فأمهل الرشيد يسيرًا ثم خرج الإذن، فقام محمد بن الحسن فجزع أصحابه له، فأدخل فأمهل ثم خرج طيب النفس مسرورًا، قال: قال لي: ما لك لم تقم مع الناس؟ فقلت: كرهت أن أخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها؛ إنك أهلتني للعلم فكرهت أن أخرج إلى طبقة الخدمة التي هي خارجة منه، وإن ابن عمك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أحب أن يمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**»، وإنه إنما أراد بذلك العلماء، فمن قام بحق الخدمة وإعزاز الملك فهو هيبة للعدو، ومن قعد اتباعًا للسنة التي عنكم أخذت فهو زين لكم، قال: صدقت يا محمد.

[أحكام القرآن للجصاص ٤/ ٢٨٨]

❁ ❁ ❁

جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله عن أمير المؤمنين أن يفرق ذلك، فرده، فانصرف

الرسول ثم عاد فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك، فقال: عافاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك. [طبقات الحنابلة ١/٨٨]

قال جعفر بن يحيى البرمكي: ما رأينا مثل عيسى بن يونس، أرسلنا إليه فأتانا بالرّقة، فاعتلّ قبل أن يرجع، فقلنا له: يا أبا عمرو، قد أُمر لك بعشرة آلاف، فقال: هيه، فقلت: هي خمسون ألفًا، فقال لي: لا حاجة لي فيها، فقلت: ولم؟ أما والله لا هنيتكها، هي والله مائة ألف، قال: لا والله، لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنّة ثمنًا، ألا كان هذا قبل أن ترسلوا إليّ؟ فأما على الحديث فوالله لا شربة ماء ولا إهلِيلجة! [المنتظم ٩/١٩٦]



بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخاري إلى محمد بن إسماعيل البخاري أن احمل إليّ كتاب «الجامع» و«التاريخ» وغيرهما لأسمع منك، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، إني لا أكتم العلم لقول النبي ﷺ: «**من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار**». وكان سبب الوحشة بينهما هذا.

[تهذيب الكمال ٢٤/٤٦٤]



قال أبو بكر ابن جابر خادم أبي داود السجستاني: كنت مع أبي داود ببغداد، فصلينا المغرب إذ قُرِع الباب، ففتحته فإذا خادم يقول: هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن، فدخلت إلى أبي داود فأخبرته بمكانه فأذن له، فدخل وقعد، ثم أقبل عليه أبو داود فقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ فقال: خلالٌ ثلاث، فقال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطنًا ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بك؛ فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس لما جرى من محنة الزنج، فقال: هذه واحدة، هات الثانية، قال: وتروي لأولادي كتاب السنن، فقال: نعم، هات الثالثة، قال: وتفرد لهم مجلسًا للرواية؛ فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة، فقال: أما هذه فلا سبيل إليها؛ لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء. [طبقات الحنابلة ١/١٦٢]

❁ ❁ ❁

كان أبو جعفر المنصور قد استخفى عند رجل فأكرمه، فلما أفضت الخلافة إليه قدم عليه ذلك الرجل يهنئه، فأكرمه أبو جعفر، وقال له: سل حاجتك، فقال له: أنت تعلم أني من الله في نعمة، ما لي حاجة إلا أني أشتهي أن يحدثني الأعمش، فاكتب إليه كتابًا ليحدثني، فكتب له أبو جعفر كتابًا بخطه إلى الأعمش يعرفه فيه وجوب حقه عليه ويأمره بأن يحدثه، فلما مضى الرجل بالكتاب وافى باب الأعمش فدقّه، وكان الأعمش يكره أن يدق عليه بابه، فقال: من ذا؟ ادخل، فدخل والأعمش يلخف كُسبًا للشاة فقال له: ما لك؟ فقال: هذا كتاب أمير المؤمنين إليك، فقال: هاته فأخذه ثم قال:

يا بسرة، فرفعت رأسها، فجعل يضفرها الكتاب حتى أكلته، ثم قال: أيش فيه؟ قال: فيه أن تحدثني، فقال: ما أحدثك بحرف، فقال: سبحان الله يا أبا محمد، يكتب إليك أمير المؤمنين في شيء فلا تفعله، فقال: والله ما أحدثك ولا أحدث قومًا أنت فيهم. [الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٣٧]



قال جعفر بن حمدويه: كنا بالكوفة على باب قبيصة بن عقبة ومعنا دُلَف بن أبي دُلَف بن عبد العزيز ومعه الخدم، فأبطأ قبيصة بالخروج، فدنا خادم وقال: ابن ملك الجبل على الباب وأنت تبطئ؟ فخرج وعليه إزار وفي طرفه كِسر، فقال: من رضي من الدنيا بهذا أيش يعمل بابن ملك الجبل، والله لا حدثته، ودخل وردَّ الباب. [الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٣٦]



قال مقاتل بن صالح الخراساني صاحب الحميدي بمكة: دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها، فبينا أنا عنده جالس إذ دق عليه داق الباب، فقال: يا صبية، اخرجي فانظري من هذا، قالت: هذا رسول محمد بن سليمان، قال: قولي له يدخل وحده فدخل فسلم وناوله كتابه، فقال: اقرأه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة، أما بعد: فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته، وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها، قال: يا صبية، هلمي الدواة، ثم قال لي: اقلب الكتاب

واكتب: أما بعد: وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا، فإن وقعت مسألة فأتنا فسلنا عما بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك، ولا تأتني بخيلك ورجلك، فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام، فبينا أنا عنده جالس إذ دق داق الباب، فقال: يا صبية، اخرجي فانظري من هذا، قالت: هذا محمد بن سليمان، قال: قولي له يدخل وحده، فدخل فسلم ثم جلس بين يديه، ثم ابتدأ فقال: ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رعبًا، فقال حماد: سمعت ثابتًا البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء**»، فقال: ما تقول يرحمك الله في رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى، فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله، قال: لا تفعل رحمك الله؛ فإني سمعت ثابتًا البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الله إذا أراد أن يعذب عبده بماله وفقه عند موته لوصية جائرة»، قال: فحاجة إليك، قال: هات، ما لم تكن رزية في دين، قال: أربعين ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه، قال: اردُدها على من ظلمته بها، قال: والله ما أعطيك إلا ما ورثته، قال: لا حاجة لي فيها، ازوها عني زوى الله عنك أوزارك، قال: فغير هذا، قال: هات، ما لم يكن رزية في دين، قال: تأخذها فتقسمها، قال: فلعلي إن عدلت في قسمها أن يقول بعض من لم يرزق منها: إنه لم يعدل في قسمها فيأثم، ازوها عني زوى الله عنك أوزارك.

[الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٦٢-٣٦٣]

❁ ❁ ❁

قال محمد بن المنذر الكندي وكان جارًا لعبد الله بن إدريس: حج الرشيد ومعه الأمين والمأمون، فدخل الكوفة فقال لأبي يوسف: قل للمحدثين يأتونا يحدثونا، فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة إلا اثنان: عبد الله بن إدريس، وعيسى بن يونس، فركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس، فحدثهما بمائة حديث، فقال المأمون لعبد الله: يا عم، أتأذن لي أن أعيدها عليك من حفظي، قال: افعل، فأعادها كما سمعها -وكان ابن إدريس من أهل الحفظ يقول: لولا أني أخشى أن يتفلت مني القرآن ما دونت العلم- فعجب عبد الله بن إدريس من حفظ المأمون، وقال المأمون: يا عم، إلى جانب مسجدك دارانِ إذا أذنت لنا اشتريناها ووسعنا بها المسجد، فقال: ما بي إلى هذا حاجة، قد أجزأ من كان قبلي، وهو يجزئني، فينظر إلى قرح في ذراع الشيخ فقال: إن معنا متطببين وأدوية، أفتأذن لي أن يجيئك من يعالجك؟ قال: لا، قد ظهر بي مثل هذا وبرأ، فأمر له بمال جائزة فأبى أن يقبله، وصارا إلى عيسى بن يونس فحدثهما، فأمر له المأمون بعشرة آلاف، فأبى أن يقبلها، فظن أنه استقلها فأمر له بعشرين ألفًا، فقال عيسى: لا ولا إهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو ملأت لي هذا المسجد ذهبًا إلى السقف، فانصرفا من عنده. [الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٦٣]



قال قطن بن إبراهيم القشيري: كنت عند سليمان بن حرب إذ أقبل طاهر بن عبد الله بن طاهر والمطرِّقة بين يديه، فلما جلس أقبل عليه سليمان، فقبض على لحيته، فقال: سبحان الله، يستخف بشيخ مثلي؟! قال: وما ذاك

يا أبا أيوب؟ قال: بعثت إليَّ أن تعال فحدثني، العالم يأتي أو يؤتى؟ قال: لا أعود يا أبا أيوب، قال: لا تعودن لشيء من هذا، إن أردت الحديث فهذا مجلسي.

[الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٧٠]

❁ ❁ ❁

أخذ ابن هبيرة أبا حنيفة، فأراده على ولاية القضاء، فأبى فحبسه، فقيل لأبي حنيفة: إنه حلف أن لا يخرجك حتى تلي له، وإنه يريد بناء، فتول له عد اللبِن، فقال: لو سألني أن أعد له أبواب المسجد لم أفعل.

[مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه ص ٢٥]

❁ ❁ ❁

لما دخل ربيعة بن أبي عبد الرحمن على الوليد بن يزيد وهو خليفة قال: يا ربيعة، حدثنا، قال: ما أحدث شيئًا. فلما خرج من عنده قال: ألا تعجبون من هذا الذي يقترح عليّ كما يقترح على المغنية: حدثنا يا ربيعة؟.

[الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٣٦]

❁ ❁ ❁

أتى ابنَ المبارك ابن والي خراسان، فسأله أن يحدثه، فأبى عليه ولم يحدثه، فلما خرج خرج معه ابن المبارك إلى باب الدار، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، سألتك أن تحدثني فلم تحدثني، وخرجت معي إلى باب الدار، فقال: أما نفسي فأهنتها لك، وأما حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإني أُجِلُّه عنك.

[الجامع لأخلاق الراوي ١/٣٣٦]



العمل بالعلم

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله»، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فقالت: يا أبا عبد الرحمن، بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن مَنْ لعن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن هو في كتاب الله؟ قالت: إني لأقرأ ما بين اللوحين فلم أجده، قال: إن كنت قارئة لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قالت: إني لأظن أهلك يفعلون بعض ذلك، قال: فاذهبي فانظري، فدخلتْ فلم تر شيئًا، فقال عبد الله: لو كانت كذلك لم نجامعها.

[جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٨٢]



قرأ أبو طلحة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا سورة براءة، فلما أتى على هذه الآية: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قال: أرى ربنا عَزَّ وَجَلَّ يستنفرنا شيوخًا وشبابًا، جهزوني أيْ بَنِيّ، فقال بنوه: يرحمك الله، قد غزوت مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى مات، ومع أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى مات، ومع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فنحن نغزو عنك، فأبى فجهزوه فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغير فدفنوه فيها.

[الزهد للإمام أحمد ص٤٢٩]



قال أبو عمرو ابن حمدان: كان والدي أبو جعفر يصلي صلاة المغرب مع أبي عثمان يعني سعيد بن إسماعيل، وربما أقام في بعض الليالي حتى يصلي معه صلاة العشاء الآخرة، فإذا أبطأ علينا خرجتُ إلى مسجد أبي عثمان، فخرجتُ ليلةً من الليالي إلى مسجد أبي عثمان، فخرج علينا لصلاة العشاء الآخرة وعليه إزار ورداء، فصلى بنا ثم دخل داره، ورجعتُ مع أبي إلى البيت، فقلت لأبي: يا أبت، أبو عثمان قد أحرم؟ فقال: لا، ولكنه هو ذا يسمع مني المسند الصحيح الذي خرَّجته على كتاب مسلم، فإذا سمع بسنةٍ لم يكن استعملها فيما مضى أحبَّ أن يستعملها في يومه وليلته، وإنه سمع في جملة ما قرئ عليّ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى في إزار ورداء، فأحبَّ أن يستعمل تلك السنة قبل أن يصبح. [الجامع لأخلاق الراوي ١/١٤٥]



قال إبراهيم بن هانئ النيسابوري: اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاث ليال، ثم قال: اطلب لي موضعًا حتى أدور، قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله، فقال لي: النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختفى في الغار ثلاثة أيام ثم دار، وليس ينبغي أن نتبع سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرخاء ونتركها في الشدة.

[طبقات الحنابلة ١/٩٧]



عن عبد الرحمن الطبيب، وهو طبيب الإمام أحمد بن حنبل وبشر الحافي، قال: اعتلّا جميعًا في مكان واحد، فكنتُ أدخل على بشر فأقول له: كيف تجدك يا أبا نصر؟ قال: فيحمد الله تعالى، ثم يخبرني فيقول:

أحمد الله إليك، أجد كذا وكذا، وأدخل على أبي عبد الله فأقول: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ فيقول: بخير، فقلت له يومًا: إن أخاك بشرًا عليلٌ، وأسأله بحاله فيخبرني، فيبدأ بحمد الله تعالى ثم يخبرني، فقال لي: سله عمّن أخذ هذا؟ فقلت له: إني أهابه أن أساله، فقال: قل له: قال لك أخوك أبو عبد الله: عمّن أخذت هذا؟ فدخلت عليه فعرّفته ما قال، فقال لي: أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بالإسناد: أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين: إذا حمد اللهَ تعالى العبدُ قبل الشكوى لم تكن شكوى، إنما أقول لك: أجد كذا أعرف قدرة الله تعالى فيّ، فخرجتُ من عنده فمضيتُ إلى أبي عبد الله فعرفته ما قال، فكنت بعد ذلك إذا دخلت عليه يقول: أحمد الله إليك، ثم يذكر ما يجد.

[المنتظم ١٢/١٦٧، ١٦٨]



قال قاسم بن إسماعيل بن علي: كنا بباب بشر بن الحارث، فخرج إلينا فقلنا: يا أبا نصر، حدثنا، فقال: أتؤدون زكاة الحديث؟ قلت له: يا أبا نصر، وللحديث زكاة؟ قال: نعم، إذا سمعتم الحديث فما كان في ذلك من عمل أو صلاة أو تسبيح استعملتموه. [الجامع لأخلاق الراوي ١/١٤٣]





سياسة الناس

جيء بتاج كسرى إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إن قومًا أدوا هذا لأمناء، فقال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن القوم رأوك عففت فعفوا، ولو رتعت لرتعوا.

[محض الصواب ٢/ ٦٢٥]



عن أسلم أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طاف ليلة فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولَها صبيان يبكون، وإذا قِدْر على النار قد ملأتها ماءً، فدنا عمر من الباب فقال: يا أمةَ الله، ما بكاء هؤلاء الصبيان؟ قالت: بكاؤهم من الجوع، قال: فما هذه القدر التي على النار؟ قالت: قد جعلت ماءً هو ذا أعلِّلهم به حتى يناموا وأوهمهم أن فيها شيئًا، فبكى عمر ثم جاء إلى دار الصَّدَقة وأخذ غِرارة وجعل فيها شيئًا من دقيق وشحم وسمن وتمر وثياب ودراهم حتى ملأ الغِرارة، ثم قال: يا أسلم احملْ عليَّ، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا أحمله عنك، فقال لي: لا أمَّ لك يا أسلم، أنا أحمله لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة؛ فحمله حتى أتى به منزل المرأة، فأخذ القدر فجعل فيها دقيقًا وشيئًا من شحم وتمر وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القِدْر، فرأيت الدخان يخرج من خَلَل لحيته حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، ثم خرج وربض بحذائهم كأنه سَبُع خفت أن أكلّمه، فلم يزل كذلك حتى لعب الصبيان وضحكوا. ثم قام فقال: يا أسلم، تدري لم ربضت بحذائهم؟ قلت:

لا، قال: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي. [تاريخ دمشق ٣٥٢/٤٤]



قدم على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسك وعنبر من البحرين، فقال عمر: والله، لوددت أني وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل: أنا جيدة الوزن فهلم أزن لك قال: لا، قالت: لم؟ قال: إني أخشى أن تأخذيه فتجعلينه هكذا -أدخل أصابعه في صدغيه- وتمسحين به عنقك، فأصيب فضلًا على المسلمين. [الزهد للإمام أحمد ص٩٨]

❁ ❁ ❁

قال عمر بن الخطاب لأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ادع لي كاتبك ليقرأ لنا صحفًا جاءت من الشام، فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد: قال عمر: أبه جنابة؟ قال: لا، ولكنه نصراني، فرفع يده، فضرب فخذه حتى كاد يكسرها ثم قال: ما لك قاتلك الله؟! أما سمعت قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾؟! ألا اتخذت رجلًا حنيفيًّا؟ فقال أبو موسى: له دينه ولي كتابته، فقال عمر: لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله. [عيون الأخبار ١٠٢/١]



عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: اشتريت إبلًا وارتجعتُها إلى الحمى، فلما سمِنتْ قدمت بها، فدخل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السوق فرأى إبلًا سمانًا، فقال: لمن هذه الإبل؟ فقيل: لعبد الله بن عمر، فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر! بخٍ بخٍ، ابنُ أمير المؤمنين، فجئته أسعى، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: يقال: ارْعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله ابن عمر، اغد على رأس مالك واجعل باقيه في بيت مال المسلمين.

[محض الصواب ٢/٦٠٦]

❁ ❁ ❁

خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر في جيش إلى العراق، فلما قفلا مرّا على أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو أمير البصرة، فرحب بهما وسهّل، وقال: لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت، ثم قال: بلى، ها هنا مال من مال الله، أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين وأسلفكما، فتبتاعان به من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤدّيان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح، فقالا: وددنا، ففعل وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال، فلما قدما على عمر قال: أكلّ الجيش أسلف كما أسلفكما، فقالا: لا، فقال عمر: أدّيا المال وربحه. فأما عبد الله فسكت، وأما عبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين لو هلك المال أو نقص لضمنّاه، فقال: أدّيا المال، فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله، فقال رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين،

لـو جعلته قراضـا، فقال عمر: قد جعلتـه قراضًا، فأخـذ رأس المال ونصف ربحه، وأخذا نصف ربحه. [الموطأ ٤/٩٩٢]



قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: شهدت جلولاء فابتعت من الغنائم بأربعين ألفًا، فقال عمر: يا عبد الله بن عمر لو انطلق بي إلى النار كنت مفتديّ؟ قلت: نعم، بكل شيء أملك. قال: فإني مخاصَمٌ، وكأني بك تبايع بجلولاء ويقولون: هذا عبد الله بن عمر صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابن أمير المؤمنين وأكرم أهله عليه، وأن يرخصوا عليك كذا وكذا درهمًا أحبّ إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم، وسأعطيك من الربح أفضل ما ربح رجل من قريش... ثم تركني سبعة أيام، ثم استدعى التجار، ثم قال: يا عبد الله بن عمر، إني مسؤولٌ، فباع من التجار متاعًا بأربع مئة ألف، فأعطاني ثمانين ألفًا وأرسل بثلاث مئة وعشرين ألفًا إلى سعد، فقال: اقسم هذا المال فيمن شهد الوقعة، فإن كان أحد منهم مات فابعث بنصيبه إلى ورثته.

[محض الصواب ٢/ ٦٠٧]



لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتل عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا استخصّ إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقرَّبه في المنزلة، فلم يزل على حالته عنده حتى خرج إلى عبد الملك زائرًا له، فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئًا، فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه، فدخل على عبد الملك فلم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين

برجل الحجاز لم أدع له والله فيها نظيرًا في كمال المروءة والأدب والديانة والستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة ووجوب الحق إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، وقد أحضرته بابك ليسهل عليك إذنك وتلقاه ببشرك وتفعل به ما تفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه، فقال عبد الملك: ذكّرتنا حقًّا واجبًا ورحمًا قريبة، يا غلام ائذن لإبراهيم بن طلحة، فلما دخل عليه قربه حتى أجلسه على فرشه ثم قال له: يا ابن طلحة، إن أبا محمد أذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق، فلا تدعن حاجة في خاص أمرك ولا عامه إلا ذكرتها، قال: يا أمير المؤمنين، إن أولى الأمور أن يفتتح بها الحوائج ويرجى بها الزلف ما كان لله عَزَّوَجَلَّ رضًى ولحقِّ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أداء، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة، وإن عندي نصيحةً لا أجد بدًّا من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال، فأخلني تَرِد عليك نصيحتي، قال: دون أبي محمد؟ قال: نعم، قال: قم يا حجاج، فلما جاوز الستر قال: قل يا ابن طلحة نصيحتك، قال: الله يا أمير المؤمنين؟ قال: الله، قال: إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعترسه وتعجرفه لبعده من الحق وركونه إلى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من فيهما وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار والموالي المنتسبة إلى الأخيار أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبناء الصحابة يسومهم الخسف ويقودهم بالعسف ويحكم فيهم بغير السنة ويطؤهم بطغام من أهل الشام ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ولا إزاحة باطل، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك وفيما بينك وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخلصك إذا جاثاك

للخصومة في أمته، أما والله لا تنجو هناك إلا بحجة تضمن لك النجاة، فأفق على نفسك أو دع، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»، فاستوى عبد الملك جالسًا وكان متكئًا، فقال: كذبت لعمر الله ومَقُتّ ولؤمت في ما جئت به، قد ظن بك الحجاج ما لم يجده فيك، وربما ظن الخير بغير أهله، قم فأنت الكاذب المائن الحاسد، قال: فقمت والله ما أبصر طريقًا، فلما خلفت الستر لحقني لاحق من قبله فقال للحاجب: احبس هذا، وأدخل أبا محمد الحجاج، فلبثت مليًّا لا أشك أنهما في أمري ثم خرج الإذن، فقال: قم يا ابن طلحة فادخل، فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج فاعتنقني وقبَّل ما بين عيني ثم قال: إذا جزى الله المتآخيين خيرًا بفضل تواصلهما فجزاك الله أفضل ما جزى به أخًا، فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرك ولأعلين كعبك ولأتبعن الرجال غبار قدميك، فقلت: يهزأ بي، فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني حتى أجلسني في مجلسي الأول ثم قال: يا ابن طلحة، لعل أحدًا من الناس شاركك في نصيحتك؟ قلت: لا والله ولا أعلم أحدًا كان أظهر عندي معروفًا ولا أوضح يدًا من الحجاج، ولو كنت محابيًا أحدًا بديني لكان هو ولكني آثرت الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، فقال: قد علمت أنك آثرت الله عزوجل ورسوله، ولو أردت الدنيا لكان لك في الحجاج أمل، وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهتَ من ولايته عليهما، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استصغارًا لهما، ووليته العراقين لما هناك من الأمور التي لا يرخصها إلا مثله، وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له عليهما استزادة له ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني

إليك أجر نصيحتك، فاخرج معه، فإنك غير ذام صحبته مع تقريظه إياك ويدِك عنده، فخرجت على هذه الجملة. [تاريخ دمشق ١٤٢/٧]



قال عمرو بن مهاجر: اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحًا فقال: لو أن عندنا شيئًا من تفاح فإنه طيب، فقام رجل من أهله فأهدى إليه تفاحًا، فلما جاءه به الرسول قال: ما أطيبه وأطيب ريحه وأحسنه، ارفع يا غلام، واقرأ على فلان السلام وقل له: إن هديتك قد وقعت عندنا بحيث تحبّ، قال عمرو بن مهاجر: فقلت له: يا أمير المؤمنين، ابن عمك رجلٌ من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، قال: إن الهدية كانت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدية وهي لنا رشوة. [حلية الأولياء ٢٩٤/٥]

❁ ❁ ❁

لما عُزِل شَرِيكٌ عن القضاء تعلَّق به رجلٌ ببغداد، فقال: يا أبا عبد الله، لي عليك ثلاث مائة درهم فأعطنيها، قال: ومن أنا؟ قال: أنت شريك بن عبد الله القاضي، قال: ومِن أين هي لك؟ قال: ثمن هذا البغل الذي تحتك، قال: نعم تعال، فجاء يمشي معه حتى إذا بلغ الجسر، قال: مَن هاهنا؟ فقام إليه أولئك الشرط، فقال: خذوا هذا فاحبسوه، لئن أطلقتموه لأخبرن أبا العباس عبد الله بن مالك، فقالوا له: إن هذا الرجل يتعلَّق بالقاضي إذا عزل فيدَّعي عليه فيفتدي منه، وقد تعلَّق بسلمة الأحمر حين عزل عن واسط فأخذ منه أربع مائة درهم، فقال: هكذا؟ فكُلِّم فيه فأبى أن يطلقه، فقال له

عبد الله بن مالك: إلى كم تحبس هذا الرجل؟ قال: حتى يرد إلى سلمة الأحمر أربع مائة درهم، فردَّ على سلمة أربع مائة، فجاء سلمةُ إلى شريك فتشكَّر له، فقال له: يا ضعيفُ، كلُّ مَن سألك مالَك أعطيتَه إياه؟!
[تاريخ بغداد ١٠/١٨٨]



لما ولي عمر بن عبد العزيز أتت عمة له إلى فاطمة امرأته، فقالت: إني أريد كلام أمير المؤمنين، قالت لها: اجلسي حتى يفرغ، فجلست فإذا بغلام قد أتى فأخذ سراجًا، فقالت لها فاطمة: إن كنت تريدينه فالآن، إذا كان في حوائج العامة كتب على الشمع وإذا صار إلى حاجة نفسه دعا بسراجه، فقامت فدخلت عليه، فإذا بين يديه أقراص وشيء من ملح وزيت وهو يتعشى، فقالت: يا أمير المؤمنين، أتيت بحاجة لي ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي، قال: وما ذاك يا عمة؟ قالت: لو اتخذت لك طعامًا ألين من هذا، قال: ليس عندي يا عمة، ولو كان عندي لفعلت، قالت: يا أمير المؤمنين، كان عمك عبد الملك يجري علي كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادني، ثم وليت أنت فقطعته عني، قال: يا عمة، إن عمي عبد الملك وأخي الوليد وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذاك المال لي فأعطيكه، ولكني أعطيك مالي إن شئت، قالت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: عطائي مائتا دينار فهي لك، قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟ قال: فليس أملك غيره يا عمة، فانصرفتْ عنه.
[سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٦٠]



قال زياد بن أبي زياد: أرسلني ابن عياش بن أبي ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز في حوائج له فدخلت عليه وعنده كاتب يكتب فقلت: السلام عليكم، فقال: وعليكم السلام ثم انتبهت فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فقال: يا ابن زياد، إنا لسنا ننكر الأولى التي قلتَ، والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة فقال لي: اجلس فجلست على أُسكُفّة الباب وهو يقرأ عليه وعمر يتنفس الصُّعَداء، فلما فرغ أخرج من كان في البيت حتى وصيفًا كان فيه ثم قام يمشي إلي حتى جلس بين يدي ووضع يديه على ركبتي ثم قال: يا ابن أبي زياد، استدفأتَ في مدرعتك هذه -وعلي مدرعة من صوف- واسترحت مما نحن فيه! ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة رجالهم ونسائهم، فما ترك منهم أحدًا إلا سألني عنه وسألني عن أمور كان أمر بها بالمدينة فأخبرته، ثم قال: يا ابن أبي زياد، أما ترى ما وقعت فيه؟ قلت: أبشر يا أمير المؤمنين إني لأرجو لك خيرًا، قال: هيهات هيهات ثم بكى حتى جعلت أرثي له، قلت: يا أمير المؤمنين، بعضَ ما تصنع؛ فإني أرجو لك خيرًا، قال: هيهات هيهات، أَشتِمُ ولا أُشتَم وأَضرب ولا أُضرَب وأوذي ولا أوذى، ثم بكى حتى جعلت أرثي له، فأقمت حتى قضى حوائجي... وكتب إلى مولاي يسأله أن يبيعني منه، فأبى وأعتقني. [الزهد للإمام أحمد ص٢٤٢]



دخل ناس من الحرورية على عمر بن عبد العزيز فذاكروه شيئًا، فأشار إليه بعض جلسائه أن يرعبهم ويتغير عليهم، فلم يزل عمر يرفق بهم حتى

أخذ عليهم ورضوا منه أن يرزقهم ويكسيهم ما بقي، فخرجوا على ذلك، فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه فقال: يا فلان، إذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك دون الكي فلا تكوينه أبدًا.

[سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ١/٧٦-٧٧]



كان بريد عمر بن عبد العزيز لا يعطيه أحد من الناس إذا خرج كتابًا إلا حمله، فخرج بريد من مصر فدفعت إليه فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح كتابًا تذكر فيه أن لها حائطًا قصيرًا وأنه يُقتحم عليها منه فيسرق دجاجها، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح بلغني كتابك وما ذكرت من قصر حائطك وأنه يدخل عليك منه فيسرق دجاجك، فقد كتبت لك كتابًا إلى أيوب بن شرحبيل -وكان أيوب عامله على صلاة مصر وحربها- آمره أن يبني لك ذلك حتى يحصنه لك مما تخافين إن شاء الله والسلام. وكتب إلى أيوب بن شرحبيل: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى ابن شرحبيل أما بعد فإن فرتونة مولاة ذي أصبح كتبت إلي تذكر قصر حائطها وأنه يسرق منه دجاجها وتسأل تحصينه لها، فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها، فلما جاء الكتاب إلى أيوب ركب ببدنه حتى أتى الجيزة يسأل عن فرتونة حتى وقع عليها، وإذا هي سوداء مسكينة، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين فيها وحصنه لها.

[سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص٦٣]



قال دواد بن زنبر: لما شكا الناسُ الجورَ أيام المنصور كتب أهل اليمن وأهل مصر والشام والعراقَين إلى عبد الله بن عبد العزيز العمري الزاهد يحرِّضونه على القيام على المنصور وقالوا له: نحن نبايعك على هذا الأمر، فلما تواترت الكتب عليه وقع في قلب العمريّ من ذلك شيء أقلقه، وكان خارج المدينة، فقدم وأرسل إليَّ بعد العشاء الآخرة، فدخلتُ عليه، فقال لي: قد رأيت أهل المدينة مجمعين أنك أرجحهم عقلًا وأصحهم عقدة، وإني دعوتك لأمرٍ دهاني وأهمَّني، قال داود: ثم قصّ عليّ أمر الكتب المتواترة عليه من الأقطار، وما أراده من القيام على المنصور والإجابة إلى البيعة لنفسه، ثم قال لي: اذهب الآن في هذا الوقت إلى مالك بن أنس، وقص عليه عني هذا الشأن -وكان الذي بينهما متباعدًا- وقل له: هل يجوز لي القيام لتغيير هذا الظالم، أم يحل لي القعود عن هذا الأمر وأنا مستطيع له؟ فمهما أجابك به مالك من جوابٍ فلا تقبله منه إلا بحجة؛ فإني لا أقبله منك إلا بحجة عنه، قال داود: فجئت مالكًا للوقت، فاستأذنت فأذن لي وقال: ما أزعجك في هذا الوقت؟ فقصصتُ عليه قصة العمري، فقال مالك: قل له عني: لا أرى لك القيام في هذا الأمر، فقلت له: إنه لا يقبل منك إلا بحجة، فما حجتك؟ قال: قل له: إن عمر بن عبد العزيز كان رجلًا رشيدًا، وإن الناس ارتضَوْا سيرته، ثم لما احتضر قال: لو كان إليَّ من هذا الأمر شيء أطيقه لجعلت الخلافة في عنق هذا الأعمش، يعني القاسم بن محمد أحد الفقهاء السبعة، ولكني أخاف أن تُسْفَك الدماء دون ذلك؛ لأن بني أمية لا تدع هذا الأمر لغيرها حتى تسفك فيه الدماء، قال مالك: وأنا أرى أن بني العباس لا تدع هذا الأمر للعمريّ

حتى يسفك فيه الدماء، فيكون الفساد الذي أراد العمريّ إصلاحه وإزالته أكثر وأعظم، فلا أرى له أن يقوم لهذا الأمر، قال داود: فرجعت إلى العمريّ في الوقت، فأخبرته بقول مالك وحجته، فقال: صدق مالك ونصح، وما قُدِّم إلا لفضله، ثم انصرف إلى موضعه، وأقبل على عبادته، ومزَّق الكتب، ولم يجب عليها. [التسمية والحكايات عن نظراء مالك وأصحابه ص٨٩-٩٠]

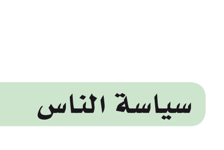
❁❁❁

قال يحيى الغساني: لما ولاني عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الموصل قدمتها، فوجدتها من أكبر البلاد سرقًا ونقبًا، فكتبتُ إلى عمر أعلمه حال البلد، وأسأله آخذ من الناس بالمظِنّة وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبيّنة وما جرت عليه عادة الناس؟ فكتب إليّ أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنّة، فإن لم يُصلِحهم الحقّ فلا أصلحهم الله، قال يحيى: ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقله سرقًا ونقبًا.

[حلية الأولياء ٥/٢٧١]



كان الإمام قرعوس بن حميد الثقفي ممن اتهم بالتهييج والقيام بالرَّبَض على السلطان - أي: الحكم بن هشام -، فسيق فيمن سيق ملبَّبًا ووقف به تحت النطع، وكلمه فتى على لسان الأمير، وقال له: مثلك من أهل الديانة والأمانة في العلم يتابع السفلة؟ فلو نفذ لهم أمرٌ كم كان يهتك من الستور ويستحل من الفروج إلى أن يقوم إمام يريح الناس، فقال: معاذ الله أن أفعل وأن أقع



في مثل هذا بيد أو لسان، فقد سمعت مالكًا والثوري يقولان: سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار. فقال له الحكَم: أنت سمعت منهما؟ قال: لقد سمعته منهما، فخلّى سبيله.

[ترتيب المدارك ٣ /٣٢٦]





التواصي بالحق

أتى رجلٌ عمرَ بن الخطّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: إنّ قومي قدَّموني فصلَّيت بهم ثمّ أمروني أن أقُصَّ عليهم ففعلت، فقال له عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: صلِّ بهم، ولا تقصَّ عليهم، فتردَّد إلى عمر ثلاث مرّات أو أربعًا، فقال له عمر: لا تقصَّ؛ فإني أخاف عليك أن ترفع نفسك قبضةً فيضعَك اللهُ قبضة.

[الزهد للإمام أحمد ص٢٣٣]



كان رجل ذو بأسٍ من أهل الشام يُوفَد إلى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لبأسه، وإن عمر فقده فسأل عنه، فقيل له: تَتَايَع في هذا الشراب! فدعا كاتبه فقال: اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان، سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، ثم دعا وأمّن من عنده ودعَوْا له أن يُقْبِل الله بقلبه وأن يتوب عليه، فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول: غافر الذنب قد وعدني الله أن يغفر لي، وقابل التوب شديد العقاب قد حذرني الله عقابه، ذي الطول والطول الخير الكثير، لا إله إلا هو إليه المصير، فلم يزل يردّدها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخًا لكم زلّ زلةً فسدِّدوه ووفّقوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا عونًا للشيطان عليه.

[حلية الأولياء ٤/٩٧]



كتب أبو الدرداء إلى سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هلمّ إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه: إن الأرض لا تقدس أحدًا، وإنما يقدّس المرءَ عملُه، وقد بلغني أنك جُعِلْتَ طبيبًا، فإن كنت تبرئ فنِعِمّا لك، وإن كنتَ متطبِّبًا فاحذر أن تقتل إنسانًا فتدخل النار، فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين ثم أدبرا عنه نظر إليهما وقال: متطبِّبٌ والله، ارجعا أعيدا عليّ قصتكما.

[سير أعلام النبلاء ١/٥٤٩]



قال أبو بكر النجاد: ضقتُ وقتًا من الزمان، فمضيتُ إلى إبراهيم الحربي فذكرت له قصتي، فقال: اعلم أنني ضقت يومًا حتى لم يبق معي إلا قيراط، فقالت الزوجة: فتِّش كتبك، وانظر ما لا تحتاج إليه فبعه، فلما صليت العشاء الآخرة جلست في الدهليز أكتب، إذ طرق عليّ الباب طارق، فقلت: من هذا؟ فقال: كلمني، ففتحت الباب، فقال لي: أطفئ السراج، فطفيتها، فدخل الدهليز، فوضع فيه كارة، وقال لي: اعلم أننا أصلحنا للصبيان طعامًا، فأحببنا أن يكون لك وللصبيان فيه نصيب، وهذا أيضًا شيء آخر، فوضعه إلى جانب الكارة، وقال: تصرفه في حاجتك، وأنا لا أعرف الرجل، وتركني وانصرف، فدعوتُ الزوجة، وقلت لها: أسرجي، فأسرجت، وجاءت، وإذا الكارة: منديل له قيمة، وفيه خمسون وسطًا، في كل وسط لون من الطعام، وإلى جانب الكارة كيس فيه ألف دينار.

[طبقات الحنابلة ٢/٨]



قال أحمد بن سعيد الرباطي: قدمت على أحمد بن حنبل فجعل لا يرفع رأسه إلي، فقلت: يا أبا عبد الله، إنه يكتب عنى بخراسان، وإن عاملتني بهذه المعاملة رموا بحديثي، فقال لي: يا أحمد، هل بد يوم القيامة من أن يقال: أين عبد الله بن طاهر وأتباعه؟ انظر أين تكون أنت منه؟ قال: قلت يا أبا عبد الله، إنما ولاني أمر الرباط، لذلك دخلت فيه، قال: فجعل يكرر علي: يا أحمد، هل بد يوم القيامة من أن يقال: أين عبد الله بن طاهر وأتباعه؟ فانظر أين تكون أنت منه؟ [تاريخ بغداد ٥/ ٢٧١]



قال محمد بن أبي عتاب الأعين: أتيت آدم العسقلاني فقلت له: عبد الله ابن صالح كاتب الليث بن سعد يقرئك السلام، قال: لا تقرئه مني السلام، فقلت له: لم؟ قال: لأنه قال: القرآن مخلوق، فأخبرته بعذره وأنه أظهر الندامة وأخبر الناس بالرجوع، فقال: أقرئه مني السلام، فقلت له بعد: إني أريد أن أخرج إلى بغداد فلك حاجة؟ قال: نعم، إذا أتيت بغداد فائت أحمد بن حنبل، فأقرئه مني السلام، وقل له: يا هذا، اتق الله، وتقرب إلى الله بما أنت فيه، ولا يستفزنك أحد؛ فإنك إن شاء الله مشرف على الجنة، وقل له: حدثنا الليث بن سعد حدثنا محمد بن عجلان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أرادكم على معصية الله فلا تطيعوه**»، فأتيت أحمد بن حنبل في السجن، فدخلت عليه فسلمت عليه



وأقرأته السلام، وقلت له هذا الكلام والحديث، فأطرق أحمد إطراقة ثم رفع رأسه فقال: رحمه الله حيًّا وميتًا، فلقد أحسن في النصيحة.

[طبقات الحنابلة ١/٣٣١]



كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله بن عمر: أما بعد، فإن الله عَزَّوَجَلَّ ابتلاني بما ابتلاني به من هذا الأمر عن غير مشورة ولا طلب له، ولكن كان ما قدر الله عَزَّوَجَلَّ، فاسألِ الله الذي ابتلاني بما ابتلاني أن يعينني عليه، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إليّ بكتب عمر بن الخطاب وقضائه وسيرته في أهل الذمة؛ فإني متّبع أثره وسائر بسيرته إن أعانني الله على ذلك والسلام، فكتب إليه سالم: جاءني كتابك تذكر أن الله عَزَّوَجَلَّ ابتلاك بما ابتلاك به من هذا الأمر من غير طلب ولا مشورة كان منك، ولكن ما كان قدر الله أن يبتليك، فأسأل الله الذي ابتلاك بما ابتلاك به أن يعينك عليه؛ فإنك لست في زمان عمر وليس عندك رجال عمر، فإن نويتَ الحق وأردتَه أعانك الله عليه وأتاح لك عمالًا وأتاك بهم من حيث لا تحتسب؛ فإن عون الله على قدر النية، فمن تمت نيته في الخير تمّ عون الله له، ومن قصرت نيته قصر من العون بقدر ما قصر منه، والسلام.

[الزهد للإمام أحمد ص٢٤٤-٢٤٥]



قال فضيل بن عياض: لما دخل علي هارون أمير المؤمنين، قلت: يا حسن الوجه! لقد كلفت أمرًا عظيمًا، أما إني ما رأيت أحدًا أحسن وجهًا منك، فإن قدرت أن لا تسود هذا الوجه بلفحة من النار فافعل. قال: عظني.

قلت: بماذا أعظك؟ هذا كتاب الله بين الدفتين، انظر ماذا عمل بمن أطاعه وماذا عمل بمن عصاه، إني رأيت الناس يغوصون على النار غوصًا شديدًا، ويطلبونها طلبًا حثيثًا، أما والله، لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها. فقال: عد إلي، فقلت: لو لم تبعث إلي لم آتك، وإن انتفعت بما سمعت عدت إليك.

[سير أعلام النبلاء ٨/٤٣٦]



قال أبو جعفر الأنباري: لما حُمل أحمد إلى المأمون أخبرت فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تعنيت، فقلت: يا هذا، أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبنّ خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعنّ خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بدّ من الموت، فاتق الله ولا تجب، فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله، ثم قال: يا أبا جعفر، أعد عليّ، فأعدت عليه وهو يقول: ما شاء الله.

[سير أعلام النبلاء ١١/٢٣٨]



قال صالح بن الإمام أحمد: حُمِل أبي ومحمد بن نوح من بغداد مقيَّدَيْنِ، فصرنا معهما إلى الأنبار، فسأل أبو بكر الأحول أبي: يا أبا عبد الله، إن عُرِضْتَ على السيف تجيب؟ قال: لا، ثم سُيِّرا، فسمعت أبي يقول: صرنا إلى الرحبة، ورحلنا منها في جوف الليل، فعرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا، فقال للجمال: على رسلك، ثم قال: يا هذا، ما عليك أن تقتل ههنا، وتدخل الجنة! ثم قال: أستودعك الله، ومضى، فسألت عنه، فقيل لي:



هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الشعر في البادية، يقال له: جابر بن عامر، يذكر بخير. [سير أعلام النبلاء ١١/٢٤١]



قال الإمام الشافعي: كنت يتيمًا في حجر أمي فدفعتني في الكُتاب ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، فكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء وكنت أسمع الحديث أو المسألة فأحفظها، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أن أشتري به قراطيس قط، فكنت إذا رأيت عظمًا يلوح آخذه فأكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديمًا، ثم قدم والٍ على اليمن فكلمه لي بعض القرشيين أن أصحبه ولم يكن عند أمي ما تعطيني أتحمل به، فرهنت دارها بستة عشر دينارًا فأعطتني فتحملت بها معه، فلما قدمنا اليمن استعملني على عمل فحُمدتُ فيه، فزادني عملًا فحمدت فيه، فزادني عملًا وقدم العمار مكة في رجب فأثنوا علي، فطار لي بذلك ذكر، فقدمت من اليمن فلقيت ابن أبي يحيى فسلمت عليه فوبخني وقال: تجالسونا وتصنعون وتصنعون، فإذا شرع لأحدكم شيء دخل فيه، أو نحو هذا من الكلام، قال: فتركته ثم لقيت سفيان بن عيينة فسلمت عليه فرحب بي، وقال: قد بلغتنا ولايتك، فما أحسن ما انتشر عنك وما أديت كل الذي لله عليك، فلا تعد، قال: فكانت موعظة سفيان إياي أبلغ مما صنع بي ابن أبي يحيى. [جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤١٣]



الحسبـــة

قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو الفطر، فلما أتينا المصلى إذا منبرٌ بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرقاه قبل أن يصلي، فجبذتُ بثوبه، فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيَّرتم والله! فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة. [صحيح البخاري ١/٢٢٦]



خرج غلمان من أهل البحرين يلعبون بالصوالجة، وأسقف البحرين قاعد، فصكت الكرة صدره فأخذها، فجعلوا يطلبون إليه في ردها، فأبى، فقال غلام منهم: أسألك بحق محمد لما رددتها علينا، فشتم رسول الله، فأقبلوا عليه بصوالجهم وما زالوا يخبطونه حتى مات. فرفع ذلك إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة من غنائم المسلمين كفرحه بقتل أولئك الغلمان الأسقف، وقال: الآن عز الإسلام، إن غلمة صغارًا سمعوا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا. ثم أهدر دم الأسقف. [ربيع الأبرار للزمخشري ٥/٣٠]



دخل جامع المحاربي على الحجاج، فجعل الحجاج يشكو سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم، فقال له جامع: أما إنه لو أحبوك لأطاعوك، على

أنهم ما شنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع عنك ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك. قال الحجاج: ما أرى أن أرد بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف، قال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار، قال الحجاج: الخيار يومئذ لله، قال: أجل، ولكنك لا تدري لمن يجعله الله، فغضب وقال: يا هناه، إنك من محارب، فقال جامع:

وللحرب سُمّينا وكنا محاربًا   إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

فقال الحجاج: والله لقد هممت بأن أخلع لسانك فأضرب به وجهك. قال جامع: إن صدَقناك أغضبناك، وإن غششناك أغضبنا الله، فغضبُ الأمير أهون علينا من غضب الله، قال: أجل، وسكت. [العقد الفريد ٢/ ٥٣]



قال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي: كنت أطلب العلم مع أبي جعفر المنصور قبل الخلافة، فأدخلني منزله، فقدم إلي طعامًا لا لحم فيه ثم قال: يا جارية، عندك حلواء؟ قالت: لا، قال: ولا التمر؟ قالت: لا، فاستلقى وقرأ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٩] فلما ولي الخلافة وفدت إليه، فقال: كيف سلطاني من سلطان بني أمية؟ قلت: ما رأيت في سلطانهم من الجور شيئًا إلا رأيته في سلطانك، فقال: إنا لا نجد الأعوان، قلت: قال عمر بن عبد العزيز: إن السلطان بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فإن كان برًّا أتوه ببرهم، وإن كان فاجرًا أتوه بفجورهم، فأطرق.

[تاريخ الخلفاء ٩٩/١]

قال سفيان الثوري: أُدخلتُ على أبي جعفر بمنى، فقلت له: اتق الله، فإنما أنزلتَ هذه المنزلة وصرتَ في هذا الموضع بسيوفِ المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعًا، حجَّ عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسه عشر دينارًا، وكان ينزل تحت الشجر، فقال لي: فإنما تريد أن أكون مثلك؟ قلت: لا تكن مثلي، ولكن كن دون ما أنت فيه وفوق ما أنا فيه، فقال لي: اخرج.

[الجرح والتعديل ١٠٦/١]

❁ ❁ ❁

قال سفيان الثوري: أدخلت على المهدي بمنى، فسلمت عليه بالإمرة، فقال: أيها الرجل، طلبناك فأعجزتنا، فالحمد لله الذي جاء بك، فارفع إلينا حاجتك، فقلت: قد ملأت الأرض ظلمًا وجورًا، فاتق الله وليكن منك في ذلك عبرة، فطأطأ رأسه، ثم قال: أرأيت إن لم أستطع دفعه؟ قلت: تخليه وغيرك، فطأطأ رأسه ثم قال: ارفع إلينا حاجتك، قلت: أبناء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالباب، فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم، فطأطأ رأسه، فقال: أيها الرجل! ارفع إلينا حاجتك، قلت: وما أرفع؟ حدثني إسماعيل بن أبي خالد قال: حجّ عمر، فقال لخازنه: كم أنفقتَ؟ قال: بضعة عشر درهمًا، وإني أرى ههنا أمورًا لا تطيقها الجبال.

[سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٧]

❁ ❁ ❁

قال صالح بن بشير المري: دخلت على المهدي بالرصافة، فلما مثلت بين يديه قلت: يا أمير المؤمنين، احمل لله ما أكلمك به اليوم؛ فإن أولى الناس

بالله أحملهم لغلظة النصيحة فيه، وجدير بمن له قرابة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرث أخلاقه ويأتم بهديه، وقد ورثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثًا قطع به عذرك، فمهما ادعيت من حجة أو ركبت من شبهة لم يصح لك فيهما برهان من الله حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم أو أقدمت عليه من شبهة الباطل، واعلم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصم من خالف في أمته يبتزها أحكامها، ومن كان محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصمه كان الله خصمه، فأعدّ لمخاصمة الله ومخاصمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حججًا تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة، واعلم أن أبطأ الصرعى نهضةً صريع هوى، وأن أثبت الناس قدمًا يوم القيامة آخَذُهم بكتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية، ولكن تمثل له الإساءة إحسانًا ويشهد له عليها خونة العلماء، وبهذه الحبالة تصيدت الدنيا نظراءك، فأحسن الحمل فقد أحسنت إليك الأداء، فبكى المهدي ثم أمر له بشيء فلم يقبله.

[وفيات الأعيان ٢/٤٩٥]

❁ ❁ ❁

قال الأوزاعي: بعث عبد الله بن علي إليَّ، فاشتدّ ذلك عليّ وقدمتُ، فدخلتُ والناس سِماطان - صَفّان - فقال: ما تقول في مخرجنا وما نحن فيه؟ قلت: أصلح الله الأمير، قد كان بيني وبين داود بن علي مودة، قال: لتخبرني، فتفكرت، ثم قلت: لأصدقنه، واستبسلت للموت، ثم رويت له عن يحيى بن سعيد حديث الأعمال، وبيده قضيبٌ ينكت به، ثم قال: يا عبد الرحمن! ما تقول في قتل أهل هذا البيت؟ قلت: حدثني محمد بن

مروان عن مطرف بن الشخير عن عائشة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يحل قتـل المسـلم إلا في ثلاث...**» الحديث، فقال: أخـبرني عن الخلافة، وصية لنا من رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقلـت: لـو كانت وصية مـن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـا ترك عـلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحدًا يتقدمه، قـال: فما تقول في أموال بنـي أمية؟ قلت: إن كانـت لهم حلالًا فهي عليك حـرام، وإن كانت عليهم حرامًا فهي عليك أحرم، فأمرني، فأخرجت. [سير أعلام النبلاء ٧/١٢٤]

❁ ❁ ❁

مرّ المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار متبخترًا، فقال: أما علمتَ أنها مِشيةٌ يكرهها الله إلا بين الصَّفَّينِ؟ فقال المهلَّب: أما تعرفني؟ قال: بلى، أوّلك نطفة مَذِرة وآخرك جيفةٌ قَذِرة وأنت فيما بين ذلك تحمِل العَذِرة، فانكسر، وقال: الآن عرفتني حقَّ المعرفة. [سير أعلام النبلاء ٥/٣٦٢]

❁ ❁ ❁

قال القاضي ابن أبي يعلى: وفي سنة أربع وستين وأربعمائة اجتمع الشريف أبو جعفر ومعه الحنابلة في جامع القصر وأدخلوا معهم أبا إسحاق الشيرازي وأصحابه وطلبوا من الدولة قلع المواخير وتتبع المفسدين والمفسدات ومن يبيع النبيذ وضَرْب دراهم تقع بها المعاملة عوض القراضة، فتقدم الخليفة بذلك، فهرب المفسداتُ وكُبِسَت الدور وأريقت الأنبذة ووعدوا بقلع المواخير ومكاتبة عضد الدولة برفعها والتقدم بضرب الدراهم التي يتعامل بها، فلم يقنع الشريف ولا أبو إسحاق بهذا الوعد، وبقي الشريف مدة طويلة

متعتبًا مهاجرًا لهم. وحكى أبو المعالي صالح بن شافع عمن حدثه أن الشريف رأى محمدًا وكيل الخليفة حين غرقت بغداد سنة ست وستين وجرى على دار الخلافة العجائب وهُم في غاية التخبط، فقال الشريف أبو جعفر: يا محمد، فقال له: لبيك يا سيدنا، فقال له: قل له: كتبنا وكتبتم، وجاء جوابنا قبل جوابكم، يشير إلى قول الخليفة: سنكاتب في رفع المواخير، ويريد بجوابه: الغرق وما جرى فيه. [طبقات الحنابلة مع الذيل ٣/١٨]



لما خرج إبراهيم ومحمد على المنصور أراد أهلَ الثغور أن يعينوه عليهما، فأبوا ذلك فوقع في يد ملك الروم ألوف من المسلمين أسرى، وكان ملك الروم يحبّ أن يفادي بهم ويأبى أبو جعفر، فكتب إليه الأوزاعي: أما بعد فإن الله استرعاك هذه الأمة لتكون فيها باللين قائمًا وبنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خفض الجناح والرأفة متشبهًا، وأنا أسأل الله أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة ويرزقه رحمتها، فإن سائخة المشركين وموطئهم حريم المسلمين واستنزالهم العواتق من المعاقل لا يلقون لهن ناصرًا ولا عنهن مدافعًا كاشفاتٍ عن رؤوسهن وأقدامهن من أعظم المصائب، وكان ذلك من الله بمرأى ومسمع، فليتق الله أمير المؤمنين وليسع بالمفاداة فيهم وليخرج من حجة الله عليه؛ فإن الله قال لنبيه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾، والله يا أمير المؤمنين ما لهم

يومئذ فيء موقوف ولا ذمة تؤدي خراجًا إلا خاصة أموالهم، وقد بلغني عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إني لأسمع بكاء الصبي في الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتن أمه**»، وكيف بتخليتهم في أيدي عدوهم يمتهنونهم ويطؤونهم، وأنت راعٍ والله فوقك ومستوفٍ منك يوم توضع الموازين القسط ليوم القيامة، فلما وصل كتابه أمر بالفداء. [تاريخ الإسلام ٩/٤٩٣]



قدم العز بن عبد السلام إلى مصر من دمشق بسبب أن سلطانها الصالح إسماعيل استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف، فأنكر عليه الشيخ عز الدين، وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي، فغضب السلطان منهما، فخرجا إلى الديار المصرية، فأرسل السلطان إلى الشيخ عز الدين وهو في الطريق قاصدًا يتلطف به في العود إلى دمشق، فاجتمع به ولاينه، وقال له: ما نريد منك شيئًا إلا أن تنكسر للسلطان، وتقبل يده لا غير، فقال الشيخ له: يا مسكين، ما أرضاه يقبل يدي فضلًا عن أن أقبل يده! يا قوم، أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ! والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاكم، فلما وصل إلى مصر تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه، وولاه قضاء مصر. [حسن المحاضرة ٢/١٦١]



قال أبو بكر الجلاء: كان النوري إذا رأى منكرًا غيَّره ولو كان فيه تَلَفُه، نزل يومًا فرأى زورقًا فيه ثلاثون دنًّا، فقال للملّاح: ما هذا؟ قال: ما يلزمك،

فألحّ عليه، فقال: أنت والله صوفيٌّ كثير الفضول، هذا خمر للمعتضد، قال: أعطني ذلك المِدْرى، فاغتاظ وقال لأجيره: ناوله حتى أبصر ما يصنع، فأخذه ونزل فكسّرها كلَّها غير دنّ، فأُخِذَ وأدخل إلى المعتضد، فقال: من أنت ويلك؟ قال: محتسِب، قال: ومن ولّاك الحسبة؟ قال: الذي ولّاك الإمامة يا أمير المؤمنين! فأطرق وقال: ما حملك على فعلك؟ قال: شفقة منِّي عليك! قال: كيف سَلِم هذا الدنّ؟ فذكر أنه كان يكسر الدنان ونفسُه مخلصة خاشعة، فلما وصل إلى هذا الدنِّ أعجبَتْه نفسُه فارتاب فيها، فتركه.

[سير أعلام النبلاء ١٤/٧٦]



استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء، فأذن له، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلًا يهوديًا كاتبًا كانت له عنده منزلة وقربة لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته، فلما رآه الفقيه قال - وقد كان المأمون أومأ إليه بالجلوس -: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس، قال: نعم، فأنشد:

إن الذي شُرّفت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذبُ

وأشار إلى اليهودي، فخجل المأمون ووجم ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودي مسحوبًا على وجهه وأنفذ عهدًا باطّراحه وإبعاده وألا يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله.

[بهجة المجالس ١/٣٥]

رأى السلطان نور الدين زنكي النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول: أنجدني أنقذني من هذين، فاستيقظ فزعًا، ثم توضأ وصلى ونام، فرأى المنام بعينه، فاستيقظ وصلى ونام فرآه أيضًا مرة ثالثة، فاستيقظ وقال: لم يبق نوم، وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي، فأرسل خلفه ليلًا وحكى له جميع ما اتفق له، فقال له: وما قعودك؟ اخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت، فتجهز في بقية ليلته وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفرًا وصحبته الوزير المذكور ومال كثير، فقدم المدينة في ستة عشر يومًا، فاغتسل خارجها ودخل فصلى بالروضة وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع، فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد: إن السلطان قصد زيارة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحضر معه أموالًا للصدقة، فاكتبوا من عندكم، فكتبوا أهل المدينة كلهم، وأمر السلطان بحضورهم وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له فلا يجد تلك الصفة، فيعطيه ويأمره بالانصراف، إلى أن انقضت الناس، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ شيئًا من الصدقة؟ قالوا: لا، فقال: تفكروا وتأملوا، فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئًا، وهما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج، فانشرح صدره وقال: عليّ بهما، فأتي بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهما بقوله: أنجدني، أنقذني من هذين، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب، جئنا حاجّين فاخترنا المجاورة في هذا العام عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: اصدقاني، فصمّما على ذلك، فقال: أين منزلهما؟ فأخبر بأنهما في رباط بقرب

الحجرة الشريفة، فأمسكهما وحضر إلى منزلهما، فرأى فيه مالًا كثيرًا وختمتين وكتبًا في الرقائق ولم ير فيه شيئًا غير ذلك، فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير وقالوا: إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات في الروضة الشريفة وزيارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيارة البقيع كل يوم بكرة وزيارة قباء كل سبت، ولا يردّان سائلًا قط بحيث سدّا خلة أهل المدينة في هذا العام المجدب، فقال السلطان: سبحان الله! ولم يظهر شيئًا مما رآه، وبقي السلطان يطوف في البيت بنفسه، فرفع حصيرًا في البيت فرأى سردابًا محفورًا ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس لذلك، وقال السلطان عند ذلك: اصدقاني حالكما، وضربهما ضربًا شديدًا، فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصارى في زيّ حجاج المغاربة، وأمالوهما بأموال عظيمة وأمروهما بالتحيل في شيء عظيم خيّلته لهم أنفسهم، وتوهموا أن يمكنهم الله منه وهو الوصول إلى الجناب الشريف ويفعلوا به ما زيّنه لهم إبليس في النقل وما يترتب عليه، فنزلا في أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة، وفعلا ما تقدم، وصارا يحفران ليلًا، ولكل منهما محفظة جلد على زي المغاربة، والذي يجتمع من التراب يجعله كل منهما في محفظته ويخرجان لإظهار زيارة البقيع فيلقيانه بين القبور، وأقاما على ذلك مدة، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم بحيث خيل انقلاع تلك الجبال، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة، واتفق إمساكهما واعترافهما، فلما اعترفا وظهر حالهما على يديه ورأى تأهيل الله له لذلك دون غيره بكى بكاءً شديدًا وأمر بضرب رقابهما، فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة وهو مما يلي البقيع، ثم أمر بإحضار رصاص

عظيم وحفر خندقًا عظيمًا إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها، وأذيب ذلك الرصاص وملأ به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة سورًا رصاصًا إلى الماء، ثم عاد إلى ملكه وأمر بإضعاف النصارى وأمر ألا يستعمل كافر في عمل من الأعمال، وأمر مع ذلك بقطع المكوس جميعًا.

[وفاء الوفاء ٢/١٨٦-١٨٧]





المـــوت

لما احتضر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تمثلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدرُ

فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليس كذلك يا بنية، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾، فقال: انظروا ثوبيَّ هذين فاغسلوهما ثم كفِّنوني فيهما؛ فإنَّ الحي أحوجُ إلى الجديد من الميت.

[الزهد للإمام أحمد ص١٦٣]



لما شرب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللبن فخرج من طعنته قال: الله أكبر، وعنده رجالٌ يثنون عليه، فنظر إليهم فقال: إنّ من غررتموه لمغرور، لوددتُ أني خرجتُ منها كما دخلتُ فيها، لو كان لي اليومَ ما طلعتْ عليه الشمس وما غربتْ لافتديتُ به من هول المطلع. [المتمنين لابن أبي الدنيا ص٢٩]



قال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا آخركم عهدًا بعمر، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر، فقال له: ضع خدي بالأرض، فقال: هل فخذي والأرض إلا سواء؟ قال: ضع خدي بالأرض لا أمّ لك، في الثانية أو

الثالثة، ثم شبك بين رجليه، فسمعته يقول: «ويلي وويل لأمي إن لم يغفر الله لي» حتى فاضت نفسه. [الزهد لأبي داود ص٦٤]



عن ذكوان حاجب عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة، فجئتُ وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن، فقلت: هذا ابن عباس يستأذن، فأكبّ عليها ابن أخيها عبد الله، فقال: هذا عبد الله ابن عباس يستأذن وهي تموت، فقالت: دعني من ابن عباس، فقال: يا أمتاه، إن ابن عباس من صالحي بنيك، ليسلم عليك ويودعك، فقالت: ائذن له إن شئت، قال: فأدخلته، فلما جلس قال: أبشري، فقالت: أيضًا، فقال: ما بينك وبين أن تلقي محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنتِ أحبّ نساء رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى رسول الله، ولم يكن رسول الله يحبّ إلا طيبًا، وسقطتْ قِلادتُكِ ليلة الأبواء، فأصبح رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى يصبح في المنزل، وأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، فكان ذلك في سببكِ وما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس لله مسجد من مساجد الله يذكر فيه الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني منكَ يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لوددتُ أني كنتُ نسيًا منسيًّا. [مسند الإمام أحمد ٢٤٩٦]



عاد خبّابَ بن الأرتّ بقايا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: أبشر أبا عبد الله، إخوانك تقدَم عليهم غدًا، فبكى فقال: أما إنني ليس بي جزع، ولكنكم ذكرتموني أقوامًا وسميتموهم لي إخوانًا، وإن أولئك قوم مضوا بأجورهم كما هي، وأخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا من بعدهم. [الزهد لأبي داود ص٢٣٧]



لما حضرت عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الوفاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن يعني الدار، ثم قال: اجمعوا لي مواليّ وخدمي وجيراني ومن كان يدخل علي، فجمعوا له فقال: إن يومي هذا لأراه آخر يوم يأتي علي من الدنيا وأول ليلة من الآخرة، وإني لا أدري لعله قد فرط مني بيدي أو بلساني شيء، وهو والذي نفس عبادة بيده القصاص يوم القيامة، فما خرج على أحدكم شيء من نفسه إلا اقتص مني قبل أن يخرج نفسي، فقالوا: بل كنت والدًا وكنت مؤدبًا، وما قال لخادم سوءًا قط، فقال: أغفرتم لي ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، ثم قال: أما فاحفظوا وصيتي: أحرِّج على كل إنسان منكم يبكي عليّ، وإذا خرجت نفسي فتوضؤوا وأحسنوا الوضوء، ثم يدخل كل إنسان منكم مسجده فيصلي ركعتين، ثم يستغفر لعُبادة ولنفسه؛ فإن الله قال: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، ثم أسرعوا بي إلى حفرتي، ولا يتبعني نار ولا تضعوا علي أرجوانًا. [الزهد لهناد بن السري ٢/٤٠٥]



قال صالح ابن الإمام أحمد: حضرتْ أبي الوفاة فجلستُ عنده وبيدي الخرقة لأشدَّ بها لحييه، فجعل يعرق ثم يضيق ويفتح عينيه ويقول بيده هكذا: لا بعدُ، لا بعدُ - ثلاث مراتٍ - فقلتُ: يا أبتِ، أيش هذا الذي قد لهِجتَ به في هذا الوقت؟ قال: يا بني، ما تدري؟ قلت: لا، قال: إبليس لعنه الله قائمٌ بحذائي عاضًّا على أنامله يقول: يا أحمد فُتَّني، فأقول: لا، حتى أموت.

[طبقات الحنابلة ١/١٧٥]



قال المزني: دخلتُ على الشافعي عند وفاته، فقلتُ له: كيف أصبحتَ يا أستاذ؟ فقال: أصبحتُ من الدنيا راحلًا ولإخواني مفارقًا وبكأس المنية شاربًا وعلى الله واردًا ولسوء أعمالي ملاقيًا، فلا أدري نفسي إلى الجنة تصير فأهنيها أم إلى النار فأعزيها، فقلت: عِظْني، فقال لي: اتق الله، ومثِّل الآخرةَ في قلبك واجعل الموت نصب عينيك، ولا تنس موقفك بين يدي الله، وخف من الله عَزَّوَجَلَّ، واجتنب محارمه وأدِّ فرائضه، وكن مع الله حيث كنت، ولا تستصغرن نِعَم الله عليك وإن قلّت، وقابلها بالشكر، وليكن صمتك تفكرًا، وكلامك ذكرًا، ونظرك عبرة، اعف عن من ظلمك، وصل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، واصبر على النائبات، واستعذ بالله من النار بالتقوى، فقلت: زدني، فقال: ليكن الصدق لسانك، والوفاء عمادك، والرحمة ثمرتك، والشكر طهارتك، والحق تجارتك، والتودد زينتك، والكياسة فطنتك، والطاعة معيشتك، والرضا أمانتك، والفهم بصيرتك، والرجاء اصطبارك، والخوف جلبابك، والصدقة حرزك، والزكاة حصنك،

والحياء أميرك، والحلم وزيرك، والتوكل درعك، والدنيا سجنك، والفقر ضجيعك، والحق قائدك، والحج والجهاد بغيتك، والقرآن محدثك بحجتك، والله مؤنسك، فمن كانت هذه صفته كانت الجنة منزلته، ثم رمى بطرفه نحو السماء ثم استعبر وأنشأ يقول:

إليك إله الخلق أرفع رغبتي	وإن كنتُ يا ذا المن والجود مجرما
فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي	جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل	تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يغو بإبليس عابد	فكيف وقد أغوى صفيك آدما
فإن تعف عني تعف عن متمرد	ظلوم غشوم ما يزايل مأثما
وإن تنتقم مني فلست بآيس	ولو أدخلت نفسي بجرمي جهنما
فجرمي عظيم من قديم وحادث	وعفوك يا ذا العفو أعلى وأجسما

[تاريخ دمشق ٥١/٤٣٠]



قال أبو جعفر التستري: حضرتُ أبا زرعة، يعني الرازي بماشهران، وكان في السَّوْق وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»، فاستحيَوْا من أبي زرعة وهابوا أن يلقِّنوه، فقالوا: تعالَوْا نذكرِ الحديث، فقال محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح، وجعل يقول، ولم يجاوز. وقال أبو حاتم: حدثنا بندار قال:

حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح، ولم يجاوز. والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة وهو في السَّوْق: حدثنا بندار قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مُرة الحضرمي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وتوفي. [تاريخ بغداد ١٢/٣٣]



عن يحيى بن عون، قال: دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض، فقال: ما هذا القلق؟ قال له: الموت والقدوم على الله، قال له سحنون: ألست مصدقًا بالرسل والبعث والحساب والجنة والنار، وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يرى يوم القيامة، وأنه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة بالسيف وإن جاروا؟ قال: إي والله، فقال: مت إذا شئت، مت إذا شئت.

[سير أعلام النبلاء ١٢/٦٧]



قال الحافظ أبو موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي: مرض والدي في ربيع الأول سنة ستمائة مرضًا شديدًا منعه من الكلام والقيام، واشتدّ به مدة ستة عشر يومًا، وكنت كثيرًا ما أسأله: ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة الله تعالى، لا يزيد على ذلك. فلما كان يوم الاثنين جئت إليه، وكان عادتي أبعث من يأتي كل يوم بكرة بماءٍ حارٍّ من الحمام يغسل أطرافه، فلما جئنا بالماء على العادة مدّ يده، فعرفت أنه يريد الوضوء، فوضأته

وقت صلاة الفجر، ثم قال: يا عبد الله، قم فصلِّ بنا وخفّف، فقمت فصليت بالجماعة، وصلى معنا جالسًا، فلما انصرف الناس جئت، فجلست عند رأسه وقد استقبل القبلة، فقال لي: اقرأ عند رأسي سورة يس، فقرأتها، فجعل يدعو الله وأنا أؤمن، فقلت: ههنا دواء قد عملناه تشربه؟ فقال: يا بني ما بقي إلا الموت، فقلت: ما تشتهي شيئًا؟ قال: أشتهي النظر إلى وجه الله تعالى، فقلت: ما أنت عني راضٍ؟ قال: بلى والله، أنا عنك راضٍ وعن إخوتك، وقد أجزت لك ولإخوتك ولابن أختك إبراهيم. وأوصاني أبي عند موته: لا تضيعوا هذا العلم الذي تعبنا عليه -يعني الحديث- فقلت: ما توصي بشيء؟ قال: ما لي على أحد شيءٌ ولا لأحد عليّ شيء، قلت: توصيني بوصية، قال: يا بني، أوصيك بتقوى الله والمحافظة على طاعته، فجاء جماعة يعودونه فسلموا عليه فردّ عليهم. وجعلوا يتحدثون ففتح عينيه وقال: ما هذا الحديث؟ اذكروا الله تعالى، قولوا: لا إله إلا الله، فقالوها ثم قاموا، فجعل يذكر الله ويحرك شفتيه بذكره ويشير بعينيه، فدخل رجل فسلم عليه وقال له: ما تعرفني يا سيدي؟ فقال: بلى، فقمت لأناوله كتابًا من جانب المسجد فرجعت وقد خرجت روحه. [ذيل طبقات الحنابلة ٣/٤٣-٤٤]



الفهــرس





ملاحظات للقارئ لتدوين الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....



ملاحظات للقارئ لتدوين الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

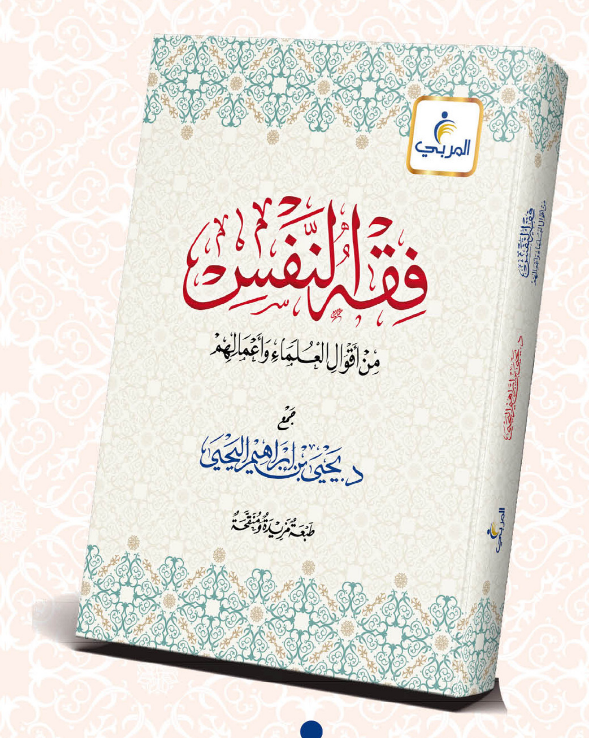
....

....

....

....







markaz.almurabbi@gmail.com